المشرق

السنة السادسة والخمسون | ك ٢ – شباط ١٩٦٢

وثائق تاريخية عن حلب

(جريدة ايام لم يكن بالعربية جرائد)

٥

اخبار السريان وما اليهم اخذاً عن يومية نعوم البخاش وغيرها من المخطوطات ١٨٥٠ – ١٨٥١

بقلم الاب فردينان توتل اليسوعي

[١٦٩] – الاحد عيد الفصح ٣١ آذار ١٨٥٠ .

[١٧٠] – الخميس خميس البيض[١] عند الاسلام وكان خلق كثير ونسوان في المشرح.

[١٧١] – ٥ ايار الاحد ١٨٥٠ الثلاثاء. اجا عندي مصطفى افندي كاتب باشت النظام وقصده يتعلم عندي.

١) افادنا حضرة الاب يوسف قوشقجي عن خميس البيض : من ايام عاشوراء يذهب المسلمون الى بعض الشيوخ فيكتبون لهم نوعاً من الحجاب يقال فيه السلام على نوح ويهدي كل منهم بيضة مقابل كل حجاب . ثم يعودون الى بيوتهم فيعلقون تلك الاوراق في السقف او على الباب او النافذة . تلك عادة قديمة لا يعرفها اليوم الا قليل من الناس عند المسلمين.

[١٧١٣] — اجوا الزوار من دير مار جرجس ونبهوا ان لا احد يلاقيهم من قبل مصطفى باشا . والسبت رحت حمام برهم مع فتح الله شامي والمذكور تكلل يومها مساء وكانت نوبة عبدالله حلب بالناي ومعزومين مشحور وارسان وعبجي وغيرهم.

[١٧١٤] — سلمت على يوسف بردخجي اجا من القدس ونظمت مقطع من عظم برونته وقعد عندي يوسف جبرايل غزال ٢١ ايار ١٨٥٠ بالشهر ١٥ غرش واجاني ارمغان من بردخجي صابون ومسابح وخواتم وصوارات .

[١٧٢١] — السبت بوسطة اسلامبول تعوقت يوم عن معتادها وتشلحت من الاروام وراح ٢٠٠٠ كيس . ونبه البطرك مكسيموس ان الاولاد يرسلوهم للسكولا التي فتحها لسان ٤ لغات ٧ حزيران .

[١٧٢٢] — ماء النهر قليل عمال يعمروا قيصر الشيخ طاها من اجل ركايز القناطر . شرموا سكر الريحاوي حتى تروح المياه على العتيق والاحد جابوا القفالة بالليل عاموذ لروم الفسافسه ومعهم مشعل والله يساوي وزلاغيط . السبت ٧ حزيران ١٨٥٠ اجا حديد للعواميد كل واحده على جمل من طرف وعددهم ٨ من الاسكلة لروم الفسافسة .

[١٧٢٣] — صار تشليح عند مخاضة البابلية وقتل ابن حنا خراق وتشليح ارمان مرتين — ودزيره فلكروس ساق بالحصان وقع وبيده انصدعت واناس غيرهم تشلحوا من ثلاثة رماحه عرب وداير عليهم التفتيش من قبل مصطفى باشا وظهر بالقرى كلبة مثل ديب هبشت واحد وكثيرين عضتهم وذكروا ان قتلوها وجابوها للباشا واخذوا بخشيش — ولحقنا من عمارة قليط (للطاروق) غرش ٣٠ لما دفعتها — السبت ١٥ حزيران ١٨٥٠ .

[١٧٣١] — الاحد عرس جرجي ثابت ابن الياس الى بنت انطون تيناوي والاثنين اجا نعوم فرقوعه من مصر ومعه نعوم عزيز . والثلاثا علقت العلق لعبدالله وكيل والاربعا اجوا المقادسة حنا سايغ وشكرالله ناقوز وبيت عازار والجمعة دفعت غرش ٨٠٠ لقس بولس مطر وفتح الله دياب بأمر الخواجا كوبا عن سنة ١٢٦٧ سلف واخذت ورقة من الوكيل فتح الله دياب بالمبلغ لحين يقطعوا السندات لباقي الاوقاف وشلحوا اللفات رعد وتاجر ولبسوا طرابيش.

[١٧٣٢] — الا ٤ استكريت قصر القبار واا ه رحنا وبعض من الاولاد

مقدار ٢١ ولد واهلي وجبت نوبة عبد الله جلب من بكره للسا ومن بعد الفطور شلحت خاتمي الالماس ٧٥ قمري ٣٢٥ غرش حتى اصوبن ونسيته مقدار ساعة ٢ وطلبته مكانه ما شفته وكل الموجودين باقيين سالتهم فما شفته ابدًا وراح وراح والنوبة فصلتها ٤٠ غرش وانا ابدًا ما انبسطت وصارة لي النوبة مثل تزاز من شاني حتى واكلت شي. جزءي وما لي قابلية لان هذه المصلحة يتحير.

[١٧٤¹] — الاربعا اجوا الفعول يزرقوا ويكملوا عندنا . الـ ٧ قعدنا بعد الظهر بالمربع الاولاد كلهم . الـ ٥ دفعت ٢٥ غرش لاجل عمارة قليط ودفعت ١٠٨ لقس بولس مطر بشلك ٦ بسعر ١٨ وبعده بيدلهم له بغيرهم .

والـ ٤ اول رمضان ١٢٦٦ في ٢٨ حزيران شرقي في ١١ تموز غربي ١٨٥٠

[١٧٤²] — الاثنين الجرح فتح الله بن عبد الله خوري الاطرش بخاصرته بسيخ من اجير القصاب مسلم ومسكوه وان شا الله يطيب ما صابه مليح ولكن قصده يقتله فرط الله ما اراد . والخميس اعطوني بيت نعوم شعراوي طاقة زمام بيضا. خلعة رزق الله تقمصت منها وما اخذتها بل قلت هو يجيبها لفندي.

[١٧٥¹] — الخميس ارسلوا اخذوا بنت اسيون مع يسقي من المحكمة لعند زوجها اكوبجيان سيوفي وكل الواجب وصارت مرته حقيقة.

في ١٨ آب ١٨٥٠

الجمعة راح عسكر باشي بوزق للشام وذكروا لاجل الحج لانُّ الوهابي العرب قايين ولاكمين الحج .

[١٧٦¹] — السبت وصلني خلعة بيت الوكيل شكري ورزق الله كتكية وطاقة ومنديلة مع نصري اخوهم الله يكثر خيرهم . واما قبطان[1] من بيت كوبا شاف الرزاية التي عليها « الفاتحة » .

[١٧٦²] — ١٧ آب ١٨٥٠

الـ ٥ ولدت مرأة انطون اسود وجابت بنت .

[١٧٦³] — الاربعا تلاقينا مع بطرك مظلوم بجسر القبار — ووصلني خلعة حبيب ابن نعوم سالم طاقة جيتاره ومنديله لقايه .

١) كان لأكل كبة سفينة لحاجم ؛ من رسالة جان دي غنطوس كبه الى الاب نوفل ١٥ ايلول ١٩٦١ من رومة .

[١٧٧'] — الخميس ارسلت بخشيش لبنت اختي منديلة وطاقة نواعير وايزار بياسمينه وجراب لانها مسافرة لعند زوجها لأدنه . — وارسلت جبت جحش العبجي ووقع ابنه من على ظهره وجعته رجله وبطلت الروحه ولاجل ان الحلاق وداه ليتهم بطلته والجمعة حلقت عند متري الحلاق وارسلت الحساب ليوسف الحلاق ٢٣ غرش وصار يحلق عنده ١٨ سنة لانه رعبني على الولد وقال لي حملته وارسلته ليتهم ثم بالي عليه(١)

[١٧٨'] — الاحد عرس عبد الله ثابت لبنت هودم سمين . والا ٨ تقاتل يوسف خياط وابن مطر وقدموا فيه عرضحال للباشا . يوم الا ٣ وشرح الباشا عليه للشوره وصار القول ان يحاسبوه لان طالب كسر من الصليبه ٦ الاف ومن التومايات ١٢ الف وبديوا المحاسبة .

في ٥ ت ١ ١٨٥٠ في ٢٣ ايلول ش في ٢٩ ذي القعدة ١٢٦٦

الا ١ ارسلوا وراق للحارات وللضيع والبلاد الذين هم حكم حلب ان بده السلطان عبد المجيد من ١٠ واحد وسنهم من ٢٠ الى ٢٥ شباب نظام وقصظل الحرامي قاموا حتى يضربوا القول (المخفر) مقدار نفر ٢٠ فمسكوا القول ١٧ واكلوا ثاني يوم عصي بالصرايا وقتلوا ان كانوا هم عمال يتقاتلوا فمسكوهم وثبت على ابن سنان قتل القتيل .

فومة البلد

[١٧٨'] — الاربعا ٩ تشرين ١ رحت مساء للسهرة عند ميشيل صولا والمذكور كان عمال يعمر حوش سمان الموصلي ببيبا وراء العمارة (على ساحة فرحات حالاً) ودخلها لحوش نصرالله حوا حوش بيت احماه وانا وتصري كتابه عمال نلعب بالضاما وهو ومرته وحماته دخلوا يتفرجوا على العماره واخوه انطون

١) اثبتنا المتن على علاته لما فيه من الفوائد الادبية واللغوية للعربية الدارجة . طاقة النواعير؟ وايزار ياسمينه؟ اي عليها تصاوير النواعير والياسمين؟ — بعدة ١٨ سنة يحلق البخاش عند يوسف . — كان للحلاقين ذلك العهد شيء من الحقوق على زبوناتهم فيحلقون عندهم ابًا عن جد — اما ارسال الولد الى بيت اهله فتطفل من قبل الحلاق لامه عليه البخاش وهو المسؤول عن تلميذه .

وعبدالله ثابت وبعد ما راحوا بمقدار نصف ساعة رجع انطون صولا اخو ميشيل من الباب ودربس البوابه ووصل لليوان وقال عمال تلعبوا للان فكان الجواب منا — ليش ما نلعب ؟ قال : قامت البلد ومقدار نفس ٥٠ عند ميشيل بالحوش التي لسمعان مسلحين ومعهم قواس الانكليز قنصل واري ومرادهم يحموا ميشيل ام يقتلوه لا اعلم.

[١٧٩١] (في ١١ ذو الحجة ١٢٦٦ في ١٦ ت ١ غربي ١٨٥٠ في ٤ شرقي ١٨٥٠)

فقال انطون صولا لابنه. ولك نعوم الحقني فقام لحقه وموجود فتح الله سميان فقال خواجه انطون خواجه انطون والاخر لحقه فصحت انا خواجه فتح الله ولحقته والرعب دب بقلبي وطلعنا لباب الزقاق التي من حارة الحصرم ودق انطون صولا باب بيت البطق بيت خاله وقال يا خالي اترك نعوم ابني عندك لا يطلع الى برا ابدًا وانا رايح بيت اخي ميشيل (في الجلسوم ؟) باخذ خبر شافي وبجي — وانا انخرطت مع ابنه وبقيت بيت البطق منتظر رجوع المذكور فأبطى مقدار نصف ساعة ورجع وقال ان البلد قامت ونيتهم سوده ومرادهم قتل النصاره فقال خاله هذا شي عمره ما صار فقط مرادهم النهيبة فهذا يكن روق بالك . فقام راح مرة ثانية بيت ميشيل حتى يستخبر ايضاً ونحن بدينا نسمع ضرب التفنك والولوال من النسا. وطرق البوابات وبقينا بحال يرثى له بيكا. وندامه وتوسل لله ودعا وما هذا كله بشي. حتى لا نقدر ان نبلع ريقنا والا تطرق البوابه وانفتحت وبدي طرق الباب يا خالي افتح فدخل نعوم صاجاتي ومرته واجيره واجيرته وعمال يبكوا ويقولوا واخ واخ فسألناهم ما حل بكم فقالوا ان بيت سركيس الاقرع عند بوابة الحل وبيت نعوم جنو انتهبوا على الكلب وبنات سركيس الاقرع بالزقاق حفايا عرايا وعمال يولولو وهذا كان راح ساعة ٦ من الليل فنحن ارتجفت فرايصنا واخفق قلبنا ومنتظرين اتيانهم لعندنا . والا اندق الباب فانا ركضت واخذت خبر انطون صولا الذي راح يستخبر فدخل ووصل الى عند انطون بطق خاله عمال يدمع يا خالي ما في عندك مطرح نتخبا ويفرك ايديه فانا راحت مصاريني من قلبي وبديت ارجف وانظر ماذا يصنع حتى اصير مثله وقاربت الموت من الرعب وبديت اقول فعل الندامة تطلع ابانا الذي والسلام لك وارجع اعيد حتى اقول فعل الندامة

ولزمت مكان بالليوان واستعديت على قدر الامكان ولما فات الوقت وصار ساعه ٧ ونحن قاعدين ومنتظرين وانا من الرعب عمال ارجف قمت فتحت الباب ورحت بيت العجوري ومعي نعوم صاجاتي فسمنا .

[١٧٩أ] — ان تزل عسكر نظام من الشيخ يبرق والناس بسمهم ذلك من اهل البلد كفوا عن النهب . وانا من وخفي وبقيت كاليت . فسمعت ان ببيت فتح الله عجوري موجودين اناس فرنسيس عجوري وبيتهم بيت اهل مخائيل رعد ، بيت نعوم اسود قاطبةً ورزق الله جهامي وحده ويوسف وكيل فانخرطت انا عندهم وشميت هوا وخلطت معهم وبدينا بافكار اشكال الوان والنتيجة سمعنا ضرب طواب نحو طوبين وكل ما لها تهدي تهدى القوشات الساعة ٩ (نحو ثلاث بعد نصف الليل) بطل الواغش وبطل طرق البوابات وركنت الدنيا وانا سهران فاناس من الموجودين راحوا واناس ناموا وانا ومرأة فتح الله عجوري لبكره قاعدين . فلما طلعت الشمس اذنوا ان يطلع احد من الحارة — فطلعت. ورايت الناس حكر حكر والكري (الحكي والثرثره) عمال . فسمعت ان بيت جبرائيل خوذي انتهبوا وحوشهم فضيت . وحارة برغل كلها منهوبة ومسبي منها من النسا الكبار المسنين بالعمر والصبايا والمزوجات وحارة العنكبوت وفوقها وتحتها منهوب وبقينا بافكار وشي . لا يستمع .

« ويلنا ما لنا ويلنا حالنا ويلنا حريمنا »

فرحت انا على الصلاة رأيت الكنايس مسكره فدخلت للبيت الاتي اهلي بالهم عندي . فطمنتهم وطلعت على تختي حتى اصلي صلاتي . فصليت ورحت بيت عزوز الاتي حاصلين بالتبور وعظائم الامور واتطون عزوز يصيح لا احد يفتح باب الزقاق فخرجت ورجعت لبيتنا اسمع القوشات والدق بالطبل والقواسات والعيطات واليوم يومكم يا نصاره فارتعدت كثيراً وخرجت رحت لبينا. صولا اسمع ماذا مزمعين يصيروا حتى اتنور منهم فرأيت ميشيل صولا عمال يكتب شقة ورقة بإسم عبدالله بك بابنسي ومعه نفر ١٥٠ ورمضان آغا ومعه نفر ١٥٠ وشيخ خيرالله ومعه نفر ١٥٠ ويحضروا للصليبه باكلهم وشربهم وعلايفهم ووضعوا الختومة وكان عبدالله ثابت وشكري ثابت. وارسلوا الورقة مع ابن البستانية حالًا فانا اطمأنيت نوعاً ما من اول ورجعت للبيت وقلت لا تخافوا جايين

ناس يحاموا عن الصليبه وعيت غليوني وطلعت اتفرج على العسكر متى ياتي وبدي طرق البوابات .

— [١٨٠] — [١٨١] — [١٨٢] — [١٨٣] —

وقف المعلم نعوم البخاش عن تدوين الاخبار اليومية وترك الصفحات الاربع المذكورة اعلاه بيضاء وعاد فواصل الكتابة في صفحة الصفحة ١٨٤ كما يلي . اما حوادث تلك الايام المشؤومة فترى تفاصيلها في ما نشرناه في كتابنا وثائق تاريخية عن حلب : « اخبار الموارنة وما اليهم » الجزء الثاني ص ٦٧–٧٦ وفي « المجلة البطريركية » لمديرها الخوري بولس قرألي الجزء الرابع ١٥ تموز ١٩٣٣ ص ٧٩–٩٨

[١٨٤¹] — الاحد دزت ألم كام مصرية من الاولاد لاجل المصروف . الجمعة صار جفلة بالبلد وسكروا الناس الدكاكين وارتمبوا الناس كتير والباشا انهزم للشيخ يبرق وباشة النظام بدي ينفخ بالنفير وبعده طلع خبر ان تعاتلوا عسكر ببعضهم بعض وصارة الجفلة واناس يقولوا ان هذه الدعوة طلعت من سوق الجرخ — السبت السهره عند جارنا نعوم سالم ويجي عنده قدور ابو ابراهيم الناطور لان المذكور يخاف كتير — الاحد اخذوا قهوة السيسي وصيروها متزول عسكر النظام محافظة للصليبة وقهوة سوق الجديد عندكلاسة التدريبه والانباش عمال تجي من الشيخ يبرق ومن غير امكنة — والجمعة ارسل لي الياس ضاهر ورقة الباش المنهوبة من داره لكي انقلها . والاولاد في المكتب تر٤ وكيل ٣ سالم ١ عبجي ٢ضاهر ١قسطاكي٢ بردخجي ١ قصاب ١ حمصاني ٢ حلاق يوسف.

[١٨٤²] — الاحد ارسلوا ختومه شكر الله تاجر وجنسه نعوم ورزق الله جهامي واستدعوا عسكر للقواسر التي بالصليبه وارادوا يفضوا القواسر فارسلوا الروسا مكتوب الى قونصل الفرنساوي موسى ليبس فارسل جفروا الكنسلير لعند زريف باشا ورفع المتزول .

معناه ان العسكر كان قد احتل القيسريات التي في حي الصليبة عن طلب اصحاب المحتومة فطلب المسيحيون رد العسكر عن الحي لعدم الحاجة الى معونتهم وبعدهم خير من قربهم .

وزريف باشا معزول عن حلب من يوم ١٠

— السبت ٢١ ت ١ غربي ٩ شرقي ١٨٥٠ في ٢٦ محرم ١٢٦٧

[١٨٤³] — الاحد اولها صليت ببيت الياس ضاهر (لان الكنائس كانت

قد أحرقت) والساعة ٦ ½ (حوالي الظهر) اجا قبرصلي محمد باشا ومعه عسكر ٣٨٠٠ وطوب ٤ وبلكات ٣ وتفرجت من السطوح وتزل بالشيخ يبرق وضربوا له طواب وتمد مقدار ساعة ٢ وواجه عبدالله بك بابنسي وبعده نزل للصرايا وضربوا له طواب ايضاً . — الاثنين الساعة ٣ قرا فرمانه وكان عنده الروسا والاعيان ووعظ موعظه ودفع تاقي افندي للشيخ يبرق للحبس مع البيك . — الثلاثا سافر زريف باشا ومعه نوبة الكبيرة ودعوه للفيض ورجعوا . — الاربعا نزلوا عبدالله بك ورمضان اغا واثنين اخر دوروهم بالبلد مقدار ساعة ٢ بدواب مبهدلة مربطين الرجلين مكتوب لوح كرتون بصدرهم :

« هذا جزاء الذي يخون السلطان » [١] .

وبعده نفدوا على العريد وارسلوه الى السويدية وبعده لاسلامبول وطلب الباشا دفاتر الباش المنهوبة لمهلة اربع وعشرون ساعة وبديوا الناس يكتبوا دفاترها والاربعا نبه ان لعشرة ايام مهله بده تجي كل الالباش المنهوبة وبديوا يجيبوا الالباش وان انتهت الوعدة وما تكمل اللبش بده يظهره بالعذاب والقتل ومنتظر تام العده . — السبت ختموا الدفاتر وودوهم لجنابه ومن الجملة الفقير ضبط دفتر بيتنا ٣٩١٢٨ ½ غرش وارسلناه — والثلاثا ليلة عيد البربارة تعشيت بيت الياس ضاهر ونظمنا البرباره على الصفره ورجعنا سهرنا بيت سالم وكتبت الى الياس ضاهر دفتر الباش ثاني وما وصلني شي.[٢] والصيد بجبل النهر من النهر قدام العتيق . (اي في الموضع الذي لم تجر فيه الاصلاحات) .

[١٨٥١] — الاربعا مات باشة الجر[٣] ببستان القبار واجوا المشايخ وقبروه بالشيخ يبرق . ومساء ارسلوا خلف المطارين والبطرك بطرس جروه واختلا معهم الباشا وما سمعنا مدعوة ما هي وسمعنا ان الاعيان طلبوا ان (المطارين) يختموا ختومتهم بوصول اللبش وما طاوعوهم (المطارين) بل قالوا ارادة السلطان عبد المجيد (ان ترد المسلوبات لا بالرمز ولكن بالعين) — الخميس اجا الباشا

---

١) قابل بين هذا النص وبين النص الذي جاء في المجلة البطريركية ٨ ، ٤ ، ص ٧٩

٢) « وبعد ٢٣ جمعه وصلني مذكور بمحله » جاءت هذه العبارة على هامش الصفحة زادها البخاش بعد ان ومة « اللبش » فصلّح الخطأ .

٣) راجع اخبار الموارنة في « وثائق تاريخية عن حلب » ٢ ص ٦٨ .

دار الكنائس والقلالي وشاف الحريق والخراب ودخل كم بيت مثل باسيل عبدالله والياس ضاهر والمرحوم المقدسي نعوم حمصي وغزاله وراح وعبدالله باسيل اهداه عرق برتقال مقدار ١٠ بنرد عرق وبعد ذلك راح استكتر بخيره رد له الفيزيته (visite) — الجمعة خاص ملت البلد لتحصيل الالباش .

[١٨٥٢] — الاربعا زعل الباشا من شورة التي صيدها لاجل جمع الالباش وقال ان الناس بردانين عرايا واتم صانعين شورة التوتون والاركيلة . من الان الى ايام ٥ ان ما الجمع الالباش جميعها فانا بعرف شغلي واطلق المحبسين كلهم من طرف الالباش وبقيت الى ايام ٥ — والاربعا والخميس كانوا البلد خايفين كتير لئلا يقوموا اهل البلد ويذبحوهم والحمد لله انقضت والباشا زود قلّق الجديدة والخانات زاد كل خان ٥٠٠ وطالع طواب ٤ للقلعة ونقل زخره ودار القول بالليل ومقدار نفر ٢٠٠ وما راوا ولا واحد بالليل — والجمعة قال للعيان بدي الالباش منكم خذوا عسكر ويروح كل واحد لصايغ ويجمع لايام ٧ وصار يجي ذهب وفضة والماس ومسيغ (مصيغ) وبدلات وشي. ثمين .

[١٨٥٣] — الاربعا الميلاد غربي استكروا مدرسة الموارنة حتى يقدسوا فيها السريان اشهر ٨ ومن طرف الحكم عمال التسييك على الاسلام من طرف الالباش والتكفيل بعضهم بعض والحبوس والتخشيب والشباب للنظام. — الجمعة امر ان الذين انجرحوا بقومة البلد ان كان يعرفوا الذين جرحوهم يجو يشوفو المحبسين فان وجدوا احد بيعرفوه انه جرح يقولوا عنه للباشا واجا نيشان للباشا منظوم لان الباشا الذين اطلقهم سابقاً كلهم بكفالة او اقاربهم او اهل حارتهم او غيرهم وجنكلهم ببعضهم حتى لا احد ينهزم ويطلع عند المكفولين الباش فيسكه الكفلا والمكفولين وينتقي خرج نظام(الذين يصلحون للخدمة العسكريه) ويحبس وان موجه ٥٠٠ او ٦٠٠ لاسلامبول وان ارسلهم نعرف بعد عنهم. والا ٢ مساء بالليل توفي معلمي شماس الياس هزاز بريح السكتة الله يرحمه وكتير انغميت لفقده وتوفيت مريم بنت الدلال مرأة فتح الله وكيل طرحت صبي وتوفت . واولها الاحد توفت بنت شكري متري واخت جرجي خوكاز الله يرحمهم .

[١٨٦١] — الاحد درت بالصايح وكان ثلج من بكره لنصف النهار وقطع

وداب وقبروا كتر بنت الدلال مرأة حنا خوري بينهـا وبين اختها مريم مرأة الوكيل يوم ٧ وماتوا الاثنتين بالطرح والبرقان الله يرحمهم . والا ٢ قعد عندي جرجي بن عبدالله غزاله .

في ٢٥ صفر ١٢٦٧ في ٣٠ ك ١ غ في ١٨ ش ١٨٥٠ والا رأس السنة غربي ١٨٥١

ونهارها لبست العزيز (؟) ابيض ولفيت لفه من عند نعوم عيجي وبعدها من بعد قومة البلد كنت بالمنديل للان وترشحت كام مره ولاجل ذلك لفيت اللفه — الا ٢ فصلت قنباز غزل وحرير من عند الياس بهنا وبطانته والي عنـد المذكور ١١٥ غرش . الالباش المنهوبة عمـال تتوارد لكنيسة الروم والسريان عمّال يقدسوا بقاعة تعليم الموارنة التي كانت سابقاً مكتب شماس الياس والروم بديوا يقدسوا بالمدرسة بدهليز حوش بيت طرطار الارمني وبدي عيجي بالرسائل ووكيل ونصري وزلزوم ونحاش بديو بالمقامات .

[١٨٦] — الاربعا اجوا من طرف الحكم الركبي والقاضي والجابري حتى يثمنوا الالباش بنصف ما هي محررة بالقوايم وما قبلوا اربابها واجا نهارها محمد قبرصلي باشة باشة حلب لقلاية الموارنة وما اعجبه لان في غوشه وعيطات وزعل وتسودن والمذكور باشة حلب ورتب من كل طايفة يكون اثنين وثمنوا ثاني يوم الالباش شي مناسب وصار هكذا وما اعجب التثمين بل ازود منه اول يوم والذين اختاروهم نصرالله حمصي ونعوم جنـه وانطون عزوز والياس ظاهر وفتح الله مراش ويوسف مخلجي وانطون حموي وفرج الله نجم وشكري بليط واخوه والدلال باشي ونعوم سباغ جابوه ايضاً حتى يثمني — والجمعة ما اجوا لان عيدوا الاسلام وذكروا ان بالقدس خربوا القيامة وقتلوا النصاره — طلعت كذبه — وذكروا ان قلع الباشا من الشوره يوسف آغـا يكن لان المذكور متلعب بالف٤٠ المدفوعه من البابنسي عبدالله من طرف الدين الذي عليه وطلع خاين وقلّعه ووكّل الارمنازي احمد افندي بالشوره من طرفه ومن طرف الدولة بسبب المكتوب الذي اوصله للباشا وهو ان الارمنـازي اتاه مكتوب باسمه وما معروف الذي جابه ففتحه قرأ داخله كتاب باسم الباشا فوداه لـه فطلع داخله ان تاقي افندي ويوسف بك وزريف باشا هم الـذين قوموا البلد ، من غير امضا ، فسمع تاقي افندي فصير بهدلـه للارمنازي منظومة بالشورة

فاحكي للباشا الارمنازي فاخذه وراح للشوره ووقف وقال هذا وكيلي واذا كان وكيلي فهو وكيل الدولة وصير له مكان بالشورة وراح من غير ما يذكر شي. من الذي طلع بالمكتوب المذكور سابقاً .

— الاربعا ٨ ك ٢ ١٨٥١

[١٨٦[٢]] — ال ٢ نقلت مكتوب الروسا الآتي من اسلامبول بالعربي ومات انطون تيناوي ونصري ازرق — والثلاثا الالباش للان عمال تورد والتسين عمال والحق ما وصلنا شي. للان وبطلوا من التسين الالباش الركبي وما عاد اجا. والياس ضاهر بطل يروح ايضاً وجابوا وانيس آغا جركسلي للتسين — الخميس واحده مرأة مسكها واحد عند بيت نعوم سباغ ومراده يشلحها وطلب منها الوهوب (؟) ففات وقتها (حينئذ) واحد صوصاني فتركها (المتدي) وراح وهي ارتعبت وقالوا ان فرنسيس كنيدر صار معه كذلك عند بستان الكلاب ومشيت الاجر فتركوه (اي سمع دوي انسان آت) .

— الاثنين ١٣ ك ٢ ١٨٥١

ال ٢ سافر انطوناكي كوبا الى ليكورنه عند عمه ومعه ابن الفرا ومرته وغيرهم .

[١٨٧[١]] — الاربعا دعوة عرض الحال رماه وشلفه محمد قبرصلي باشا بوجه الذين ودوه وقال لهم قليلين الحيا من كبيركم الى صغيركم — الخميس طلبوا اوراق الدرب وعسكر يوصلهم الى اسكندرونه وباقية . وتوفي نعمة الله ثابت ابو جرجس — وصار جمعية الاحد اولها والاثنين ايضاً .

[١٨٧[٢]] — ٢٧ ك ٢ ١٨٥١

(طلبوا من) الروسا ان يرضوا بنصف القوايم اللبش فما رضوا وقصدهم السفر — والاربعا ارسل الباشا جمهم وطالعهم دخوين وعدوا عن السفر ومراده يجيب اوراق مختومة وبقيت لرجوع البوسطة والسفر بقي (اي سكتوا عنه) .
— والسبت دفعت الى يوسف قندلفت السريان ٦٠ غرش عن خراجي وخراج والدي .

[١٨٧[٣]] — الاربعا ما اعطوا اوراق الدرب للروسا حتى يسافروا واجا يومها طاهر باشا باشة القرعة للنظام من الشام .

— السبت ٨ شباط ١٨٥١

[١٨٨[١]] — الاحد عرس نعوم ضاهر الى مرغريتا حنا قاق . — الاثنين

بديت قرعة الشرعية النظام وعمال يكتب نظام بالقرعة ورديفي بلا قرعة طاهر باشا .

[١٨٨أ] — الاثنين بديوا بتمين الاباش حتى يفرقوهم القاضي والمفتي بن الجابري وغيرهم . والا ٧ سافروا الاشقيا ٦٠٠ الى اسلامبول ام الى كريد ورجع ٧٠ واحد مع المركب الذي بدو يوديهم الى كريد حتى يروحوا سوية لان ٧٠ راحوا من قديم قبل بشهرين . — الجمعة اجا واحد آخر من استنبول من نظار الشورة ومعه قاضي .

٣١ شباط غ ١٨٥١ في ٩ ش في ١٩ ت ١٢٦٧

[١٨٨ب] — الخميس[١] سافروا الاشقيا وتفرجت من السطوح وكانوا مقدار ٦٠٠ وخشبين وابو عراج وولاد حميده وغيرهم وطلعوا ناس من البريه تفرجوا وكان جهل منهم والباشا محمد قبرصلي وصا لابن الركبي ان يوصي الاسلام ان النصاره واليهود والمسلمين سوا ما في بينهم فرق ابدا ووصاه بان الفرده على الكارات ونادى الرهوان (احد العملا) بان يسأله في اي موضع لبش النصاره ولماذا ما عمال يتحصل فقال الرهوان[٢] : — ما عمال يجيبوه . فقال الباشا انا بجصله . — ومساء خميس السكارى نظمنا كيف بيت جرجس ظاهر عرق وجبونه وصاليجو . — والسبت الموات . وبدلوا ترجيلي بقاعة الموارنة وكان الصلاة للسريان وتركوا لي ترجيل عتيق[٣] .

١٧ شباط ش ١٨٥١ في ١ آذار غ في ٢٧ ر ٢ ١٢٦٧

[١٨٩أ] — الاثنين بدي مزاد تفريق الاباش بقلاية روم الفسافسة وانا ما قدرت اروح بل والدتي واخذت ورقة ختم البطرك لان الذي معهم وراق يدخلوهم والذين بلا وراق لا يدخلوا وقاعد غفرا على الباب عسكر نظام ٢ — والخميس اخذلي ابو حبيب عجوري بوجود ابي لحف اربع اطلس باني الواحد

١) لم تكن سفرة ٦٠٠ شخص لتتم من دون مصاعب فصارت على مراحل بين السبت السابق وبين هذا الخميس .

٢) راجع المجلة البطريركية ١٨٤ ص ٨٦

٣) الترجيل يلبس بالرجل او الحذاء او التاسومة وكانت تطرح قبل دخول البيت وتوضع عند العتبة .

١٢٥ غرش وازرق اطلس ١ غرش ٩٣ واطلس احمر وغيره ٢ غرش ١٤٦ وحموله ١ للحمال – والسبت اخذ لي نعوم عبجي قياس ٢ وفراش ٢ ٣٠٣ غرش وحموله ١ والحكم عمال بتهير (تستعد) بعمار وتنجير وزود القاقات (المخافر) عسكر وزود تفنك لماذا لا نعلم لاجل لم سلاح او غير شي. لا نعلم بيت حاتم وجبرا ابن يوسف الحكيم ارسلوا الباشهم لبيت القاطرجي (وهو يتكفل بتحميلها) وسافروا نسا. ورجال الى بيروت واسكندرية وراح ايضاً بولاكي كبابه وجرجس خوري معهم (واجلى الكثيرون من المسيحيين عن حلب في ذلك العهد).

[١٩٠١] – الاثنين خلصت مهلة التي امهلها الباشا للاسلام حتى يجيبوا الاباش – الثلاثا اجا الباشا نهارها لعند مطران الموارنة حتى يتفرج على المزاد وكان خاص ووالدتي جابت فروتي التفيسة الباجا مزركشه١٣٥ غرش – والخميس صار زينه في شيخ يبرق لاجل اطلاق عسكر٣٠٠ نظام خلصت مدتهم وعزموا الروسا والقناصر وراحوا اناس كتير وانا ما رحت.

٢٩ آذار ١٨٥١

[١٩٠٢] – الاثنين سافر محمد قبرصلي باشا باشة حلب ومعه وينصان المهندس – الاربعا تقاتلوا بالمزاد شكرالله بليط وجبرا خوري وبعده حمي المطران ديمتريوس مطران الروم الكاثوليك وبعده علقت مع عبدالله باسيل وبعده صار جمية روسا وصالحوهم وانفصد شكري بليط يومها.

[١٩٠٣] – الاحد وقع والدي من القبة للعتبة وما قدر يقوم رفعناه وقمناه وجبنا له لحمه وبعده جبنا بنت عنطوز (المسدة) بقدميه قبري وقالت رجتها ٢٠ وقضينا ليله مع والدي لفجر الاثنين شقلناه بكرسي وطالعناه للمربع مع يوسف الحلاق والان احسن – الثلاثا اخذوا لي قنبازي المحرر ١٣٠ قرش من المزاد – والخميس طلع دلال (منادي) من قبل محمد قبرصلي باشا ان الذي يقول ان العسكر رايح والبلد بدها تقوم واحكو بهذا الشان يروح اللومان (الحبس) – ووصلت خلعة فتال ريحيه طاقة شامي خرشدلية.

السبت – ١٢ نيسان ١٨٥١

[١٩١١] – الا ٧ اخذت حصير ٤ الواحدة ١٢٨ .

[١٩١٢] – الاحد ٢٠ نيسان ١٨٥١

– الاربعا المزاد عمال اخذوا لوالدي لفه ١٢ غرش وسراويل ٣ و٣ لحواتي وفسطان ٢ لمريم وكزه تنورة جيت ٤٤ العزيز ٤٠ سقنقور – السبت توفي مطران الموارنة بولس اروتين مرحوم وارسلوا كتبوا عندي ورقة وعلقوها فوق رأسه «اليوم سقط رئيس عظيم في اسرائيل» (خط) مشق تخين .

[١٩١٢] – الجمعة راح كل عسكر النظام من الخانات : الوزير والصابون وحاج موسى . والخانات فضيوا لان مراد السلطان عبد المجيد ان يطيع الجبل والعسكر راح لمرعش لاجل اخذان الجبل (زيتون) – والثلاثا اخذوا من المزاد بقجة كيلاني (غيلاني) وفوطه ١ ومناشف ٤ والمزاد عمال للان وبديوا يكتبوا اولاد اليان حمصي ماريا وبرباره وايضاً مريم شعراوي .

[١٩٢١] – الاثنين سركلوا يوسف بك (الشريف ؟) الى قونية . – والثلاثا جبنا مرأة عمي متى وقالوا انها معلمه لاجل اجر والدي وعمال تسده ونظمت له عكازات ٢ لاجل التركاي حتى يمشي وجبت حطب رطل ٦١ سعر ٤٥ القنطار ش – الخميس سهرنا بيت نعوم ضاهر وابا ساكر (؟) وقال لا ترتعبوا بده يصير زينه هكذا قال التفنكجي باشي وقلبنا حواش ٣ ومن الجملة حوش الكنيبرة[١] حتى نعطي خبر لبيت سالم ولبيتنا وكنت رايح اقع من سرداب الدرج بنصف السطوح الله سلم ما اراد وهذا من رياضة شهر المريمي .

[١٩٢٢] – مرضت وارسلت خلف طبيي انطون جد الكبير وامر ان اكل خبز وسمن وسكر وان تيت سخن الى المسا انفصد فتميت كذلك فارسلت خلف متري واخذ دم مقدار اوقية ٢٧ – السبت سافر الياس عزوز مع قجله الى مرعش . وكان طباخ العرق عندنا نعوم زلت العكاوي .

– الجمعة في ٢٣ ايار ١٨٥١

[١٩٣١] – الخميس نبهوا على غفران الجوبيليوم من يوم الاتي يوم ١٥ بزيارة كنيسة الموارنة والارمن كل كنيسة هيكلين الله يجعله مقبول اذا اراد ويعطينا توبة كامله .

١) البيوت متلاصقة وسكانها يستطيعون ان يجتازوا على الاسطحة من بيت الى بيت وهكذا جرى مع البخاش . . . والحوش الكبيرة كانت في «الحارة» او الحي غالباً سكنى مشاع لفقراء الحي ومن شاكلهم) .

– السبت ٣١ ايار ١٨٥١

والا ٢ توفي ميخائيل تتونجبي الله يرحمه .

[١٩٣ٓ] – دعوة ادنه طلعت ان واحد نصراني سب محمد ومسكوه وتجمهروا الاسلام وصاروا مقدار ٣٠٠ وودوه للقاضي حتى يقطع اعلامه فلاناهم وابقاه عنده وتهيروا واستعدوا ويردوها .

– السبت ٨ شعبان ١٢٦٧ في ٧ حزيران غربي ١٨٥١ في ٢٦ ايار شرقي

[١٩٣ٔ] – اصلها اجا من ترسوس بن سرستق ونزل عند مطران الروم الفسافسة ونزل جانب من الفرده عن ثلاث صوايح الصليبه والتومايات وحارة ابو عجور ٣٢٠٠ غرش واجا منشور ان البطرك مكسيموس مظلوم بطال من من البطركية والروم عمال ينظموا عرض حال الى المجمع ان لا يفوتوه مطلقاً بل هو بطريركهم وعمال يختموا عرض حال من مطارنة وقسوس وارخندوس. الا ٣ قعد عندي ابن جرجي دباط.

في ٢٨ ايار ش في ١٠ حزيران غربي ١٨٥٠ في ١١ شعبان ١٢٦٧

الاحد ٢٣ حزيران ١٨٥١

[١٩٤ٔ] – الجمعة دمغوا ابواب في الهزازه وحارة محب والعطوي كل باب كف كف لا كفين من مغره حمره – الاربعا ضربوا ابو حسين الداخل من الهزازة عصي وطلع الدم من رجليه وبعد دخوله ما سمعنا غير شي .

(وقد يكون الرجل معروف من الناس ولعله حارس الحي . وضربوه تحدثة لخاطر المتكوبين ومنعاً لما تخشى عاقبته من دمغ الابواب بالكف ليعرف منها بيت المسيحي من بيت المسلم . والامر الغريب ان السراق يتدثون ببيت واذا انتهوا منه يتحولون الى غيره . . . والخطر على الجيران ولو مسلمين !) .

الاحد ٢٩ حزيران ١٨٥١

[١٩٤ٓ] – الاربعا اجوا اعيان انطاكية واجا كوريخ نعوم خالي ومتري اديب وجابهم الباشا حتى يعرف من هو الذي قتل البادري[1] واه كتبوا في يانصيب بقمري طلع لي خاروف ملبة صغير. – الجمعة اجا القاضي وبعض من الاسلام وصادق اغا

١) الاب باسيليوس الكبوشي .

وغيرهم وتمنوا الباش الموجوده من جديد من بعد الاوليات والتحقيق ٧٢ الفاً عمال بالشوره وقتل وضرب وفرض غروش وما اشبه ذلك والذي اعطى سكمنه مثل سالم[1] اعطى للناطور ١٢٥٠ ارسلوا خلفه وسألوه واخذوها من قدور الناطور وكل الحارة الذي اعطوه سكمنه عمال ياخذوها ويضيفوها على مال الذي عمال يلموه لاجل المنهوبين .

[١٩٤^٢] ٦ تموز ١٨٥١ — الثلاثا وجعتني رجلي وامر بالفصد انطون الجد وبعد ما انفصدت صفرنت وبعده فتحت المدرسة وسكربت بقية الجمعة وكل يوم ينتقل الورم اولاً برجلي الشمال بعده بوركي بعده برجلي اليمين وهكذا للآن والاكل شوربة اللوز ولبنه بسمنه . — الاثنين شربت منطق ومن كوني من عمري ما شربته ما اشتغل معي سوى مرة ، وأذن بالموزه (لحمه) والشوربه ورجلي ما طابوا . الجمعة امر بفروج مسلوق ومشوي ورجلي ما طابت . — الجمعة رحت للقباد موت وعجز ووقت ما وصلت للبيت مت وطلع شكرالله وكيل اول يوم تموز غ ١٨٥١ وبدي زادور بالديوان في ٨ تموز غربي — الاربعا سافر نعمة الله عبجي وعبدالله ثابت الى لوندرا وسافر بردخجي يوسف الى ازمير لعند اخوته ودفعت للعكاوي من الفرده ٢٥ و١٥ و٢٥ و٥٠

[١٩٥^١] — الاربعا جبت تومازيني وارسلت له قدميه قرى ٢ ١٠ غروش ووقف على الاربعا والخميس والجمعة فصدني قدر بوقاله دم وارسل دهون لمكان الالم وكل يوم سفوف ٨ وحب ١٥ والالم عمال وسماه مفاصل وبعد يوم ١٠ وصف حمام تنك (Baignoire) وجبناها من بيت المرحوم فتح الله الحكيم برهن خواتمي ٢ الذهب وكل يوم ساعة ونصف — واستقامت عندي يوم ٩ وسبحت يوم ٧ وكل مره اشوف فرق وبعد جمع ٣ فتحت — الخميس رحت تكويت . وانتخبوا قس بولس مطر مطران .

الاثنين ٥ آب ١٨٥١

[١٩٥^٢] — الثلاثا اجوا المشايخ ومفدي العتيق وطلبوا من المطارين ان يتركوا اموالهم ويتسامحوا وقالوا ان المال فدى الابدان فجاوبهم مطران كيرلس الروم ان النصاره بخششوكم كل ارزاقهم فقط بدنا ورقة او فرمان من عبدالمجيد

١) جاء سابقاً ان بعض المسيحيين اعطوا دراهم (سكمنه) للحراس تلفاء وقايتهم .

ان نسافر فصار خلق كثير فصرفوها الى ايلم ثلاث بجلسه ثانية وبعد الظهر ارسلوا خلف ابن اليان جرجس وقايمته ٢٩٠ الف فخلوا ١٠٠ الف وهوزدوا الباقي وايضاً نعوم مارون بالف ٧٢ تركوا له ٧٠٠ غرش والاسلام شوي تعفردوا وقلل المال المفروض عليهم الباشا محمد قبرصلي الله يجعل النهايه الى خير — والاربعا ارسلوا خلف جرجس او يوسف صندوق وقالوا له من اين لك مالكية الف ٧٢ وقصدهم يفسروها وبيت الدلال ١٣٥ الف تركوا ٣٥٠ الف والباقي هدروه — والجمعة صار جمعية عند شيخ العاقيلية البازار باشي والمكانسي والمشايخ ومن النصاره الياس ضاهر ويوسف مخلجي وفرج الله نجم هؤلا. سمعنا بهم وماذا صار لا نعلم : ١٥ اب ١٨٥١

[١٩٥أ] — الاحد صار جمعية عند بطرك بطرس جروه وجمعوا نفر ١٣ منهوبين وكتبوا صك ان الوكيل عن البطرك المذكور خوري باسيليوس صعب والنفر نصرالله حمصي ومهما ارادوا يحرروه قبواين كلهم او لا قبنواين ورحت انا وامضيت — الثلاثا صار الديوان وراحوا الروسا والاعوام من كل طايفه واحد ومن الروم ٢ عبدالله باسيل وفرج الله نجم والارمن يوسف مخلجي والنهاية ما صار بل مثل ما راحوا مثل ما اجوا وباقيه للآن — وباركت لانطون خاطي بالسكنه بحوش يوسف دياب ششمان بالسنة ٢٨٠٠ وسكنها — السبت اجا عسكر من على التلة (مازين بجي التلل)؟ مقدار من الشام ٩٠٠ وبدهم يروحوا الى جبل كاورداغ ومسا. سافر قس بولس مطر الى الجبل حتى يرتسم مطران وراح مودعين معه اناس كتير — والبطرك بطرس مريض وقال الحكيم المصري انه لا يقوم من هذه المرضه .

[١٩٦أ]قال لي الذي تحدثت عنده بقومة البلد ان اهل الهزازه عمال ينهزموا — الاربعا (في) دعوة التحقيق فتح الله كنيدر ونصر الله خوري ومخائيل خوري بجشوا قوايمهم وايضاً ارمن الكنيسة بجشوا كل قوايم ارمن طايفتهم مقدار الف ٣٠٠ وابتدوا على شي. يكون لا اعلم ماذا بعد اعرف — الثلاثا نجروا باب حوشنا تلزيق وتلفيق الله يدبرهم — وفكيت الحماية (الوقاية من المرض بتورم رجلي) من الفروجه والشوربه تمت البرذوله قليلة — الاربعا الساعة ٢ بالليل اجا يوزباشي من قبل السلطان عبد المجيد ومعه فرمان الى كريم باشا الفريق

بحلب وداخل الفرمان ورقة شطرين الى اسلامبول والاحكام القايم مقام وهو الفريك المذكور واليوزباشي كان بتطفاي الحريق في اسلامبول في اسكودار ورجع يغير ثيابه فقبض عليه البين باشي قبل ما يغير ثيابه وارسله هكذا ارادة سلطان والعزلة من طرف قونصل الفرنساوي موسى ادمون ليثبت ــ الجمعة بدري ضرب جبل الذي عند مرعش (زيتون) والبطرك بطرس جروه طلع لبستان المفدي بتختروان طلمه وتزلة ١٢٠ غرش تغير هوا لان المذكور نازل عليه فالج وتزل لحوش بيت قرالي والحصرم التي كانت سابقاً لبيت القصاب عند بوابة الياسمين . حوش عاليه .

[١٩٦'] — الاثنين سافر محمد باشا قبرصلي — الخميس ١٧ آب التحقيق عمال لكن هامد .

[١٩٦'] — الاثنين راح يوسف مخلجي وفرج الله نجم وشكرالله تاجر لاسلامبول لاجل المنهوبات بالقاره — السبت رحت حمام برهم ومع فرج الله ضاهر وكتير انبسطنا والتقينا والخوري باسيليوس بالحمام . ١٣ ايلول ١٨٥١

والخميس تشرط عندي بالمكتب جرجي ثابت واجت والدته دبرته .

[١٩٧'] — الاربعا اجا فتح الله بخاش وابنه رزق الله من مرعش وتزل عند شكري ناتوز شريكه . اجا ابن عزوز وقجله من مرعش . السبت اجا سهري مخائيل بقجي من ادنه وتزل بيت كوكور سيوفي — الخميس هدوا بوابة وراء العارة[1] وبديوا بعارها وصارت وراء العارة بلا بوابه وجابوا من الحكم عسكر نفر ٦ الواحد بالبوابه .

[١٩٧'] — الثلاثا راح مطران يوسف حايك الى بيروت وخوري جرجس ومعه ابن موسى شدياق الى البلاد الفرنجية لكي يلموا غرش لاجل عمار الكنيسة الله يسهل عليهم ذلك وابن العجمي القسيس سافر مع المسافرين هذا ذكرنا عنه سابقاً انه تذاكر مع الاسلام بحمام برهم ذاته (١٩٦) ومرادهم يقتلوه فانهزم الى بيروت . ودلال لمدرسة عين تورا بالجبل — الاربعا ترشحت برشح ظالم .

---

١) ساحة وراء العارة هي ساحة فرحات في يومنا . اين كانت بوابتها ؟ — في المحل الذي ستبنى فيه كاندرائية مار الياس المارونية ؟ لقد اكتسحت فئة المحسنين ذلك الحي فتسمى حكومة الباشا في اليوم بترميم الخراب « وبديو بالعار » .

[١٩٧[٢]] — الاربعا مات قدور الناطور ابو ابراهيم مسلم وهذا في قومة البلد حما نعوم سالم واخوه من الغارة — الاربعا ما ارسلوا قلق لبوابة ورا العماره لان للان ما عمروها ولا بجروها واجا ابو ع عراج من اسلامبول ومعه نفر ٧ وعرب مقدار الف نزلو ورا براهيم اغا في البرية وابن الناطور الافندي بن اخت ابو ابراهيم عمال يطلب السكمنه[١] من وراء العمارا وكانت ليله موهمه كتير. والحمد لله بعد العشا نزل عسكر للبوابه عده٦برجا يوسف وكيل وهمو بتنجير البوابه والجمعه ركبوها والسبت حددوها. ولحقني غروش٤٠ دفعتها. الاحد ٤ ت١ ١٨٥١

[١٩٨[١]] الخميس ٩ ت ١ ١٨٥١ ابتداء ٢٥ سنة لافتاحي المكتب

الاربعا ذكروا ان عبد المجيد قتل ام مات لا ندري ووقف اخو عبد العزيز ولكن خبريه ما هي مؤكده والجبل عمال يكتبوا فيه القرعة واخدوه(خبر) اكيدي. وسافر القونص دوريكلو لانطاكية لان اهل انطاكية كتبوا مظبطة ان ميخائيل دياب قتل القسيس بشهود ٦ اسلام تزوير والمذكور حماية القونص وراح معه لافوس والقونص انكسر على الف ٦٠ لصهره جنادري.

[١٩٨[١]] — وسمعنا ان عرب الوهابي نهبوا الحج وسلبوا الموجودات وحرقوا وهذا سمع ما هو اكيدي — السبت سافروا الى بيروت بيت حسون خلا فتح الله وبيت التاجر شكرالله وبيت الياس سرور وابن اسيون رزق الله وابن هدايا وابن قندلفت سريان والقس بن الزنبكلي.

[١٩٨[٢]] — سمعنا ان محمد قبرصلي باشا الذي راح من حلب صار سرعسكر على الشام وإيالتها وسموا باشا لحلب عصمان نوري باشا باشة ادنه وكتير انغموا اهل حلب لاجل السرعسكر — الاثنين ارسلت خلفي مدام موليناري لاجل قراءة بنتها وانا مو قوي رضيان اروح لاجل عدم الامان. — الخميس توفي بطرك بطرس جروه واستقام بحلب مدة ٢٠ سنة وشهر ١١ الا يوم ١٢ الله يرحمه قبروه بخراب الكنيسة عند مار بطرس وبولس وعمروا له قبر جديد وكشفوا على بطرك ميخائيل جروه المرحوم وشافوا دقنه واقفة وبدلته وكل اموره باقية.

— السبت ١٨ ت ١ ١٨٥١

---

١) لسكمنه. السكمان هو الجندي الذي كان يخدم على عهد الامراء الباشاوات. وعلى الاهالي ان يدفعوا راتبه فيطلبه منهم ابن الناطور.

الآثار المطويّة (تابع)

الجزء الثاني

بقلم

الاب انطونيوس شبلي اللبناني

في القوى الادبيّة

تعريفها: القوى الادبية هي بعض خواص النفس لا يحصل صنعٌ ادبي الّا عن اجتماعها. وهي العقل والحسّ والخيال والذوق. فمن جمعها جمعَ بين القريحة والفطنة والذكاء.

الفصل الاول

في العقل – التصوُّر

العقل – التصوُّر – العقل هو القوة التي بها تحصل التصوّرات. والتصوُّر هو استحضار صورة الشيء في الذهن، فلا تستطيع ان تتصوَّر رجلًا او شجرةً بسوى العقل. وبالواقع انك تدرك صفات هذا الرجل واشكال هذه الشجرة الخاصة بها فتعرفها بها.

الفكر – فالعقل بما هو عليه من قوّة الادراك يقابل بين تصوّرين حصلا فيه وينظرُ في ما لو كان بينهما علاقة متبادلة مثلما لو حصل عندك تصوُّر انسان وتصوُّر الحرية فتقابل بين هذين التصوُّرين وتجد بينهما مطابقةً كاملةً فتحكم بديهيًا ان الانسان حرٌّ، وبخلاف ذلك تحكم ان الحيوان ليس بحرٍّ، بما انك لم تجد شيئًا من المطابقة بين الحيوان والحرية فانك على كلتا الحالتين تبرزُ حكمًا. وهذا الحكم إمَّا بثبوت المطابقة بين التصوّرين ويقال له الايجاب وإمَّا بنفيها ويقال له السلب. فكلُّ حكمٍ على هذا الشكل يُعبَّرُ عنهُ باللسان او بالكتابة ويُسمَّى تصديقًا او فكرًا. غير انه لا فرق في عرف الادباء بين الفكر والتصوُّر، او انهم يستعملون الفكر بمعنى التصور والتصور بمعنى الفكر مجازًا.

الانتقال الفكري – ويسمّى القياس . لا يكتفي العقل بمقابلة تصورين بسيطين بل يقابل بين فكرين او تصديقين فيستخرج من هذه المقابلة فكرًا جديدًا يسميه الحاصل او التالي ، وهذا ما يسمّى الانتقال الفكري. فلو فرضنا هذه القضية وهي: الناس محكوم عليهم بالموت . ثمّ هذه القضية الثانية وهي: سقراط انسان فيلزم عن ذلك بالضرورة ان سقراط محكومٌ عليه بالموت .

صفات التصوّرات – اهمّ صفات التصورات الصراحة والصواب. ومما يقتضي ان ننتبه اليه هو ان نفرق بين التصور والصورة . فالاول هو استحضار الشيء استحضارًا عقليًا محضاً . والثاني هو استحضار الشيء استحضارًا محسوساً فقط . فهي لا تُمثّل لنا سوى الشكل الخارجي المادي كالالوان والخطوط والحركة والاشارة ، غير ان الصورة ترافق التصور ، فانه يمتنع او يصعب جدًا ان يكون لنا تصوّرٌ عن انسان من غير ان تؤثر صورته في حواسنا او في حاسّاتنا .

فالتصور الصريح هو ما مثّل لنا شيئاً تمثيلًا تسهل معرفته به والّا كان غامضاً . فان تصوّري الحيوان يكون صريحًا اذا ما فرقته بالواقع عن النبات والانسان فورَ رؤيته :

اما التصور الصحيح فيمثّل طبيعة الشيء . ولهذا يسهل علينا ان نعرفه ونعيّن خواصه الجوهرية الفارقة . فانك اذا ما تصوّرت الحيوان يكون تصوّرك له صحيحًا متى عرفت انه يفارق النبات بالحركة وبالمعرفة ويفارق الانسان بحرمانه من النطق والحرية . ومن الضروري ان تكون تصوراتنا صحيحة لئلا يتولد منها احكامٌ فاسدة .

صفات الافكار – يقتضي ان يكون كل فكر صحيحاً صريحًا ، ويكون ايضاً بالنظر الى المواضيع او الكتّاب فطريًا دقيقاً مبتكرًا عميقاً متفحصاً سامياً.

صحة الفكر – الفكر الصحيح هو ما دلّ على المطابقة او اللامطابقة الواقعة فعلًا بين طرفيه ، مثل قولك : الله صالح . فهذا الفكر صحيحٌ وعكسه فاسدٌ .

وذهب احدهم ان بين الفكر الصحيح والحقيقي فرقًا . فالفكر الصحيح هو ما كان مطابقاً الواقع مطابقةً كاملةً من كل الاطراف كما لو قلنا : الانسان

يموت. فان قضيتنا هذه صادقة على اطلاقها. واما الحقيقي فقد لا يطابق الواقع الّا بنوعٍ عام او بالنظر الى وجهٍ خاص لا يمتنع الاستثناء منه ويكون صادقاً بالاضافة لا على الاطلاق .

والفكر الصريح هو ما كان التعبيرُ عنهُ يدلُّ على مطابقة التصوّرَين بغير إعمال نظرٍ كقولك : يجب على المرء ان يحبَّ ابويه . فانه فكرٌ صريح ، فالغموض يحصل من سوء التعبير وهذا من عيوب الانشاء . وسنتكلم عنه في بابه ، او من سوء التصور. وهذا يتأتى من قصر النظر او من ضعف البصيرة .

صفات الانتقال الفكري — الصحة — ان الخطابة تبحث مفصلاً عن كيفيات الانتقال الفكري واختلاف وجوهه . ونكتفي الآن بالتنبيه الى ركنه المهمّ وهو الصحة .

فصحة الانتقــال الفكري او القياس تستدعي اولًا ان تكون الافكار المتقابلة صحيحةً . فان قابلت هذين الفكرين وهما : الجناية توجب على مرتكبها القصاص ، وعمرٌ هو جانٍ ، رأيت كليهما صحيحاً تبدو صحته بغير تأمل ، كصحة وجوب قصاص الجاني ، اولًا : يتطلّب اثباتها إعمال الفكرة كـكون عمر جانياً . وثانياً : ان يكون بين القضيتين المتقابلتين حدٌّ مشترك وهو الجناية في المثل المتقدم . وثالثاً : ان يتحصل من هذا الحدّ المشترك قضية ثالثة تسمّى لازماً او حاصلًا او نتيجةً . فاذا سُلّم من وجهٍ ان الجاني يقتصُّ منه ، ومن وجهٍ آخر ان عمرًا جانٍ حصل بالضرورة ان قصاص عمرو واجب ، ولكن لو قلت في النتيجة ان عمرًا عالمٌ ، لدلَّ ذلك على اختلاطٍ في العقل لان هــذه القضية الجديدة لا تحصل من تلك المقدمات .

حكم العقل — لما كانت الغاية من الاوضاع اللغوية التعبير عن الافكار كان العقل الركن الوحيد والعماد الضروري لكل صنع ادبي ، وعليه نرى عمدة الكتّاب يتطلّبون في من تسوّل لهم نفسهم مزاولة القلم الفهمَ وحسنَ النظــام وإصابة الفكر واجادة البرهان .

فان كل مؤلف خالٍ من الحكمة او مشحون بالتصورات الفاسدة ليس له بين كتب الادب شأن واعتبار مهما كانت مكانة صاحبه من الفطنة والذكاء .

ومهما كان عليه من بديع الانشاء وسحر البلاغة التي تواري ما فيه من المفاسد وما يدل على خلل وشذوذ في الافكار فيحرم القارئ لذة المطالعة اذ تفوته محاسنها لان الصواب والحكمة من اركان الحسن الضرورية .

على ان الكاتب في غالب الكتابات النثرية كالتاريخ مثلاً الذي يتصدى صاحبه لعرض اسباب الوقائع وسلسلتها لا يحتاج الى سوى العقل ودقة النظر والصواب وحسن النظام وهذا حسبه. فالعقل هو الذي خلق لنا اولئك الجهابذة الذين كشفوا لنا الستار عن غوامض مصير المرء في هذه الدنيا وعن سير الحوادث والماجريات وتعليلها وعن اسباب انقلاب الممالك رغماً عما كانت عليه من العظمة والفخار ، وعن التواء الاهواء البشرية وسوء نزعاتها بكلام يتراءى الحسن من خلال سطوره وتتبين الحقائق من وراء اشعة نوره .

فالعاقل الذي يعرف كيف ينتبه ويفتكر يتحاشى في كل ما يكتبه وفي كل فن يزاوله عيبين من معائب الانشاء لا يفارقان ذوي العقول الخامدة وهما : الجفاف والهجنة. والسبب في هذا الخلل انما هو الافتقار الى الافكار ، فالنفس القصير والذهن الحسير لا يورثان سوى الملل والسآمة .

غير ان بعض الكتّاب يطمحون الى تسويد صحف الكتاب فيلتجئون الى مذخرات الحافظة فينقلون عنها حرفاً بحرف افكار غيرهم من المتطفلين على موائد الادب ، او من احاديث المجالس العامة والمسامرات في ليالي الانس . فكل ذلك من قبيل الامور المبتذلة والافكار المكرَّرة والمبادئ المغربلة يتبادلونها على غير روية كأنها نقودٌ رائجة يقبضها الناس ولا ينظرون الى صورتها ولا يتفحصون ضربها ، وهكذا يهربون من الجفاف فيقعون في الهجنة . اما الكاتبُ الحاذق الذكي الفؤاد فبخلاف ذلك فانه ينتبه في ما يحدث فيه وحوله ويتأمل في ما رأى وقرأ ويدّخر لنفسه من ذلك كثيرًا من انواع الفكر لا يُعتّم ان يظهر للوجود ويبرز بحلل البيان فيحلى في عين كل انسان .

الفصل الثاني

في الحسّ

معنى الحساسة — الحاسّة هي قوّةٌ بها نحسُّ ونشعرُ . فالحسُّ هو ادراك

النفس الشيء باستحضاره باحدى الحواس وعلمها بـه . فلهذا الحسّ وجهان : تحصيلٌ، وهو التمتع باللذة عندما تستنشق رائحة ذكيةً . وتمثيلٌ، وهو علمك ان تلك الرائحة هي رائحةُ بنفسج لا رائحـة وردٍ ولا زنبقٍ وانك تستحضر زهرةً خصوصيةً. أما بعرف اهل الفن فلفظ الحسّ يطلق على الوجهين المذكورين. والغرضُ من كلامنا في هذا الباب انما هو وجه الحس التمثيلي .

اما الشعور فهو ادراك اللذّة والألم المعنويين اي المتسببين عن التصور كما لو تذكَّرت فظائع نيرون فتحرّك فيك الغضبُ والانتقام .

فبين الحس والشعور اذاً فرقٌ اساسيٌّ . فالاول يتولّد من استحضار شيءٍ ما ماديّ . والآخر بتمثيل صورة عقلية . هذا يزول بزوال المادة فانك اذا ما ابتعدت عن البنفسجة لا تستنشق بعد ذلك رائحتها، وذلك يستمر بغير انقطاع كاستمرار التصور بنفسه .

مرتبة الحواس — ليس لكل واحـدة من الحواس اهمية متساوية بأهمية الاخرى بالنظر الى الحس . فحاسّة الذوق واللمس والشم ليست من الحواس التي يستعين بها الرسّام والشاعر استعانةً معتبرةً، فان الحاسّتين الفنيتين انما هما السمع والبصر، فبدون السمع يمتنع النطق بالكلام وتنقطع طرق التخاطب والتفاهم وتُسدّ مجالات الفصاحة والبلاغة ويضرب على فن الغناء الضربة القاطعة. اما العين فتبصر الالوان والاشكال والخطوط التي يصفها الشاعر والناثر .

صفات الحس — كل ما في الحس من الصفات يمكن حصره بواحدة وهي الصدق، فانه يقتضي ان ننظر الى حقائق الاشياء بعيننا الباصرة لا بعين الاجسام الكثيفة ولا بعين قرّاء الامس . فالشيء لا يكون سهلًا بحسب ما يظهر فور رؤيته ولا بدَّ من الدقة في النظر الى الامور الطبيعيـة بنفس سليمة الفطرة وطاهرة السليقة . ولا بد من التروي في مراقبتها والصبر عليها ريثما ترتسم فينا ضروباً من الحس صحيحة .

فاننا نرى اكثر الكتّاب في هـذا العصر يقتدون بمن سبقهم وينتحون مناحيهم في ابواب الوصف وغيره من فنون الكلام ولا يعتمدون على ما يرتسم في قلوبهم من ضروب الحس الجديدة الفطرية .

صفات الشعور — لا بد لكل شعور من ان يكون صادقاً فطرياً . وقد يكون بحسب استعداد الكتاب رقيقاً شريفاً سامياً .

الصدق والاخلاص في الشعور — الشعور الصادق هو ما ادركه الكاتب نفسه . فان اندفع الشاعر بنوع من الشعور يقتضي ان يكون ذلك النوع انطبع فيه وتمكن منه والّا فان كان شخصاً فيطلب من ذلك الشاعر ان يجرّد من شخصه شخصاً آخر شاعراً شعوراً حقيقياً بما ينشده وان يحيي بالخيال من يمثله .

تنبيه : الى هنا انتهى قلم الاستاذ الاب نعمة الله ابو ناضر في جريه بهذه الابحاث الادبية الطريفة اللذيذة وطرأ ما صرفه عن متابعتها . رحم الله واضعها عداد ما له من الحسنات والمبرّات .

حفلة ادبيّة

وزّع الاب نعمة الله ابو ناضر هذه الابحاث الادبية التي مرّت على تلاميذه ليستظهروها ويلقوها في حفلة ادبية أقيمت في ختام السنة المدرسية بحضور الرئيس العام ومدبّريه واساتذة المدرسة وآباء الدير ، وجعلها بين الاستاذ وتلاميذه وافتتحها ابو ناضر بهذه التوطئة التي كتبها عن لسان الاستاذ والمقترح وهي :

الاستاذ — ان ما وجّهنا العزيمة اليه ، وامضينا النية عليه ، من نظم عقد هذا الاجتماع في هذا النادي الحافل ، ليس هو الّا الالماح الى ما اقتبسناه بجهد كامل ، في مدة هذه الايام التعليمية ، من فرائد الفوائد السنية . فإنّا ولا نخشى المبالغة في ما نقول ، بحيث لا نتجاوز المعقول . قد خضنا في عباب علوم البيان الرائعة ، وحسرنا اللثام عن وجوه محاسنه الشائقة ، فاستخرجنا من كل دقائقه ، ووقفنا على جميع حقائقه ، حتى انكشفت لنا اسرار الفصاحة ، واتضحت لنا مناهج البلاغة ، فوردنا ينابيعها الصافية ظامئين ، وصدرنا عنها مرتوين حامدين . ولسنا ممن قال عنهم صاحب التلخيص ، المقيّد شوارد هذا الفن بالتنصيص : انهم جماعةٌ هم اسرى التقليد ، طفقوا يتعاطون علم الادب من غير توثيق ولا تسديد ، ويحومون في تحرير مقاصدهم حول القيل والقال ، ويقتصرون من تقرير لطائفه على ذكر المقام والحال ، لا تخرج عن ربقة التقليد اعناقهم ، حتى تسرح في رياض التحقيق احداقهم ، ولا ترتفع غشاوة التعصب عن بصائرهم ، حتى تنطبع

دقائق التعقل في ضمائرهم ، كل بضاعتهم اللجاج والعناد ، وجلّ صناعتهم الانحراف عن منهج الرشاد ، فهيهات التنبه للرمزة الدقيقة الشان ، او التفطن للمحة الخفية المكان .

هذا واهم ما نقصده بالتئامنا في هذه الحفلة ان نفي فرضاً ونكسب رضىً وان نلوّح الى تحقيق الآمال فينا فنفوز بما نطلبه من نجح امانينا ، ببركة ابينا قدس رئيسنا العام المفضال ، الآباتي اغناطيوس داغر التنوري البالغ أعلى ذروة الكمال ، ودعاء حضرة الآباء المدبرين الكرام ، وجميع الحضور من الآباء ذوي الاحترام .

المقترح – حيّاك الله وبيّاك ايها الاستاذ البارع وصاحب العلم الواسع انني ابحث منذ امدٍ طويل عن استاذٍ مثلك متضلع بالفنون الادبية لعلّه اذا اجتمعت به يزيل عن عقلي غشاوة من الابهام والغموض جعلت همي في جلائه لتتبين لي الحقيقة من ورائه . فاني طالما قلّبت الطرف في كتب الآداب العربية الرائجة في مدارس هذا العصر من كل قطرٍ ومصر فلم أرَ كتاباً يبرّد لي غليلاً ، او يغنيني عن نصيٍ فتيلاً . فاليازجي كلّه معميات ، زاماجي ، والقزويني بات يبرمني ويضنيني ، والتفتزاني زاد اسقامي واحزاني ، والتلخيص جاء بكل معنى عويص . واما المفتاح فأغلق عليّ ابواب الفلاح وراح ، والشرتوني سالك طريقهم فلم يفرج كربي ولم يزل شجوني :

فكم تعبتُ وكم شُقيتُ م وكم حنقتُ على القَدَرْ

فاستنشدك الله ان تجود عليّ باستماع انفاسك ، لاستضيء باشعة نبراسك ، وضالتي التي انشدها فوزّ التصور من الامور البديهية وان البحث فيها ولا ريب حكمٌ على كل اديب ، الا وهي شرحٌ موجز بعبارة مرضية تكشف لنا النقاب عن نشأة العلوم الادبية وتكون توطئةً لها ، وتجلي لنا مؤداها ومآلها وتبين لنا كتب التدريس فيها والفنون والادب ومؤلفيها وما يتعلق بذلك من معنى الحسن الرائع ، والمثال النظري الواسع ، ومذاهب الكتّاب وما هو مقام المبادئ الاولية في هذا الباب ، فاني لم اقف على اصل ولا على فصل هذه المباحث ولم اعثر على ما يلمح الى ذلك في بابٍ ولا في فصلٍ . فهل لك على

قضاء حاجتي في هذا الامر منّة ، ولك مني وافر الشكر والمنّة .

الاستاذ — سبحان الله اني لا ريب شاري منك اديباً يدري بحقيقة تدري لان ما تتقاضانيه الآن قد قضيت مـدةً من الزمان في تحصيله بقلبٍ ظمآن وطرفٍ يقظان . وطالما تمنيت ان يسألنيه اديبٌ مثاك فافتخر بما عرفت واخدم العلم واهله بما اكتشفت. فاقترح علينا ما بدا لك في هذا الباب ، حتى نُجيب سؤلك باحسن جواب .

هنا يقترح المقترح على الاستاذ ، والاستاذ يكلّف تلميذًا من التلامذة بردّ الجواب على اقتراحه الى النهاية . . .

المقترح — اجل ! لقـد ملكني ما رأيت في الاخوة الادباء من الفضل واسترقني ما ظهر منهم من البراعة. ولعمري انهم اصابوا شاكلة الامر واستحقوا وافر الشكر. فلم أرَ ما سمعتُ منهم في كتاب ، ولم تدوّن مثله اقلام الكتّاب ، على ان الطمع يلجُ بي الى الاستفادة عمّا هي آداب اللغة والفنون ومراتبهـا والحسّ والمُثل النظرية ومذاهبها فان ذلك نعمة يعجز عن قضاء وصفها لساني ولا يقوم بحق شكرها جناني الخ . . . اه

حضرة الأخ الفاضل البروفسور شبلي العزيز حفظه الله تعالى

عقب وفاة [illegible] إلى بيت [illegible] الله على [illegible] وتوفيق ورد إلى تحريركم [illegible] أسف [illegible]

فكنت مسرورا جدا لأن [illegible] محترم وشاكر جدا منه شعوركم اللطيفة إن شاء الله تعالى بعد سنة قليلة

أو أنه [illegible] أكون عندكم [illegible] حيث [illegible] سيدي الأستاذ العالم الفلكي المحترم و [illegible]

[illegible] العزيز المحبوب. وأني مستعد أن أعوض لكم عما خسرتم من الدروس إن شاء الله تعالى [illegible]

[illegible] وأخباركم معا [illegible] الواقع من نفس الباب. لا تتأخروا في مكاتبتي [illegible]

عنكم وعن سيدي الأستاذ العالم الفلكي المحترم و [illegible] الدير أطال الله تعالى [illegible] فقبلوا شكري

[illegible]
نعمة الله
[illegible]

كانون [illegible]
١٢

سلامي المخصوص [illegible] المحترم وتولوا [illegible] أن [illegible]

[illegible] لم [illegible] على [illegible] ذلك [illegible]

[illegible] أو [illegible]

[illegible] أسبوع أنه يأخذ ذلك منه فرصة [illegible] الذين يترددون إلى [illegible]

[illegible] باحوص على البرج [illegible]

لا تتأخروا في رسائلكم

بعض آثار من قلم الاب نعمة الله ابو ناضر
الراهب اللبناني

رأينا ان نذيّل هذه الابحاث الادبية ببعض آثار من قلم الاب نعمة الله ابو ناضر .

الاول كتاب

ارسله الى الاب انطونيوس شبلي اذ كان اخاً دارساً عليه يدعى : الاخ اغناطيوس ، واننا ننقله على الزنكوغراف احتفاظاً بخطه الاسلامبولي الجميل :

نصّ الكتاب

حضرة الاخ اغناطيوس شبلي العزيز حفظه الله تعالى .

غب وافر الاشواق الى مشاهدتكم الانيسة على كل خير وتوفيق . ورد اليَّ تحريركم حاملاً اصدق عواطفكم فتلوته مسروراً جداً لاعرابه عن صحتكم ومتشكراً جداً من شواعركم اللطيفة . ان شاء الله تعالى بعد مدة قليلة لا اقدر ان احددها اكون عندكم واغتنم بلثم راحات قدس سيدي الاب العام الكلي الاحترام[1] وبرؤيتكم ايها العزيز المحبوب . واني مستعد ان اعوض لكم عمّا خسرناه من الدروس . ان شاء الله تعالى باقتران اجتهادي واجتهادكم معاً نسد العجز الواقع من هذا الباب . لا تتأخروا عن مكاتبتي لاجل الاطمئنان وعن سيدي الاب العام الكلي الاحترام ولفيف الدير . اطال الله تعالى عزيز بقائكم .

١٢ كانون ثاني سنة ٩١٤

اخوكم
نعمة الله ابو ناضر
لبناني

١) هو الاب اغناطيوس داغر التنّوري الذي كان يكلّف الاب نعمة الله ابو ناضر بحلّ المشاكل الصعبة . ولم يكن هذا الاب يغيب عن دير سيدة المعونات في جبيل ، مقرّ الرئاسة العامة الّا اذا أُرسل بقضاء مهمّة .

سلام خصوصي لقدس الاب اجناديوس المحترم[1]. وقولوا لقدسه (الاب العام) ان وصيته لي بشراء جبوب فلس قد تمّ ولكن لم اهتدِ على من أرسل ذلك لقدسة معه . فاذا اوعز الى الاب بولس السبعريني ان يوصي احد مكارية او تجّار جبيل الذين يترددون الى بيروت كل اسبوع ان يأخذ ذلك من فرمشية باخوس على البرج . واذا توفقتُ بوجود احد ذاهب الى جهتكم لا اتأخر عن ارسالها .

الثاني : كتاب ايضاً

ارسله الاب نعمة الله ابو ناضر الى الاب انطونيوس شبلي
اذ كان في دير سيّدة نسبيه ، غوسطا ،
يقف على طبع كتاب له بمطبعة الاباء البولسيين في حريصا

عن دير مار موسى الدوّار في ٨ تموز ١٩٣٠

حضرة الاب الجليل الفاضل الجزيل الاحترام .

لا يخلو ذكركم من بالي أيها الحبيب وقد شقَّ عليَّ ما بيننا من البعد الذي يهيج مني الشعور ويزيد في لواعج اشواقي سعيرًا .

اني امثلكم امامي بما انتم عليه من اللطف والدعة والوداد والمقة . كأني اسمع كلماتكم الكاشفة عن هممٍ عالية وافكارٍ غالية وتتراوَن لي تارةً طروباً وطوراً مكروباً . ولا يقدح كل ذلك في ما بكم من دماثة الاخلاق ورقة الطباع وسلامة النية وحسن الطويّة .

كتبتُ لكم جواباً على تحريركم في اول شباط عن محطة صربا وهو آخر عهدي بالكتابة اليكم ولم اعلم ان كانت وصلت اليكم سطوري تلك او لا . فارجو الافادة عن احوالكم وصحتكم واشغالكم وراحتكم وما لو كنتم باقين في مكانكم او مستعدين على الرحيل . الحاصل انكم تعلمون ان اخباركم تهمني فلا تبخلوا بها عليَّ .

---

١) هو قدس المدبّر اجناديوس سركيس رئيس الرهبانية اللبنانية العام سابقاً ، وكان الاب ابو ناضر كاتم اسراره .

عندي كتاب صغير احبّ ان اطبعه وقطعه صغير مثل قطع الاقتداء بالمسيح للاب ڤرنيه اليسوعي واظن انكم واقفون عليه وان فاتكم فلا يفوت البولسيين . استفسروا لي من مدير المطبعة عمّا يكلّف الطبع اي الكراس من مثل هذا القطع وافيدوني عن آخر سعر فان صحّ إرسلته اليكم لتتفقوا على طبعه والّا استغنت بمطبعةٍ اخرى . وعليه لا تتأخروا عن جوابي وانا بانتظاره يوماً بعد يوم .

اقبلوا عاطفة محبّ لا يطلب سوى ان يروي غليله بساعة من الوصال ولا يدعو الّا بطول بقائكم بخيرٍ وسلامة . اخوكم

نعمة الله

ابو ناضر

والكتاب المقصود طبعه هو ترجمة الاقتداء بريم لذلك احبّ ان يكون بقطع الاقتداء بالمسيح اخيه[1] .

الثالث : خطاب

اقترحه الاب اغناطيوس داغر التنوري رئيس دير مار قبريانوس كفيفان ، على المبتدئ الاخ نعمة الله ابو ناضر فوضعه مختصرًا وبعبارة ناعمة لطيفة وضمّنه كثيرًا من العواطف الطيّبة المخلصة طبقاً لارادة المقترح الذي تلاه بحضرة البطريرك الياس الحويك بمناسبة تشريفه دير كفيفان . وهذا هو الخطاب نقلاً عن المسودة الاصلية بخط الاب ابو ناضر :

مولاي

انني اتكلّم بالاصالة عن نفسي وبالنيابة عن هذه النصوب التي غرسها

١) لما وصل هذا الكتاب باسمي الى دير تنبيه، كنتُ غادرته الى دير حوب لتمضية فصل الصيف فيه فأُرسل اليّ الى هناك .

وقد مرَّ ذكر كتاب « الاقتداء بريم » الذي نقله الاب نعمة الله ابو ناضر من اللسان الفرنسي الى اللسان العربي وقد حدَّثني عنه في رسالته هذه . وهو لم يزل بخطه المُشرق محفوظاً عندي . ا. شبلي .

عينك وصوّرتها فضيلتك واحياها غيث انظارك وبركاتك ورفعها تشريفك اياها الى اوج الكرامة فاقول: ان اعمالك العائدة لخيرنا نعرفها وسهرك علينا نعظّمه والتفاتك الينا نجلّه ومعروفك نحونا نشكره. فيا رجل الخير بل يا رجل الفضيلة الذي أبت نفسك ان تنظر في جميع اعمالك المبرورة ومآثرك المشكورة غير الفضيلة التي اقنومها مجد الله. انك لما رأيت ربح تجارتك ومجد الله وخير القريب في ابنة الطائفة رهبانيتك هذه، افرغت كنانة جهدك فاخترت ديرًا فيه ضريح رجل الله صاحب المعجزات الاب نعمة الله الحرديني الراهب اللبناني ذلك البارّ الذي أقته حارساً له وأسكنتَ فيه نعاتك وسندته بيمينك. وزرته بشخصك غير مبالٍ بوافر تعبك طالباً من هذه الغراس ان تثمر اثارها بعد ان تشرب حليب التقوى وتأكل خبز الفضيلة وتلبس حلّة التجرد وبذل الذات وتتشح بوشاح النسك والعيشة المترّبة وتسير على طريق القانون المقدس الى ان تصل الى برج كمالها. فلهذا مولاي لا نحسبك رجلاً عالماً ولا فيلسوفاً مفحماً مقنعاً ولا لاهوتياً شارحاً كتب الله وصاعدًا الى مركزها ولا فاضلاً في المحامد والمكرمات ولا حبرًا سالباً قلوب الملا ولا بطريركاً قابضاً على ازمّة الطائفة، بل نعتبرك ملاكاً في صورة انسان أرسلت من سماء السماوات لتحرس الطائفة المارونية وتقف ذاتك لخيرها وتمتني في اولادها .

هذا ولما كان كلامي فيك على قدري لا على قدرك، فرجائي ان يكون رفقك بي على قدرك لا على قدري . على اننا نعدك مولاي أمام رسل المسيح ساداتنا الكرام وهذا المحفل الحافل باننا نتمم الدعوة التي دعينا اليها اتماماً لمقاصدك الصالحة ونيّاتك المقدسة قائمين بفروضنا البنوية نحو غبطتك وساداتنا وطائفتنا، وما هذه الفروض الّا الصلاة لتوفيق مساعيك وتحقيق امانيك لتقلع وتغرس وتبني وتهدم . ابقاك الله مجدًا للبنان وفخرًا للطائفة وسندًا لنا وهو السميع المجيب وعلى كل شيء قدير .

الرابع : خطاب

ترحيبي ايضاً بزيارة السيّد البطريرك الياس الحويك
دير الابتداء مار قبريانوس كفيفان

بقلم الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

ايها السيد الكلي الغبطة .

اننا ايها السيد الكلي الغبطة منحنون امامك ، متبركون بلثم مواطئ اقدامك ، وقد اخذ الفرح بمجامع قلوبنا وسرت الحمّية فينا سريان الدم في العروق ، لان تنازل غبطتك الى تشريف ديرك هذا المبارك بزيارته السعيدة ، نعمةٌ كبرى ومنّةٌ عظمى توجب علينا ما لا نستطيع ان نفيه حقهُ ما طال العمر باعلان الشكر وجميل الذكر ، لأنّا والحقُّ يُقال لسنا جديرين بمثل هذه الكرامة التي جاءت فوق ما نتمنى .

فانك ايها السيد السند الذي نستغني به عن كل مدد ، لم تألُ جهدًا في تعزيز الطريقة الرهبانية ، تشهد لنا بذلك اعمالك المبرورة وآثارك المشكورة ، التي تحدّث بها الحادي في كل وادي ، من مساعٍ خاصة في هذا السبيل ومن لهجةٍ متواصلة في كل مجلسٍ تتصدّره ومن مراسيم متعددة لولد غبطتك سلفنا[1]، وهي تنطوي على فقرات نفائس ظهرت عليها مسحة الهية وفاحت منها عبقة رسولية زكية اعلاناً بما خالج فؤادك من الحبّ الخالص والشوق الفائض والعناية والاهتمام بأمرنا ما اذا قابلناه ببذل حبات القلوب لا نكون لَعمر الحقِّ وفينا جزءا من حقه ولا تقاضينا من انفسنا ما توجبه نعمك المتوالية علينا احساناً وفضلًا ونحن لم نكن لها اهلًا .

ويشهد بذلك ايضاً تنازل غبطتك الى تشريف ديرك هذا الذي هو وجهة

---

١) يظهر ان الذي تلا هذا الخطاب بحضرة البطريرك هو الاب اغناطيوس داغر التنّوري معلّم المبتدئين وقد خلَفَ الاب الكفري الذي أُنتخب رئيساً عاماً، بهذه الوظيفة. والبطريرك كان زائرًا رسولياً على الرهبانية ويحسُّ دير الابتداء وكلما سنحت له الفرصة كان يزوره بذاتهِ او يرسل من قبلهِ لزيارتهِ احد مطارنة الكرسي البطريركي — الناشر .

عنايتك الخاصة وموضوع حنانك القلبي المحصّن بجلول وكاب غبطتك فيه مرات متعددة وبسهرل على جمهوره وبمرافقتك اياه بالروح في ممارسة رياضاته الروحية كأنك بذلك الملاك الذي ارسله الرب ليرافق طوبيا البار في سفره فأدى الرسالة حقها من حراسته حتى اعاده الى بيت ابيه بعد تقل السفر وقضا. الوطر والحصول على البصر . فانت انت ايها السيد الكلي الغبطة ملاك حارس لدير كفيفان هذا معهد التقوى ومقرّ الفضيلة والعبادة والزهادة الذي هو بمنزلة طوبيا الثاني السائر جمهوره في طريق التوبة الضيّق الذي دعانا الله الى سلوكه، كأن الله ندبك لحراسته. فبنورك نعاين النور وبحسن التفاتك تحيي وان طوتنا القبور ونسترجع الاعتبار الذي خلّفه لنا اجدادنا القديسون ، فان عندنا واحداً منهم الا وهو الراهب العجيب الاب نعمة الله الحرديني ، من تضرب الركبان بطون المطايا اليه وتتهافت قلوب المؤمنين الخاشعة عليه ، من قامت معجزاته بين العجم والعرب تميط عن وجه الحق الواضح لثام الريب .

***

فقصارى القول ان غرضنا الوحيد هو حرصنا الشديد على احيا. قوانيننا الرهبانية والسلوك بموجبها سلوكاً لا تشوّه وجه محاسنه شائبة . وهذا هو الاس الذي يدفعنا الى التمسك بوصاياك الجليلة والاخذ باوامرك المنيفة الصائبة التي وقفنا لها الاسماع في السنة الماضية في مثل هذه الحفلة الزاهية اذ أودعتنا كلام حكمة كله لباب وارشادات كلها صواب. ثمّ بعثت من بعد بأحد رسوليك(١) القائمين حولك في هذا المجلس الحافل بك فأبان فيما ابان ان الطائفة تأسست على الراهب واتخذت اسمها منهُ ونمت واشتدت بالراهب الى هذا العصر . ثم صرّح انهُ يتمنى ان تتكلّل بالراهب ايضاً .

ولما كنت البغية التي يؤمّها هذا الراهب والعروة التي يستوثق بها والركن الوحيد الذي يُلتجأ اليه والعَلَم الفريد الذي يُعقد عليه شديد الآمال في تحسين الاحوال ، رمى بنا اليك حادي الرجا. الذي قرب ميقات تحقيقه فجئناك كما جاءت امرأة الفاقة هيكل الرب مبتهلةً طالبةً مولوداً ذكراً فانها اكتأبت فبكت

(١) نظنّهُ المطران يوسف نجم .

فصلّت فنذرت نذرًا . فلما رآها الحبرُ تختلج ظنّها سكرى فقال : افيقي من خمرك . فالتمست لنفسها عذرًا وقالت : كلّا يا سيدي اني امرأةٌ مكروبة النفس لم اشرب خمرًا لكني اسكب نفسي امام الرب واتكلّم من شدّة ما بي من الوجد . فقال لها ابشري انطلقي بسلام فإلهُ اسرائيل يعطيك بغيتك التي التمستِ من لدنه سرًّا .

فهلّا تُسمعنا من فيك الطاهر مثل هذا ايها السيد الكلي الغبطة ؟ فان البغية التي نقصدها والضالة التي ننشدها لا يتوفق الحصول عليها ولا الاهتداء إليها الّا بمواصلة انظار غبطتك الكريمة وقايةً من معرَّة تلحقها فتودي بها فتسحقها وتمحو ما تألّق فوقها من سناء وبهاء . وهلّا ترمي الى هذه الرهبانية بردائك كما رمى به النبيُّ شفيعك فتضرب هي به سيل العراقيل فينفلق فتعبر كما عبر اليشاع الاردن وتحلُّ روحك عليها كما حلّت روح ذاك النبيّ الحيّ على خلفه .

وحسبي اخيرًا ما قال الشاعر : وفي النفس حاجاتٌ وفيك فطانةٌ . . . حقّق الله نيّاتك الصالحة لتنهج المناهج الواضحة لنا نحن الاخوة المبتدئين والرهبان الدارسين في دير كفيفان ابناء غبطتك الاخصاء واولاد الرهبنة القاصرين . فلتتم فينا على يد غبطتك مشيئة الله سبحانه تعالى الذي نرفع اكفَّ الضراعة اليه طالبين منه ان يجازي غبطتك اضعاف الجزاء ويزيدك بنعمه الوافرة ويضيء فوقك شآبيب الآنه الزاخرة ما دار بقدرته فلك وسبّحه فوق عرشه مَلَكٌ آمين ه .

الاخ نعمة الله ابو ناضر

اللبناني

الخامس : خطاب

تلاهُ احد المبتدئين بمناسبة زيارة احد

السادة المطارين دير مار قبريانوس كفيفان

بقلم الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

ايها السيد المفضال .

انكم ترون الآن كلَّ جمهور هذا الدير يسابق بعضه بعضًا لتأدية مراسيم السلام والتحية لسيادتكم وابداء شعائر الفرح والبهجة بتشريفكم ديركم هذا

المخصوص بمتدني الرهبانية والتبرك بالانحنا. لثم انامل سيادتكم الطاهرة بخضوع يسرُّ به قلبكم الابوي سروراً جزيلاً .

ولا عجب في ذلك ، ايها السيّد المفضال ، لان الاب والابن اذا التقيا بعد فرقةٍ يفرح بالطبع كلٌّ منهما بالآخر فرحاً يساوي ما يكون بينهما من حدود المحبة والتعلّق .

ومن المعلوم لدى الخاص والعام والوطنيّ والاجنبيّ ، ما لابناء الطائفة المارونية من التعلّق الشديد بساداتنا الاجلاء . لا سيما برأسنا المحروس الذي نفديه بالنفوس صاحب الغبطة سيّدنا البطريرك (الياس الحويك) الكلي الطوبى. أيدهُ الله تعالى .

ومن المقرر ايضاً ما في قلوبكم جميعاً ، ايها السيّد الجليل ، من المحبة لنا والعناية بنا نحن ابناءكم الاخصاء متدني دير كفيفان . فكيف لا نفرح الآن بتشريفكم الذي فعل بنا فعل السلافة المعتّقة فأضحينا ثملين من المسرّة والحبور. واننا على يقين مما يشغل قلبكم الطاهر من لواعج الحنان الى اولادكم هؤلاء المشمولين بانظاركم الخاصة الذين تعلّقون عليهم آمالاً تبذلون في سبيل تحقيقها النفس والنفيس .

فلا ننكرُ ما لكم من العناية والاهتمام بأمر الطائفة المارونية عموماً وما لكم من الفضل في ذلك . ولا ننكرُ خصوصاً ما لكم من المحبة نحو اولاد الرهبانية هؤلاء المتمثلين لدى سيادتكم وقلوبهم تختلج من الحب والوقار ، الذين يتمنون لو لبثوا تحت انسان عين سيادتكم مدةً مديدةً حتى يرووا غليلهم من مشاهدتكم التي تحرّك في صدورهم نشاطاً جديداً ويتبركون بتكرار لثم انامكم الطاهرة اذ انتم ركنٌ نفتخر به ونجاهر بالثناء عليه ونشهد بفضله وقداسته على رؤوس الملا . كيف لا وقد التأمت فيكم جميع الصفات التي تدعوكم الى الكرامة والرفعة من احراز العلوم المختلفة والفضائل السامية والمدارك العالية والاعمال الباهرة والمشروعات الظاهرة ، فضلاً عمّا خصّكم به الله تعالى من الحكمة والفطنة وشريف المبادئ التي تحتاج اليها الملّة والرهبانية في هذه الآونة .

فعليه ننتهز الآن هذه الفرصة ونقدّم لسيادتكم مراسم التبريك وفروض التهاني بحلول عيد الميلاد السعيد واقبال العام الجديد، اعادهما الله على سيادتكم اعيادًا جديدة واعواماً مديـدة وسيادتكم محروسون بجنود ملائكة السلام ورافلون بحلل وافر النعم، ونهديكم قلوباً تشتعل بلهيب المحبة والاختصاص والوقار والاخلاص، ونرفع بلسانٍ واحدٍ الدعاء الحي الى الله تعالى ملتمسين من جوده الالهي ان يزيـد مبادئكم الخيرية ويحقق نياتكم الخالصة لوجهه الكريم ويحفظكم بالسلام والامان ذخرًا للطائفة جمعاء، ولا سيَّما لابنائكم الاخصاء .

٢٩ كانون الاول سنة ١٩٠١

الاخ نعمة الله ابو ناضر
عن مبتدئي دير كفيفان

قصيدة .

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر

اقترحها عليه تلامذة مدرستنا في بيروت
وتلاها احد الاخوة الرهبان الدارسين في حفلة اكرامية أُقيمت
للطيِّب الاثر الاب مبارك سلامه المتيني
رئيس الرهبانية اللبنانية المارونية العام سابقاً ومنشئ المدرسة المذكورة
تهنئةً له بعيد الميلاد المجيد والعام الجديد

طمح القريضُ الى علاكَ فخوَّدا ... مستصحباً حمدًا اليك منضَّدا
يهتزُّهُ طربٌ اليك وطالما ... طرب المحبُّ الى الحبيب توجُّدا
فاعطف عليهِ بنظرةٍ بسطت لهُ ... في القلب اجنحة القبول ليسعدا
فلقد رصدتُ مديح ذاتك صادياً ... يوماً ابلُّ بهِ من القلب الصَّدى
فوقفتُ بـين مآثرٍ ومكارمٍ ... لو انهـا عُقَدٌ لكان مخلَّدا
ودهشتُ بين فواضلٍ وفضائلٍ ... لو انهـا عُقَدٌ لظلَّ موطَّدا

شيمٌ اذا افتخر الزمانُ فانها شرفٌ يروح بهِ الزمانُ مسوَّدا
رقَّت فباركها النسيمُ فآنست عبارك الاخلاق شهماً اوحدا
رجلٌ اذ جسّمت غرٌّ صفاته قلّدت اعناق القصائد عسجدا
أَلِفَ الفضيلةَ منذ عهد فطامهِ صباً مبرَّات الفعال تعوَّدا
رجلٌ تجرَّد للصلاح فنال من كَرَم المهيمن ما اليهِ تجرَّدا.
ذو غيرةٍ في الدين قلَّ نظيرها رقّتهُ من متن الرئاسة مقعدا
فسما اليها خاشعاً متواضعاً يبغي نجاح أمورها متسهّدا
فأقام مدرسةً يظلُّ فخارها ابد الابيد معزَّزاً ومشيَّدا
ان نعفُ م ما عبث الزمان بذكرها بل دام ذكرٌ قديماً متجدّدا
ما السيفُ امضى مضرباً من عزم من يعلو بهِ رأيٌ يظلُّ مسدَّدا
يسعى وراء المكرمات مجرِّدا عزماً يفلُّ بشفرتيهِ مهنَّدا

***

طلعت فعائلهُ بغرَّة وجهها كالعيد اسفر وجههُ متوقّدا
فتماثلا في النور لكن لم تكن لتردَّ مثل العيد طرفك ارمدا
عيدٌ تبلّج ثغرهُ فجلا الدجى بسناه مولد من اراد تجسُّدا
طار المجوسُ اليهِ حيثُ هداهمُ نجمُ الملاك فخرّوا ثمّت سجَّدا
فكأن ذاك النجم علك تقتفي آثارهُ أنّى اشار وارشدا
ما صدَّنا عمَّا نرومُ بمكره هيرودُ يوماً في سبيل بني الهدى
اذ نحنُ تحت لواء من يزهو بهِ الدينُ العزيزُ مكبّراً وممجّدا
هُنّئتَ بالعام الجديد وقبلهُ بولادة ابن الله فابقَ مؤيَّدا
تفني الزمان بما يدوم وذكرهُ باقٍ يطول بهِ الزمانُ تأوُّدا
واسلم تُظلّلك الحياةُ بوارفٍ من خَضْلها يفترُّ عن بَرَدِ الندى
فاليكها مثلاً بطاعتها لمن روض المكارم في علاهُ ترأدا

الاب نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

السادس : نشيد

ان الاب نعمة الله القدّوم الكفري لما سُمّيَ رئيساً عاماً كان معلّماً للمبتدئين في دير مار قبريانوس كفيفان . وفي زيارته الاولى لهذا الدير رئيساً عاماً رحب به الاخوة المبتدئون بهذا النشيد من نظم الاخ نعمةالله ابو ناضر وهو :

آنس القلب سرورْ عندما وافى البشيرْ
وبدا في الدير نور بات منهُ يستنير

دور

ها هو المختارُ حقّاً لرعاية النفوس
فلهُ الاكرام صدقاً ولهُ تُحنى الرؤوس

دور

هو للتقوى مثالْ بجلالٍ وكمال
ولهُ في الزهد حالْ ميّزتهُ لا تُطال

دور

رومةُ العظمى اصطفته كي يسوس الرهبنه
وتقاهُ عطّفته نحو أولي المسكنه

دور

خصّهُ اللهُ تعالى بعفافٍ كالملاك
وباحسانٍ توالى قد سما فوق السماك

دور

انعطف يا من تسامى نحو دير الابتداء
اننا صرنا يتامى او كمن اضناهُ داء

دور

انعطف نحو بنينْ سرُّهم ذا الافتقاد
باشتياقٍ وحنينْ منهم ذاب الفؤاد

دور

كنتَ فينا مثل شمسٍ تستشفي منها القلوب
منك شمنا كلَّ انسٍ قد جلا عنا الكروب

دور

ان نكن نحنُ القصونا كنتَ انت الفارسا
او نكن نحنُ الحصونا كنتَ انت الحارسا

دور

صانكَ الرحمنُ دهرًا ونأى عنك العنا
وحباكَ اللهُ نصرًا نلتَ غايات المنى

الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

السابع : نشيد

تُليَ في استقبال الرئيس العام الاب نعمة الله القدُّوم الكفري في دير كفيفان
من نظم الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

ها الرئيسُ العام شرَّف ديرهُ قبل الغياب
نورهُ ابهى وألطف من مصابيح السحاب

دور

حلَّ في القلب سرورًا بسمت منهُ ثغور
فاح في النادي عبيرًا أثلجت منهُ الصدور

دور

هو نورُ الله ضاءَ في سماءِ الرهبنه
هو غوثُ الخير جاءَ يهدي اولي المسكنه

دور

ها هو الراعي الكريم مقبلٌ نحو القطيع
ها هو الفضلُ العميم ها هو البرجُ المنيع

دور

فتقاهُ ونقاهُ منشرًا بين الورى
وحُلاهُ وبهاهُ عمَّا كلَّ الذري

دور

اسمهُ في النسك اضحى سائرًا كالمَثَلِ
ذكرهُ المسكيُّ أمحى مشكلات العلل

دور

صانهُ الرحمانُ فينا ووقاهُ سرمدا
فهو للرهبان مِنَّا فيهِ نرسى ابدا

دور

يا ابانا العامُ سُرًّا بلقآ هذه البنين
انهم جهرًا وسرًّا لم يزالوا خاضعين

دور

لك ندعو بفلاحٍ وهَنَا طول البقآ
ونجاحٍ وصلاحٍ حائزًا حسنَ الجزآ

الاخ نعمةالله ابو ناضر

الثامن : خطاب

أُلقي بحضرة الاب نعمةالله القدُّوم الكفري رئيس الرهبانية اللبنانية العام
في احدى زياراته دير الابتداء مار قبريانوس كفيفان
من انشاء الاخ نعمة الله ابو ناضر اللبناني

قدس الاب العام المفضال

من المعلوم ان ابناء قدسكم اخوتي المبتدئين والرهبان وجميع لفيف ديركم هذا، يبتهجون بمقابلة قدسكم ابتهاج الابن بمقابلة ابيه بعد غيابٍ طويل بل اكثر من ذلك، لان الابوَّة والبنوَّة الروحيتين أعلى درجةً من الابوَّة والبنوَّة

الطبيعتين واختلاف الدرجات يوجبُ الاختلاف في طبقات النسبة، فيكون اذن بيننا رباطٌ روحي اشدُّ مكانةً واشدُّ حباً من كل مناسبةٍ دنيوية. كيف لا ونحن نتخذ قدسكم كالمسيح الذي تمثلونه فينا ونتلقى اوامركم بمنزلة اوامر صادرة منهُ ونبادر الى العمل بمشيئتكم كما نبادر الى تلبية مشيئته لو ظهر لنا ظهوراً محسوساً وابدى لنا اوامر من لفظه المقدس. والذي يزيدنا سروراً على سرور هو النظر بان قدسكم تمثلون لدينا ولدى كل الرهبنة سيدنا يسوع المسيح بصورةٍ اكمل وصفاتٍ اشمل لانكم جمعتم من الفضائل المسيحية والرهبانية اكثر مما جمع منها غيركم فاستحققتم ان ترقوا الى هذا المقام السامي وتشخصوا امام اولادكم جميعاً معلّمنا الالهي. فأيّة فضيلة لم تحرزوها وايّ عملٍ من اعمال النسك لم توفوهُ حقَّهُ. فلا سبيل لي الآن الى ان أعدّد ذلك واحصيه واكشف عن حقائقه وهو معلوم جميع جماهير الرهبان والخاصّة والعامّة من العالمين. غير اني استأذن قدسكم بان أبدي بعض ما تشعر به قلوبنا من عواطف التعلّق بقدسكم والاعتبار لكم بالنظر الى ما رأينا ولم نزل نرى منكم من الإعمال المبرورة التي تزيدنا في مسلكنا الرهباني والمساعدات الادبية والمادية التي تمدوننا بها والتي نحنُ باحتياجٍ اليها، فانكم لا تنفكون تعملون الفكرة في تحصيل جميع الاسباب العائدة الى اكمال تهذيبنا الرهباني وتثقيف اخلاقنا وترويضنا على ما تقتضيه احوال النسك والرهبانية.

فكم من الليالي احييتم في هذا القبيل، وكم من العناء كابدتم للحصول على هذه الغاية الشريفة، فان عنايتكم بذلك ليس فوقها عناية، ونحن نعلم ذلك منذُ كنتم تدبّرون شؤوننا هنا بالعقل الثاقب والفكر الصائب وعندنا اكبر دليل على شدّة اعتنائكم بنا وهو موازرتكم مَن خَلَفَكم[١] في هذه الخطة المهمّة رغبةً في احياء مآثر اجدادنا الرهبان القديسين في صدور اولادكم الاخصاء. أجنّة الرهبانية هؤلاء المسثلين الآن امام قدسكم وقلوبهم تخفق فرحاً وسروراً بوجودكم بينهم، لان وجودكم بينهم يُجدّدُ فيهم الحمية والنشاط ويهيجهم الى اعتناق الروح القانونيّ المجرّد والانقطاع اليه برضى وطيبة خاطر.

---

١) يريد به الاب اغناطيوس داغر التنّوري الذي خلف الاب الكفري بعد تعيينه رئيساً عاماً، في علم المبتدئين — الناشر.

فهذه هي الاسباب التي تدعونا الى الابتهاج في هذا اليوم السعيد الذي اتاح الله لنا فيه ان نتمتع بمشاهدة قدسكم والتبرك بالحصول على بركتكم والتيمّن بفيض انواركم علينا . ولكننا نحبّ كذلك ان نقابل ما تجودون علينا به من النعم بحسن التلبية قياماً بتحقيق رغائبكم والعمل بحسب حسن نيّاتكم المقدسة فانكم لا تكونون راضين عنا اذا رأيتمونا على خلاف ما تتمنون لنا من السير بحسب قانوننا المقدس ومراسيم الرهبانية بعدما تكونون بذلتم في سبيل ذلك ما بذلتم من الجهد والعناية . فعليه اننا نقدّم لقدسكم ارادتنا ايفاء بواجب الطاعة المقدسة، وقلوبنا قياماً بفريضة الشكر على فضلكم السابغ واهتمامكم الشامل، ونعدكم اننا نسلك في المستقبل طريق القانون ولا نحيد عنها مقابلة لحسن نيّاتكم فينا . فعلى هذه الصورة يسرّ قلبكم الابوي بنا ونكون تتمّنا الغاية التي يطلبها الله منا فيمتلئ قلبكم من الحبور والجذل . فلهذا اننا نطلب جميعاً من الله تعالى ان يؤيد قدسكم في ما انتم شارعون فيه من تمهيد سبيل الخير والنجاح في وجه أمنا الرهبانية ويقرن بالسعد والتوفيق جميع حركاتكم ويبارك اعمالكم لانها كلها آئلة لمجده الاعظم، ويعدكم بالعمر الطويل حتى تتمكنوا من تحقيق مساعيكم وتجهيز اسباب الترقي والنجاح والاقبال والفلاح، ويقودكم في هذه الطريق وانتم ثابتو القدم، وينعم عليكم بما ترومون من النعم ما كرّ الجديدان وتعاقب الملوان آمين .

اولاد قدسكم
مبتدئي دير كفيفان

التاسع : قصيدة

رحّب بها الاخوة الرهبان التلاميذ بقدوم الرئيس العام الاب نعمةالله القدوم الكفري الى دير سيدة مفوق . وهي من نظم استاذهم الاخ نعمة الله ابو ناصر

حلولك الدير أحيا ميّتَ الكمدِ ... كأنك الروح قد حلّت بذي جسدِ
بنور وجهك كحّلتَ العيون ضحىً ... فزال ما كان فيها قبلُ من رَمَدِ
انت الوليُّ الذي تعنو الرؤوسُ لهُ ... أغنى وجودك بين القوم عن عَدَدِ
خفّت لِلقياك ابناء بك انتعشت ... لذاك ترفلُ في اثوابها الجُددِ

جادت يداك علينا مذ حللتَ بنا ما لا يجودُ بهِ مرءٌ على أحدِ
لا غروَ إنا نراك الآن في طَربٍ كوالدٍ هيَّجتهُ رؤيةُ الولدِ
انت العمادُ الذي تقوى القلوبُ بهِ وكيف تسقطُ مذ قرَّت على العُمُدِ
بناء تسنيم حلمٍ انت مورِدُهُ تبدت نفوسُ أولي اللأواء والكَمَدِ
دبَّرتَ شأن جماهيرٍ قد انتقت بقرَّة العلمِ والاخلاقِ والمَدَدِ
لله من عضدٍ بالدين معتضدٍ بالنبل منتضدٍ بالفضلِ منفردِ
بالحلمِ مؤتزرٍ بالعلمِ مقتدرٍ بالعقلِ منتصرٍ بالروحِ مرتشدِ
بالحبِّ مزدهرٍ بالرأيِ معتبرٍ بالخيرِ مشتهرٍ باللهِ متّحدِ
فتحتَ كنزًا غنمناهُ على مهلٍ بالأمن بعد انهزام الضدّ والرَّصَدِ
نظَمتَ بالرشد اهل البرّ فانتظموا حالًا ولا كانتظام الدرعِ بالزَّرَدِ
دُمْ كيف شئتَ من النعمى فتلبسها فانت في مأمنٍ من غائل الحسدِ
ابقاك ربّ العلى كالشمس في فلكٍ ترمي اشعّة انوارٍ الى الابدِ

الاخ نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

العاشر : رثاء

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر الراهب اللبناني
وقد أقترح عليه

صوتٌ ينادي في العبادِ بدارِ هبّوا الى عمل الحساب الجاري
ألنا لردّ الموت هذا حيلةٌ فالموت سيفٌ حاصدُ الاعمارِ
من ذا يردُّ حياة من فتكت بهِ ايدي المنون سوى العلي القهّارِ
فالموت صار حقيقةً معلومةً وزمانهُ سرٌّ من الاسرارِ
فبما ترى نفدي الفقيد أيُفتدى بالمالِ او بالجاهِ او بعقارِ
يا ما اشدّ الحزن في قلب امرءٍ لعبت بهِ لُعَبًا يدُ الاكدارِ
في مصرَ يوسف اذ رأى اخوانهُ يأتونهُ من شاسعِ الامصارِ

قد قال يوسفُ يا أشقّةُ هل بنيتين حيٌّ بعدُ في الاديار
ماذا نجيبُ متى يُسائلُ يوسفٌ عن ظاهرٍ الّا بـدمعٍ جارٍ
يا وردةٌ بسقت وبلّلها الندى قُطعت بصمصام الردى البتّارِ
قد كنتَ نورًا فاضمحلّ ولا يُرى لك بعـد ذا أثرٌ من الآثارِ

***

كتبت يدُ الارزاء فوق جبيننا « ما هذه الدنيا بدارِ قرار »
انّا خُلقنـا للجنان ولم نكن لنقيمَ في وادي الشقا الغرّارِ
ان المسافر اذ يحـلُّ بارضهِ يرتاحُ بعـد تكبُّد الاسفارِ
بُعدُ الطريق يهول لكن قربها سهلٌ وقدْ يخلو من الاخطارِ

***

لا تبكينّ عـلى الفقيد فانهُ لبّى لدعوة ربّـهِ الغفّارِ
لا تبكينّ عليهِ اذ هو قائمٌ من حول عرش الخالق الجبّارِ
لا تبكينّ على نضارة عمرهِ فهو النضيرُ الى مدى الادهارِ
اللهُ يرغبُ في الاوائل راضياً عنها كما قد جاء في الاسفارِ
اني اعزّي كلَّ قلبٍ خاتمـاً قولي بقول الشاعر المختـارِ
« جاورتُ احبابي وجاور ربَّهُ شتّان بين جوارهِ وجواري »

الاب نعمة الله ابو ناضر
اللبناني

الحادي عشر : قصيدة

نظمها الاستاذ شاكر ابو ناضر (الاب نعمة الله) اذ كان علانياً ، هنأ بها السلطان عبد الحميد بعيد جلوسهِ الفضي ، نقلناها عن الاصل الذي هو بخط ناظمها وهي :

سألَ النسيمُ شقيقةٌ أينَ ذكاء سحرًا باخصب روضةٍ غنّاء
أفتلنا احدٌ وقـد زدنا الورى بـني ذُكائك دهشةً وذكاءِ
فأجابهُ مهـلًا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد يزينُ كلَّ سناءِ

***

سألَ الصباحُ اخاهُ بدرَ التمِّ في اسمى المنازل وهو عنهُ مختفِ
أفثلنا احـدٌ وبعضُ جمالنا منهُ أُستُعِيرَ سنى الجمال اليوسفي
فأجابـهُ مهلًا ألستَ بناظرٍ عبد الحميد وقد بدا في الموقفِ

***

سألَ الغديرُ اخاهُ غصنَ البانِ والعندليبَ موقّـعِ الالحانِ
أفثلنا احـدٌ وانّا لم نزل رَوحَ الجنانِ وراحةَ الانسانِ
فأجابهُ مهـلًا ألستَ بناظرٍ عبد الحميد مروّحَ الاذهـانِ

***

سألَ الهزارُ اخاهُ أطربَ عودِ وقتَ الصفاء بمجلسٍ معقودِ
أفثلنا في الكائنات وانّنـا لنذكّرُ الانسانَ بالمعبودِ
فأجابـهُ مهلًا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد معيـدَ كلّ سعودِ

***

سألَ الربيعُ اخاهُ زهرَ الوادي وهما حليفـا إلفةٍ ووداد
أفثلنا في الكائناتِ وانّنـا لَهوى الحسانِ ومنيةُ الزهّادِ
فأجابهُ مهلًا ألتَ بنـاظرٍ عبد الحميد بحلّةِ الاعيـادِ

***

سألَ السحابُ أخاهُ نوءَ الطرفِ وعليهما تثني الربى بالعرفِ
أفثلنا احـدٌ وانّا لم نزل نُحيي الرياض من الجفاف بوكفِ
فأجابـهُ مهلًا ألستَ بناظرٍ عبدَ الحميد يُريكَ بسط الكفِ

***

سألَ الهلالُ عروسةَ الزهراءِ وهما يطوفـان السماءَ سواءَ
أفثلنا احـدٌ وانّا وحدنا نسع الفضاءَ لطافـةً وضياءَ
فأجابت اقصرْ هل عيونك لا ترى عبدَ الحميد وقد علا الجوزاءَ

***

سألَ المثقفُ غربَ كلِّ حسامِ ... وهما قسيا حدَّةٍ وضرامِ
أفمثلنا احــدٌ وليس بغيرنا ... شقُّ الصدور وفلقُ كلِّ الهامِ
فأجابــهُ مهلًا ألستَ بناظرٍ ... عبدَ الحميد مذلّلَ الضرغامِ

***

سألَ الفضاء معلّقات شموسهِ ... تلك النشاوى من رحيقِ كؤوسهِ
أفمثلنا احــدٌ وانّا لم نزل ... في الكونِ حليتهُ وحليَ عروسهِ
فأجابت أقصرْ واستعدَّ لكي ترى ... عبدَ الحميدِ نهار عيد جلوسهِ

***

سأل الزمــانُ مغالق الاسرارِ ... في خفيةٍ عن عالمِ الانوارِ
أفمثلنــا شيءٌ وانّا لم نزل ... شغلَ القلوب وحيرةَ الافكارِ
فأجابت أقصرْ يا عزيزُ ألا ترى ... عبــدَ الحميد منفذَ الاقدارِ

***

سأل اللجينُ التبرَ عند عشيِّ ... وهما لقرّةِ عــينِ كلِّ غنيِّ
أفمثلنا احــدٌ ولولانا انقضى ... فخرُ الزمانِ وذلَّ كلُّ سريِّ
فأجابهُ كلّا اذا نلنا رضى ... عبــدَ الحميد بعيدهِ الفضيِّ

***

حسبي وحسبك ان تطولَ حياتنا ... عزًّا لخدمــة عيدهِ الذهبيِّ
ونظلّ نخدمهُ ونخدمُ من لهُ ... يــدعو بنيلِ الموسم الدريِّ

شاكر ابو ناضر

الثاني عشر : فروض التهاني (١)

مرفوعة الى اعتاب السيد السند والقطب الاوحد
غبطة البطريرك الياس الحويك الكلي الطوبى
بمناسبة قدومه الميمون من الديمان الى بكركي
لا زال محفوفًا بالمجد ومحفوظًا بالسعد

١ ت ٢ سنة ١٩٠٩

حقيقٌ بترحاب الخورنق قادمُهْ ... تُساوي بتيجان الملوك عمائمهْ
نأى فادلهمّ الجوُّ واعتكر الدجى ... وأقبل في يومٍ تولّت غمائمه
واذ همّ بالعود اكفهرّ السهى شجىً ... وفوق سما الديمان بانت علائمه
وقد ضحك المرّيخُ عند قدومهِ ... وحلّت روابي كسروانَ مباسمه
وسحّ تسقي الزهر دمعُ سحابةٍ ... فأبدت لهُ حسنَ ابتسامٍ كمائمه
ولا حرجٌ ان قلت أحيا ربوعنا ... ألا انهُ إلياسُ والقطرُ خادمه
ولا تعجبوا ان سُرَّ قلبٌ بسيّدٍ ... هو القلب في جسم الكرام ملاحمهْ
تزول دواعي الترّهات واهلها ... بهِ فهو مولى كلّ امرٍ وحازمه
غدا رأس قومٍ بالمفاخر مقتدٍ ... وقى اللهُ ان عادى وهاجت ضراغمه
لهُ في حمى لبنانَ برجٌ محصّنٌ ... تقيهِ معرّاتِ الاعادي مكارمه
ألا خفْ من المولى الذي غلب التقى ... عليهِ وخوفُ الله ظلٌّ يلازمه
فان على الحق المبين اساسهُ ... ومن جوهر الصدق الكريم دعائمه
مشاربهُ من مورد الدين رُوّقت ... ومن معدن العلم الصحيح مغانمه
وذكرُ اياديهِ يكنْ معيدها ... ودرُّ معانيهِ يُقصّرُ ناظمه

---

١) نظمها اذ كان استاذ اللغة العربية في مدرسة دير سيدة نسبيه – غسطا – وتلاها احد الاخوة الدارسين بحضرة السيد البطريرك. واتفق ان كان حاضرًا في بكركي المرحوم الشيخ فيليب الخازن صاحب جريدة « الارز » في جونيه فسمعها واعجبته فاخذها وطبعها بمطبعته على حدة .

اليك أبا الحق المفدّى قوافياً … لها قسمٌ الصدقُ الممحّصُ قاسمه
شذاها خليُّ البال من كلّ غمّةٍ … وقد بات يُبلى بالتخرّص لائمه
يهنّي هذا المعهدَ العاليَ الذرى … باقبال من طابت وجلّت مواسمه
فلا زال عينَ الافضلين وقلبهم … تخاف عواديه الردى فتسالمه
فهذا قليلٌ من كثيرٍ أبثّهُ … وما يكتمُ الوجدانُ فاللهُ عالمهْ

ولد غبطتكم
الحقير نعمة الله ابو ناضر

الثالث عشر : قصيدة

نظمها الاب نعمة الله ابو ناضر اذ كان كاتم اسرار قدس الرئيس العام الاباتي اجناديوس سركيس . وقد اقترحها عليه مدير مدرسة دير سيّدة النصر نسبيه – غسطا – لتتلى بمناسبة تشريف المثلث الرحمة المطران يوسف ضعر النائب البطريركي دير نسبيه المذكور لانالة بعض الاخوة التلامذة الدرجات الكهنوتية . وهذه هي :

ترنو الديارُ بعطفٍ مياسٍ … للقاء حبرٍ ظاهر الايناسِ
تهتزُّ من طربٍ لذاك تظنُّها … مذ جاءها في بهجة الاعراسِ
وتضجُّ تأهيلاً بهِ لما بدا … يزهو بحلّة عندمٍ في آسِ
عبقت طيوبُ المسك في ارجائنا … لمّا حباها طيّب الانفاسِ
وكسا المعاهد رونقاً فترنّحت … لقدومه بمضارب الاجراسِ
اهلاً بحبرٍ زارنا فشفى الضنى … بلقاهُ ، اهلاً بالطبيب الآسي
كاسي الشواعر بالبديع وحسنهِ … فكلامهُ يحكي حباب الكاسِ
لمّا أطلَّ ولاح فينا خلتهُ … يعلو أكفَّ ملائكٍ حرّاسِ
حبرٌ لهُ من اصغريه جوهرٌ … يجلى الزمانُ بمثلهِ في الناسِ
متصدّرٌ في المنتدى فكأنهُ … م اتخذ الصدارة من بني العبّاسِ
ورواؤهُ يحكي ملاحةَ يوسفٍ … ونشاطهُ يرويه عن فنحاسِ
راسي على عرش الكرامة اذ لهُ … م الايدي مواطي والقلوبُ كراسي

ذو فكرةٍ ابأن يُقدحُ زندها	تغني الورى عن شعلة النبراسِ
ذو طلعةٍ تزري بتاج فوقها	مترصعٍ بفرائد الالماسِ
كملت فضائلهُ فأضحى بيننا	متصرفاً بذخائر الاقداسِ
فودادهُ في القلب ضمن شغافهِ	ومقامهُ قد حلَّ فوق الراسِ

الرابع عشر : قصيدة

من نظم شاكر ابو ناضر في مطلع شبابهِ[1]

يا لائمي في لهفتي ونواحي	أقصر فديتك تغتنم تمداحي
اخطأتَ ظنك بالذي اتخذ الهوى	ديناً وعاف خزعبلات اللاحي
لو كنت تعلمُ ما حملتُ من الجوى	لعدلتَ عمّا شئتَ من اصلاحي
شتّانَ بين اخي نهىً سكرانَ من	راح الصبابة ، والخليّ الصاحي
فهو الجمادُ أصمُّ أبكمُ ميتٌ	وانا الحياة ربيبةُ الأرواح
نحل الهوى فيَّ الهيوليَّ الذي	ولّى فجسمي في الهوى النجباحِ
ان شئتَ ادراكي فاني جوهرٌ	فردٌ طرحتُ عوارضَ الاشباحِ
دع عنك ظاهر ما ترى وارفع م	سجوف الباطن القاصي المدى البجباحِ
فهناك تنكشف الامور وتفهم المعنى م	الحقيقَ بأنّتي وصياحي
وهناك تعدلُ عن ملامكَ آئلاً	الّا تعود بمُنزِلِ الألواحِ
وهناك تسكرُ من معتّقة الهوى	وتضيء فيك اشعة الاقداحِ
فاذا نطقتَ نطقتَ من آياتها	سحرًا يفوقُ مدارك الشرّاحِ
الطف بحالي الآن حال اخي هوىً	مأسور اشراك النوى نوّاحِ
خلع العذار وهام وهو متيَّمٌ	بجمال اهل ودادهِ الفضّاحِ

..

١) رأيتُ هذه القصيدة بين اوراق استاذي الاب نعمة الله ابو ناضر اذ كنتُ ادرس عليه في دير سيّدة المعونات – جبيل – وهي من نظمهِ اذ كان علمانياً وبخطهِ فأخذتُها من حيث لا يدري ونسختُها وأعدتُها الى مكانها في غرفتهِ .

يا اهل ودّي اين انتم عن فتًى شاكٍ يئنُّ وواجدٍ ملتاحِ
لعبت تباريح الغرام بلبِّهِ وهل الغرام مؤاخذٌ بجناح ؟
في قلبهِ جرح على اثر النحيب م ضمادهُ اعيَ قوى الجرّاحِ
هو جاهدٌ تحت المجاج يطاعنُ م الهامات في الابطال بين رداحِ
هو كلَّ يومٍ في عراكٍ صدرهُ هدفُ السهام ومضربُ الأرماحِ
هو طائرٌ ملأَ الفضاء صياحهُ لكنّهُ اضحى بغير جناحِ
هو في بحار الحبّ صار سفينةً لكنّها تخلو عن الملّاحِ
صدمت بها امواجهُ ولقد بدت الواحها العوبة الارياحِ
فتركّت آثارهُ وتبيّنت اسرارهُ في ليلة الاتراحِ
شرب الغرام مرارةً فلذاك لا يدري فؤادهُ لذّة الافراحِ
امسى يئنُّ ويندب البلوى وما ذهبت بهِ من عيشهِ الرحراحِ
« قد حدَّثتهُ النفسُ انهُ متلفٌ » فمنا لامرءٍ يرتجيهِ متاحِ
مثل الفراش صَبا الى الاضواء وهو م يطوف حول زجاجة المصباحِ
تقضي حتوق هواهُ مذ افضت الى الاحراق فيهِ نتيجة الالحاحِ
يا سامعين تأوهي رقوا لحالي م انني أُبليتُ بالاجماحِ
البعدُ جسمي والقطيعةُ صورتي والشوقُ سرّي والهيامُ وشاحي
بين المجلّى والمصلّى والمسلّى م عدّت الاشواط للمرتاحِ
لكنّ شوطي في الصبابة لا ابتداء م ولا انتهاء لحدّهِ الرحراحِ

∴

لمّا جددت السير نحو احبّتي وركبتُ متن مطيّتي المجلاحِ
فكأنني في لجّة الأبحار غولٌ م قد تسنّم غاربَ التمساحِ
وكأنني جلمود صخرٍ قد علا في سفح صنينٍ ظهورَ جلاحِ
اني لاسبقُ كلَّ ريحٍ عاصفٍ في عتبة الاوعار والصحصاحِ
أنحو رُبى الاوطان وهي بعيدةٌ وانا مُجدٌّ في فلا وبطاحِ

حتى احطّ عصا الرحال واستريح .م مرحرحاً في مسرحي ومراحي
في سفح صنّين وواديهِ وباكيش.م وابواب الهوا الفيّاح
لي بين هاتيك الهضاب عشيرةٌ من كلّ عالي همّةٍ طمطاحِ
من كلّ مكتحل العيون ببهجتي يذري البدور بوجههِ الوضّاحِ
لي أهلُ ودٍّ قد شغفتُ بحبهم والى لقاه أحبّتي اطاحي
بحياة من تهوون رقّوا انكم لستم بانكار على شحّاحِ
حنّ الفؤادُ اليكمُ واليكمُ وجّهتُ حرَّ تنفّسي وصداحي
أمسي وأُصبح والحنانُ مصاحبي وأنوح عند عشيّتي وصباحي
فهواكمُ فيهِ الحياةُ وذكركم هو عدّتي في محنتي وسلاحي
ولقد وقفتُ لكم حشاشة مدنفٍ وربطت توفيقي بكم وصلاحي
مني لكم أذكى التحية ما شدا عبدٌ بذكر الخالق الفتّاحِ

شاكر ابو ناصر

(يتبع)

كتاب ختم الاولياء (تبع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال الخامس والثلاثون) : ومتى ينكشف لهم سر القدر[٧٥] ؟

٧٥) الجواب : اذا كان بصرهم بصر حق ، من قوله تعالى في الحديث (القدسي) الصحيح : « لا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل حتى احبه . فاذا احببته ، كنت سمعه الذي يسمع به ؛ وبصره الذي يبصر به . فافهم ! » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ أ)

« الجواب : سرّ القدر غير القدر . وسرّه عين تحكّمه في الخلائق ، وانه لا ينكشف لهم هذا السر حتى يكون « الحق بصرهم ». فاذا كان « بصرهم بصر الحق » ، ونظروا الاشياء ببصر الحق ، حينئذ انكشف لهم علم ما جهلوه ؛ اذ كان بصر الحق لا يخفى عليه شيء .

قال تعالى : « ان الله لا يخفى عليه شيء في الارض ولا في السماء . هو الذي يصوركم في الارحام » ، لكونها مظلمة تقدح بادراك الاشياء ، فيها « كيف يشاء » من انواع الصور والتصوير ، « لا اله الا هو العزيز » اي المنيع ، الذي نسب لنفسه الصورة لا عن تصوير ولا تصوّر ، « الحكيم » بما تعطيه الاستعدادات المسوّاة لقبول الصور . فيعين لها من الصور ما شاء ، مما قد علم انها مناسبة له .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عن ربه تعالى ، انه قال : « ما تقرب الى احد بأحب اليّ من اداء ما افترضته عليه » لانها عبودية اضطرار ، « ولا يزال العبد يتقرب اليّ بالنوافل » وهي عبودية اختيار ، « حتى احبه » . اذ جعلها نوافل فاقتضت البعد من الله . فلما الزم عبودية الاختيار نفسه ، لزومَ عبودية الاضطرار ، أحبه ! فهذا (الاصل : فهو) معنى قوله تعالى : « حتى احبه » . ثم قال : « فاذا احببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به » الحديث .

و يكشف V . ي القدرة V .

(السؤال السادس والثلاثون) : وأين ينكشف لهم[٧٦] ؟

(السؤال السابع والثلاثون) : ولمن ينكشف منهم[٧٧] ؟

(السؤال الثامن والثلاثون) : وما الاذن في الطاعة والمعصية من ربنا[٧٨] ؟

فاذا كان الحق ، لهذه الحالة ، بصر العبد كيف يخفى عليه ما ليس يخفى ؟ فاعطته النوافل واللزوم عليها احكام صفات الحق . واعطته الفرائض ان يكون كله نوراً . فينظر بذاته لا بصفته . فذاته عين سمعه وبصره . فذلك وجود الحق لا وجوده . والله يقول الحق وهو يهدي السبيل . » (فتوحات ٢ : ٦٥)

٧٦) « الجواب : في حضرة الانفعال » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ أ) .

« الجواب : في حال الانفعال عنهم ، والاتحاد بهم . وذلك ان من المظاهر من يعلم انه مظهر ، ومن المظاهر من لا يعلم انه مظهر ، فيتخيل انه عن الحق اجنبي . وعلامة من يعلم انه مظهر ، ان تكون له مظاهر حيث شاء من الكون ، كقضيب البان . فانه كان له مظاهر فيما شاء من الكون ، (الاصل : لا) حيث ما شاء من الكون . وان من الرجال من يكون له الظهور فيما شاء من الكون لا حيث شاء . ومن كان له الظهور حيث شاء من الكون ، كان له الظهور فيما شاء من الكون . فتكون الصورة الواحدة تظهر في اماكن مختلفة . وتكون الصور الكثيرة على التعاقب تلبس الذات الواحدة في عين المدرك لها .

فاذا حصل الانسان في المكان الذي يعرف فيه تجلي الحق في الصور المختلفة للشخص الواحد او الاشخاص الكثيرين ، فمعرفته بتلك الحيثية لا تكون الا ذوقاً . ومن عرف مثل هذا ذوقاً كان متمكناً من الاتصاف بمثل هذه الصفة . وهذا هو علم سر القدر ، الذي ينكشف لهم اذا كانوا في هذا المنزل ، وبهذه القوة . »

(فتوحات : ٦٥-٦٦)

يلاحظ هنا ان ابن عربي قد اجاب في الفتوحات عن السؤال رقم ٣٦ والسؤال رقم ٣٧ اجابة واحدة ، وذلك بخلاف صنيعه في « الجواب المستقيم » .

٧٧) « الجواب : لمن اصطفاه الله : عاقلاً ، اديباً ، حكيماً ، اميناً ، حفيظاً » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ أ) .

٧٨) « الجواب : هو الامر المتوسط بلا ارادة لا غير » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ أ) .

« الجواب : قال تعالى « ان الله لا يأمر بالفحشاء » . فالاذن الذي تشترك فيه الطاعة

أ يكشف VF.

ب يكشف V .

(السؤال التاسع والثلاثون) : ومـا العقل الاكبر ، الذي قسمتت منه العقول لجميع خلقه[٧٦] ؟

والمعصية هو الاذن الالهي في كون المأذون فيه فعلاً لا من طريق الحكم . لان حكمه في الاشياء بالطاعة والمعصية هو عين علمه بها بهذه الحالة : فـلا يكون مراداً ؛ فلا يكون الحكم مأموراً به . والمحكوم به وعليه هو المراد والمأمور به . فلا يصح الاذن في الطاعة والمعصية من حيث انها طاعة ومعصية .

قال تعالى : « وان تصبهم حسنة يقولوا : هذه من عند الله ؛ وان تصبهم سيئة يقولوا : هذه من عندك . قل : كل من عند الله » ، من حيث انها فعل ؛ « فما لهؤلاء القوم لا يكادون يفقهون حديثاً » . فأنكر عليهم ان تكون السيئة من عند محمد ، صلى الله عليه وسلم . كما قال في موسى : « يطيّروا بموسى ومن معه » . فقال لهم : « وما أصابك من سيئة فمن نفسك » لا من محمد ، صلى الله عليه وسلم ! فاحتجاجنا في مسألتنا انما هو بقوله : « قل : كل من عند الله » ، فأضاف الكل الى الله ، والكل خير ، وهو بيده ؛ والشر ليس اليه . فأوهم السائل المسئول بلفظ الطاعة والمعصية ليرى ما عنده من العلم . فانه سؤال ابتلاء منه لمدعى علم الحقائق من طريق الكشف . وقد قررنا هذا الفصل في كتاب « المعرفة» لنا . » (فتوحات ، ٢ : ٦٦)

٧٩) الجواب : لا يمكن العبارة والشرح عن هذا صراحاً . فانا لا نعلم لذلك عبارة ، الا عبارة قوم مذمومي (في الاصل : مذمومين) الطريقة ، عند اهل الشرع . فان اوردناها هنا ، ربما يقوم الجاهل فينسبنا اليهم . ونحن على غير ما هم عليه في المسائل ، التي اخطأوا (في الاصل : اخطوا) فيها . ولكن اضرب لك مثالاً تفهم منه المقصود . وذلك ان السراج يقتدُ منه جميع من في الأرض ؛ وهو لا ينقص منه شيء . وهو في كل سراج بحقيقته . وعظَمه في ذلك بقدر عظم الفتيلة وصغرها . فاذا نظرت الى هذه الافراد وهذه الكثرة ، نسبت اليه الكثرة . لا انه كثر في نفسه ، ولا انه انتقص منه لما اخذ منه . وهو قول النبي عليه الصلاة والسلام : « اول ما خلق الله العقل ، ومنه قسم العقول مكيلاً : امداداً وأقفزة» . كما ورد في الخبر ، ان صح ذلك الخبر . فاني على يقين من علم القسمة وكيفيتها ، ما انا على علم من صحة الخبر ، من حيث نقل اللفظ خاصة . »

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ أ — ٢٤٥ ب) .

« الجواب : لما كان (الاصل : + في) نفس الأمر يقتضي ان يكون مراتب المعلومات ، من الممكنات ، ثلاثاً . مرتبة للمعاني المجردة عن المواد التي من شأنها ان تدرك بالعقول

ت- قسم ٧ .

بطريق الأدلة والبداية (لعل الصواب : البداهة) . ومرتبة من شأنها ان ندرك بالحواس ، وهي المحسوسات . ومرتبة من شأنها ان ندرك بالعقل او الحواس وهي المتخيلات . وهي تشكل المعاني في الصور المحسوسة ؛ تصورها القوة المصورة ، الخادمة للعقل ؛ بقتضي ذلك ، اسم يسمي الطبيعة فيا ينشأ منها من الاجسام الإنسانية والجنية .

فلما ان شاء الله ان يوضح للمكلفين من عباده اسباب سعادتهم ، على ألسنة رسله من البشر اليهم ، بوساطة الروح العلوي ، المنزل بذلك على قلوب بعض البشر ، المسمين رسلا وانبياء - اجرى المعاني في المخاطبات مجرى المحسوسات في الصور ، التي تقبل التجزي والانقسام والقلة والكثرة . وجعل محل ذلك حضرة الخيال . فحصروا المعاني في الخطاب . فتلقتها بالتشبيه المعقول ، كما تتلقى بالمحسوسات التي شبهت بها هذه المعاني ، التي ليس من شأنها ، بالنظر الى ذاتها ، ان تكون متحيزة او منقسمة او قليلة او كثيرة او ذات حد ومقدار وكيف وكم .

وجعل لنا الدليل على قبول ما اتى به من هذا القبيل في هذه الصور ما يراه النائم في نومه من « العلم في صورة اللبن » . فيشربه « حتى يرى الري يخرج من اظفاره فقيل له : ما اولته يا رسول الله ؟ » يريد ما تؤوّل (الاصل : تؤول) اليه صورة ما رأيت ؟ « فقال : «العلم» . ومعلوم ان العلم ليس بجسم يسمى لبنا ، ولا هو لبن . وانما هو معنى مجرد عن الصور ، التي من شأنها ان تدركها الحواس .

فكان منها ما قال الشارع في تقسيم العقول على الناس ، كما تقسم الحبوب . فمن الناس من حصل له من العقل ، المثل في الصور التي من شأنها ان تكال ، القفيز والقفيزين والاكثر والأقل ؛ - والمد والمدين والاكثر من ذلك والأقل ، ليبين بهذا تفاضل الناس في العقول ، لانه المشهور عندنا . لأنّا نرى اشخاصاً كلهم يتصفون بأنهم عقلاء ، ذوو احلام ، فمنهم من يدرك عقله غوامض الاسرار والمعاني ، ويحمل صورة الكلمة الواحدة من الحكيم على خمسين وجهاً ومائة واكثر واقل ، من المعاني الغامضة والعلوم العالية المتعلقة بالجناب الالهي او الروحاني او الطبائع او العلم الرياضي او الميزان المنطقي . وعقل شخص يتنزل عن هذه الدرجة الى ما هو اقل . وآخر يتنزل دون هذا الاقل . وعقل آخر يعلو فوق هذا الاكبر .

فلما شاهدنا تفاوت العقول ، احتجنا ان نقسمها على الاشخاص ، تقسيم الذوات التي تقبل الكثرة والقلة . ويسمّى المنى القابل لهذه القسمة المعنوية العقل الاكبر (الاصل : الاكثر) اي الذي قسمت منه هذي العقول ، التي في العقلاء من الموجودات بحسب ما بينهم من التفاوت .

وصورة تكوين العقول من هذا العقل الاكبر ، في تحقيق الامر بطريق التمثيل والتشبيه الاقرب الى المناسب ، بالسراج الاول . فتوقد منه جميع الفتائل ، فتتعدد السرج بعدد الفتائل ، فتتعدد السرج بعدد الفتائل ، وتقبل الفتائل من نور ذلك السراج بحسب استعداداتها .

(السؤال الاربعون) : وما صفةُ[ث] آدم ، عليه السلام[٨٠] ؟

فتيلة طبيعية ، في غاية النظافة ، صافية الذهن ، وافرة الجسم ، يكون قبولها اعظم ، في اتساع النور وفي كمية جسم النور ، واكبر من فتيلة نزلت عن هذه في الصفة من النظافة والصفاء . فكان التفاوت بين الانوار بحسب استعدادات الفتائل .

ومع هذا فلم ينقص من السراج الاول شيء ، بل هو كماله كما كان . وكل سراج من هذه السرج يضاهيه ويقول : انا مثله ؛ وبأي شيء فضل عليّ به ؟ وانا يؤخذ مني كما يؤخذ منه . ويصول ويقول ! وما يرى فضله عليه – من وجه – انه الاصل وله التقدم ؛ و(لوجه) الثاني انه في غير مادة ؛ ولا واسطة بينه وبين ربه . وما عداه فلم يظهر له وجود الا به وبالمواد التي قلبت الاشتعال منه . فظهرت اعيان العقول . وهذا كله غاب عنها ؛ بل ما لها فيه ذوق . كيف بذلك من لا وجود له الا بين اب وام حقيقة من كان وجوده عن غير واسطة ؟

واذا كانت العقول تعجز عن ادراك العقل الاول ، التي ظهرت عنه ، فعجزها عن ادراك خالق العقل الاول – وهو الله تعالى ! – أعظم . فانه « اول ما خلق الله العقل » وهو الذي ظهرت منه هذه العقول ، بوساطة هذه النفوس الطبيعية . فهو اوّل الآباء . وسماه الله في كتابه العزيز « الروح » واضافه اليه فقال ، في حق النفوس الطبيعية وحق هذا الروح وحق هذه الارواح الجزئية ، التي لكل نفس طبيعية : « فاذا سوّيتهُ ونفخت فيهِ من روحي » وهو هذا العقل الاكبر . ولهذا يقال فيه : العقل الغريزي . معناه الذي اقتضته هذه النشأة الطبيعية باستعدادها ، الذي هو عبارة عن تسويتها وتعديلها لقبول هذا الامر .

واعلم ان اصل كل متكثر الواحد . فالاجسام ترجع الى جسم واحد . والانفس ترجع الى نفس واحدة . والعقول ترجع الى عقل واحد . ولكن لا يكون من الواحد الكثرة بمجرد أحديته ، بل بنسب اذا تأملت ما ذكرناه ، وجدته كذلك . فيكون كان ذلك الواحد انقسم الى هذه الكثرة ، لا انه انقسم في نفسه ؛ اما لكونه لا يقبل القسمة كالنفوس والعقول والاصل المرجوع اليه ؛ واما لكونه في قوّته ان تكون منه هذه الكثرة من غير ان ينقص منه من حيث جسميته ، كالجسوم التي يتولد عنها الحيوان ماء او ريح : فذلك الماء او الريح ليس هو من حد هذا الجسم ، الذي تكون عنه ما تكون . »

(فتوحات ، ٢ : ٦٦–٦٧) .

٨٠) « الجواب : التردد (في الاصل : المتردد) بين الامرين على السواء (في الاصل : السوا) ، من غير زيادة قدم ؛ لاقامة ميزان العدل . واليها رجوع (في الاصل : مرجوع) الخلق . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٥ب) .

ث + خلق V .

. (السؤال الحادي والاربعون) : وما توليته[٨١] ؟

« الجواب : ان شئت ، صفة الحضرة الالهية . وان شئت ، مجموع الاسماء الالهية . وان شئت ، قول النبي صلى الله عليه وسلم : « ان الله خلق آدم على صورته » . هذه صفته . فانه لما جمع له في خلقه بين « يديه » علمنا انه قد اعطاه صفة الكمال : فخلقه كاملاً جامعاً . ولهذا قبل « الاسماء كلها » . فانه مجموع العالم من حيث حقائقه . فهو عالم مستقل . وما عداه ، فانه جزء من العالم . ونسبة الانسان الى الحق ، من جهة باطنه ، أكمل في هذه الدار الدنيا . واما في النشأة الآخرة ، فان نسبته إلى الحق ، من جهة الظاهر والباطن . واما الملك ، فان نسبته ، من جهة الظاهر ، الى الحق اتم . ولا باطن للملك . — ولكن (نسبة الانسان او العالم) الى الحق من حيث هو (الى الحق) مسمى الله ، لا من حيث ذاته . فانه من حيث ذاته هو لذاته ، ومن حيث مسمى الله يطلب العالم . فكان العالم يعلم من الحق سوى المرتبة ، وهي كونه الاها (و) رباً . ولهذا لا كلام له فيه الا في هذا النسب والاضافات .

وسمّي بآدم لحكم ظاهره عليه . فانه ما عرف منه سوى ظاهره : كما انه ما عرف من الحق سوى الاسم « الظاهر » : وهو المرتبة الالهية . فالذات مجهولة . وكذلك كان آدم عند العالم ، من الملائكة فمن دونهم ، مجهول الباطن . وانما حكموا (الملائكة) عليه بالفساد ، اي بالافساد ، من ظاهر نشأته ؛ لما رأوها قامت من طبائع مختلفة ، متضادة ، متنافرة . فعلموا انه لا بد ان يظهر اثر هذه الاصول على من هو على هذه النشأة . فلو علموا باطنه ، وهو حقيقة ما خلقه الله عليه من « الصورة » — لرأوا الملائكة جزءاً من خلقه . فجهلوا اسماء الالهية ، التي نالها بهذه الجمعية ، لما كشف له عنه فابصر ذاته ؛ فعلم مستنده في كل شيء ومن كل شيء .

فالعالم كله تفصيل آدم . وآدم هو الكتاب الجامع . فهو للعالم كالروح من الجسد . فالانسان روح العالم ، والعالم الجسد . فبالمجموع يكون العالم كله هو الانسان الكبير ؛ والانسان فيه . واذا نظرت في العالم وحده ، دون الانسان ، وجدته كالجسم المسوّى بغير روح . وكمال العالم بالانسان . مثل كمال الجسد بالروح . والانسان منفوخ في جسم العالم . فهو المقصود من العالم . واتخذ الله الملائكة رسلاً اليه . ولهذا سماهم ملائكة ، اي رسلاً ، من المألكة وهي الرسالة . فان اخذت الشرف بكمال الصورة ، قلت : الانسان أكمل . وان اخذت الشرف بالعلم بالله ، من جانب الحق لا من طريق النظر ، فالافضل والاشرف من شرّفه الله بقوله : « هذا افضل عندي » . فانه لا تحجير عليه ان يفضل من شاء من عباده . — فان العلم بالله ، الذي يقع به الشرف ، لا حد له ينتهي اليه . »

(فتوحات ، ٢ : ٦٧)

٨١) « كونه موضع النظر وتنفيذ الامر » (الجواب المستقيم ورقة ٣٤٠ ب).

«الجواب: «ان الله تولاه بثلاث. منها توليته في «خلقه بيديه» . ومنها بما «علمه من الاسماء» التي ما تولى بها ملائكة . ومنها الخلافة، وهي قوله (تعالى) : «اني جاعل في الارض خليفة» .

فان كان قوله : «خليفة» لقوله: «وفي الارض اله» فهو نائب الحق في ارضه، وعليه يقع الكلام . وان اراد بالخلافة، انه يخلف من كان فيها، لما فقد - فما نحن بصدد ذلك . وكان المقصود النيابة عن الحق بقوله: «خليفة» لقولهم: «من يفسد فيها ويسفك الدماء». وهذا لا يقع الا بمن له حكم، ولا حكم الا لمن له رتبة التقدم وانفاذ الأوامر.

فاما مقصود السائل، فانه يريد الخلافة، التي هي بمعنى النيابة عن الله في خلقه . فأقامه بالاسم الظاهر، واعطاه علم الاسماء، من حيث ما هي عليه من الخواص، التي يكون عنها الانفعالات، فيتصرف بها في العالم تصرفها . فان لكل اسم خاصة من الفعل في الكون، يعلمها من يعلم علم الحروف وترتيبها، من حيث ما هي مرقومة، ومن حيث ما هي متلفظ بها، ومن حيث ما هي متوهمة في الخيال.

فمنها ما له اثر في العالم الأعلى وتنزيل الروحانيات بها، اذا ذكرت او كتبت في عالم الحس . ومنها ما له اثر في العالم الجبروتي، من الجن الروحاني . ومنها ما يؤثر ذكره في خيال كل متخيل وفي حس كل ذي حس . ومنها ما له اثر في الجانب الاحمى الاعلى، الذي هو موضع النبي ولا يعرف هذا التأثير الواحد واساءه الا الأنبياء والمرسلون، سلام الله عليهم ! وهي اسماء التشريع ؛ والعمل بتلك الشرائع هو المؤثر في هذا الجناب النبي، وهو جناب عزيز لا يشعر به . جعله الحق ووضع اسراره ومجلى تجلياته . وهو الذي يعطي النزول والاستواء والمعية والفرح والضحك والمقدار، وما يفهم منه من الآلات التي لا تكون الا لذوات المقادير والكميات والكيفيات .

وقال تعالى: «وهو الذي في السماء اله»: فجاء بالهوية بما ينبغي ان يظهر به في السموات من الالوهية، بالاسم الذي يخصها . «وفي الأرض اله» : بالإسم الذي ينبغي ان يظهر به في الأرض، من كونه إلاهاً . فكان آدم نائباً عن هذا الإسم . وهذا الإسم هو باطنه، وهو الملهم له علم التأثيرات التي تكون عن الأسماء الالهية، التي تختص بالأرض، حيث كانت خلافته فيها . وهكذا هو كل خليفة فيها . ولهذا قال : «جعلكم خلائف في الأرض» اي يخلف بعضنا بعضاً فيها، في تلك المرتبة، مع وجود التفاضل بين الخلفاء فيها . وذلك لاختلاف الأزمان واختلاف الأحوال . فيعطي هذا الحال والزمان من الأمر ما لا يعطيه الزمان والحال الذي كان قبله والذي يكون بعده .

ولهذا اختلفت آيات الأنبياء باختلاف الأعصار . فآية كل خليفة ورسول من نسبة ما هو الظاهر والغالب على ذلك الزمان واحوال علمائه، اي شيء كان : من طب او سحر

او فصاحة ، وما شاكل هذا . وهو قوله (تعالى) : « ورفع بعضكم فوق بعض درجات » . يقول للخلفاء : « ليبلوكم فيما آتاكم . ان ربك سريع العقاب وانه لغفور رحيم » . وهاتان الصفتان لا تكونان الّا لمن بيده الحكم والأمر والنهي .

فهذا النسق يقوّي انه اراد خلافة السلطنة والملك . وهي التولية الإلهية ؛ واعظم تأثيراتها الفعل بالهمة ، من حيث ان النفس ناطقة لا من حيث الحروف والصوت المعتاد في الكلام اللفظي . فان الهمة — من غير نطق النفس ، بالنطق الذي يليق بها ، وان لم يشبه نطق اللسان — لا يكون عنها انفعال بوجه من الوجوه ، عند جماعة من اصحابنا . وأوقفهم في هذا الاشكال حكم النيابة عن الله ؛ الذي اذا اراد شيئاً ، وهو المعبّر عنه فينا بالهمة : « ان يقول له : كن ، فيكون ! » ، وهو المعبّر عنه فينا بالنطق او الكلام بحسب ما يليق بالمنسوب اليه ذلك . فما اكتفى ، سبحانه ! في حق نفسه بالارادة حتى قرن معها القول ، وحينئذ وجد التكوين . ولا يمكن ان يكون النائب عنه ، وهو الخليفة ، بابلغ في التكوين ممن استخلفه . فلهذا لم يقتصروا على الهمة دون نطق النفس .

وأما نحن ، فنقول بهذا في موطنه ، وهو صحيح . غير ان الذات غاب عنهم ما تستحقه كون المرتبة لا تعقل دونها . فكان كون المرتبة انما هو عن الذات ، بلا شك ، لان الذات تطلبها طلباً ذاتياً ، لا طلباً يتوقف على همة وقول . بل عين همتها وقولها هو عين ذاتها . فكون الالوهة لها هو ما يكون عن ذات الخليفة ، من حيث انها ذات خليفة . فهي الذات الخلافية ، لا ذات الخلق التي هي نشأة جسمه وروحه . ومع هذا ، فلا بد من النسب الثلاث لوجود التكوين عقلاً ، في موازين العلوم ، وشرعاً . فاما في العقل ، فأصحاب الموازين يعرفون ذلك . واما في الشرع ، فانه قوله : « انما قولنا » ، فهذا الضمير ، الذي هو « النون » ، من « قولنا » عين وجود ذاته تعالى وكناية عنه . فهو امر واحد . وقوله : « اذا اردناه » امر ثان . وقوله : « ان نقول له كن » امر ثالث . فذات ، مريدة ، قائلة ، يكون عنها التكوين بلا شك ! فالاقتدار الالهي ، على التكوين ، لم يقم الا من اعتبار ثلاثة امور شرعاً .

وكذلك هو الانتاج في العلوم بترتيب المقدمات ؛ وان كانت كل مقدمة مركبة من محمول وموضوع ، فلا بد ان يكون احد الأربعة يتكرر ، فيكون في المعنى ثلاثة وفي التركيب اربعة . فوقع التكوين عن الفردية ، وهي الثلاثة لقوة نسبة الفردية الى الاحدية . فبقوة الواحد ظهرت الاكوان . فلو لم يكن الكون عينه لما صح له ظهور . فالوجود المنسوب الى كل مخلوق هو وجود الحق ، اذ لا وجود للممكن . لكن الممكنات قوابل لظهور هذا الوجود .

فتدبر ما ذكرناه في هذه التولية ، التي سأل عنها سيّنا وابن سيّني ايضا ، محمد بن علي

(السؤال الثاني والاربعون) : وما فطرته[٨٣] ؟

الترمذي في كتاب « ختم الأولياء » له ، وهي هذه المسائل التي اذكرها في هذا الباب . »
(فتوحات ، ٢ : ٦٧-٦٩)

٨٣) « الجواب : عين الامر الذي وقع به التميز (الميز : في الاصل) بين الصورتين . »
(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٠ ب) .

« الجواب : ان اراد فطرته من كونه انساناً ، فله جواب . او من كونه خليفة ، فله جواب . او من كونه انساناً خليفة فله جواب . او من كونه لا انسان ولا خليفة ، فله جواب ؛ وهو اعلاها نسبة .

فانه اذا كان حقاً مطلقاً ، فليس بانسان ولا خليفة كما ورد في الخبر : « كنت سمعه وبصره » . فأين الانسانية هنا ، اذ لا اجنبية ؟ وأين الخلافة هنا ؟ وهو الامر بنفسه . فاثبتك ومحاك ، وأضلك وهداك : اي حيّرك فيا بيّن لك ! فما تبينت الا الحيرة ، فعلمت ان الامر حيرة . فبين الهدى متعلقة الضلال . فقال : انت ، وما أنت ، « وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى » . وما رمى الا محمد : فما رمى الا الله ! فأين محمد ؟ فمحاه ، واثبته ثم محاه : فهو مثبت بين محوين ، محو ازلي وهو قوله : « وما رميت » ؛ ومحو ابدي وهو قوله : « ولكن الله رمى » . واثباته هو قوله : « اذ رميت » .

فاثبات محمد في هذه الآية ، مثل « الآن » الذي هو الوجود الدائم بين الزمانين : بين الزمان الماضي ، وهو نفي عدم محقق ؛ وبين الزمان المستقبل ، وهو عدم محض . وكذلك ما وقع الحس والبصر الا على رمي محمد ، فجعله وسطاً ، بين محوين ، مثبتاً ، فأشبه « الآن » الذي هو عين الوجود (الزماني) . والوجود انما هو وجود الله لا وجوده . فهو سبحانه الثابت الوجود في الماضي والحال والاستقبال . فزال عند التقييد المتوهم . فسبحان اللطيف الخبير ، ولهذا قال : « وليبلي المؤمنين منه بلاء حسناً » . فجاء بالخبرة ، اي قلنا هذا اختباراً للمؤمنين في ايمانهم ، لما (الاصل : لنا) في ذلك من تناقض الامور الذي يزلزل ايمان من في ايمانه نقص ، عما يستحقه الايمان من رتبة الكمال ، الذي في « اعطى كل شيء خلقه » . فهذا الجواب عن الوجه الرابع ، الذي هو اصعب الوجوه ، قد بان .

فأما فطرته ، من حيث ما هو انسان ، ففطرته العالم الكبير . واما فطرته ، من حيث ما هو خليفة ، ففطرته الاسماء الالهية . واما فطرته من حيث ما هو انسان — خليفة ، ففطرته ذات منسوب اليها رتبة ، لا تعقل المرتبة دونها ، ولا تعقل هي دون المرتبة . قال تعالى : « فاطر السماوات والارض » . وهو قوله : « كانتا رتقاً ففتقناهما » . والفطر الشق . وقال تعالى : « فطرة الله التي فطر الناس عليها ، لا تبديل لخلق الله » وهو الفطرة . كما انه لا تبديل

(السؤال الثالث والاربعون) : وما الفطرة؟[٨٣]

« كلمات الله » وهو قوله : « ما يبدل القول لديّ ». اي قولنا واحد، لا يقبل التبديل

وقال، صلى الله عليه وسلم : « كل مولود يولد على الفطرة ». فالالف واللام هنا للعهد. اي الفطرة التي فطر الله الناس عليها. وقد تكون الالف واللام لجنس الفطر كلها، لان الناس، اي هذا الانسان، لما كان مجموع العالم — ففطرته جامعة لفطر العالم : ففطرة آدم فطر جميع العالم. فهو يعلم ربه، من حيث كل علم نوع من العالم، من حيث هو عالم ذلك النوع بربه، من حيث فطرته. وفطرته ما يظهر به عند وجوده من التجلي الالهي، الذي يكون له عند ايجاده. ففيه استعداد كل موجود من العالم : فهو العابد بكل شرع، والمسبح بكل لسان، والقابل لكل تجلٍّ (الاصل: تجلى) اذا وفى حقيقة انسانيته وعلم نفسه. فانه لا يعلم ربه الا من علم نفسه.

فان حجبه شيء منه عن درك كله، فهو الجاني على نفسه وليس بانسان كامل. ولهذا قال رسول الله، صلى الله عليه وسلم : « كمل من الرجال كثيرون ولم يكمل من النساء الا مريم وآسية ». يعني بالكمال معرفتهم بهم. ومعرفتهم بهم هو عين معرفتهم بربهم.

فكانت فطرة آدم علمه به، فعلم جميع الفطر. ولهذا قال : « وعلم آدم الاسماء كلها ». و« كل » يقتضي الاحاطة والعموم، الذي يراد به في ذلك الصنف. واما الاسماء الخارجة عن الخلق والنسب فلا يعلمها الا هو، لانه لا تعلق لها بالاكوان.

وهو قوله، عليه السلام : في دعائه : « او استأثرت به في علم غيبك » يعني به من الاسماء الالهية. وان كان معقول الاسماء مما يطالب الكون، ولكن الكون لا غاية لتكوينه : فلا غاية لاسمائه. فوقع الايثار في الموضع الذي لا يصح وجوده، اذ كان حصر تكوين ما لا يتناهى محال. واما الذات، من حيث هي، فلا اسم لها اذ ليست محل اثر ولا معلومة لاحد. ولا ثَمَّ اسم يدل عليها، معرّى عن نسبة ولا بتمكين. فان الاسماء للتعريف والتمييز، وهو باب ممنوع لكل ما سوى الله : فلا يعلم الله الا الله!

فالاسماء بنا ولنا. ومدارها علينا. وظهورها فينا. واحكامها عندنا. وغاياتها الينا. وعباراتها عنّا. وبداياتها منّا!

فلولاها لما كنا ولولانا لما كانت
جا بنا وما بنا كما بانت وما بانت
فان خفيت لقد جلت وان ظهرت لقد زانت

(فتوحات ٣ : ٦٩–٧٠)

٨٣ — « الجواب : يريد (الفطرة) التي فطر الناسُ عليها، التي لا تقبل التبديل. بخلاف الفطرة التي تقبل التبديل : « فابواه يهودانه او ينصرانه او يمجسانه ». والاصل الاسلام.

(السؤال الرابع والاربعون) : ولِمَ سمّاه بشراً[٨١] ؟

فان بقي عليه ، بقي على الفطرة . واما الفطرة التي لا تقبل التبديل ، فهو قوله : « وقضى ربك ان لا تعبدوا الا اياه » . فالامر الذي يطلب ذلك من الموجودات هو الفطرة ، لانه حقيقة لها (في الاصل : له) » (الجواب المستقيم ورقة ٣٦٠ب) .

« الجواب : النور الذي تشق به ظلمة الممكنات ، ويقع به الفصل بين الصور . فيقال : هذا ليس هذا . اذ قد يقال : هذا عين هذا ، من حيث ما يقع به الاشتراك .

فالحمد لله فاطر السموات والارض » هو قوله : « الله نور السموات والارض » . والعالم كله سماء وارض ، ليس غير ذلك . وبالنور ظهرت .

قوله : « وبالحق انزلناه وبالحق نزل » . والله مظهرها ، فهو نورها . فظهور المظاهر هو الله ؛ فهو فاطر السموات والارض . ففطر السماء والارض به ؛ فهو فطرها .

والفطرة (هي) التي فطر الناس عليها . « فكل مولود يولد على الفطرة » .

« ألست بربكم ؟ قالوا : بلى ! » فا فطرهم الا عليه . ولا فطرهم إلا به . فبه تميزت الاشياء وانفصلت وتعينت . والاشياء في ظهورها الاهي لا شيء . فالوجود وجوده . والعبيد عبيده . فهم العبيد من حيث اعيانهم . وهم الحق من حيث وجودهم . فلا تميز وجودهم من أعيانهم الا بالفطرة ، التي فصلت بين العين ووجودها . وهو من المحض مما يتعلق به علم العلماء بالله . كشفه عسير وزمانه يسير ! » فتوحات : ٣ : ٧٠)

٤٥) « الجواب : لتولية خلقه بيديه ، بغير واسطة ؛ على حسب ما يليق بجلال جانب الحق سبحانه ، ومن غير تشبيه ولا تكييف » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٠ب)

« الجواب : قال تعالى : « ما منعك ان تسجد لما خلقت بيدي » ؟ على جهة التشريف الالهي . فقرينة الحال تدل على مباشرة خلقه بيديه ، بحسب ما يليق بجلاله . فسمّاه بشراً لذلك . اذ اليد بمعنى القدرة ، لا شرف فيها على من شرف عليه . واليد بمعنى النعمة ، مثل ذلك . فان النعمة والقدرة عمّت جميع الموجودات . فلا بد ان يكون لقوله : « بيديّ » امر معقول ، له خصوص وصف بخلاف هذين . وهو المفهوم من لسان العرب ، الذي نزل القرآن بلغتهم . فاذا قال صاحب اللسان : انه فعل هذا بيده ، فالمفهوم منه رفع الوسائط .

فكانت نسبة آدم ، في الجسوم الانسانية ، نسبة العقل الاول في العقول . ولما كانت الاجسام مركبة ، طلبت اليدين لوجود التركيب . ولم يذكر ذلك في العقل الاول ، لكونه غير مركب . فاجتمعا في رفع الوسائط . وليس بعد رفع الوسائط في التكوين مع ذكر اليدين الا امر من اجله سمّي بشراً . وسَرَت هذه الحقيقة في البنين فلم يوجد احد

منهم الا عن مباشرة . ألا ترى وجود عيسى ، عليه السلام ! لما تمثل لها الروح « بشرًا سويًا » ؟ فجعله واسطة بينه تعالى ، وبين مريم في ايجاد عيسى ، تنبيهاً على المباشرة بقوله : « بشرًا سويًا » .

قال تعالى : « ولا تباشر وهن وانتم عاكفون في المساجد » . وبشرة الشيء ظاهره . والبشرى اظهار علامة حصولها في البشرة . فقوله للشيء : « كن ! » بالحرفين : الكاف والنون ، بمنزلة اليدين في خلق آدم . فأقام القول للشيء مقام المباشرة ؛ وأقام الكاف والنون مقام اليدين ؛ وأقام الواو المحذوفة ، لاجتماع الساكنين ، مقام الجامع بين اليدين في خلق آدم . وأخفى ذكره كما خفيت الواو من « كن » . غير ان خفاءها في « كن » لامر عارض ، وخفاء الجامع بين اليدين لاقتضاء ما تعطيه حقيقة الفعل . وهو قوله : « ما أشهدتهم خلق السموات والارض » ، وهو حال الفعل . لانه ليس في حقائق ما سوى الله ما يعطي ذلك المشهد . فلا فعل لاحد سوى الله . ولا فعل عن اختيار واقع في الوجود . فالاختيارات المعلومة في العالم من عين الجبر . فهم المجبورون في اختيارهم . والفعل الحقيقي لا جبر فيه ولا اختيار . لان الذات تقتضيه . فتحقق ذلك !

فلمباشرة الوجود المطلق الأعيان الثابتة ، لظهور الوجود المقيّد ، سمي الوجود المقيّد بشرًا . واختص به الانسان لانه أكمل الموجودات خلقاً . وكل نوع من الموجودات ليس له ذلك الكمال في الوجود . فالانسان اتم المظاهر . فاستحق اسم البشر ، دون غيره من الاعيان .

واما قوله تعالى : « وما كان لبشر ان يكلمه الله إلا وحياً أو من وراء حجاب او يرسل رسولًا فيوحي باذنه ما يشاء انه عليّ حكيم » . فسمّى المكلّم منا بشرًا ، بهذه الضروب كلها من الكلام ، لما يباشره من الامور الشاغلة له عن اللحوق برتبة الروح ، التي له من حيث روحانيته . فان ارتقى عن درجة البشرية ، كلّمه الله من حيث كلّم الارواح . اذ كانت الارواح اقوى في التشبّه . لكونها لا تقبل التحيز والانقسام ؛ وتتجلى في الصور من غير ان يكون لها باطن وظاهر . فما لها سوى نسبة واحدة من ذاتها ، وهي عين ذاتها . والبشر ، من نشأته ليس كذلك : فانه على صورة العالم كله . ففيه ما يقتضي المباشرة والتحيز والانقسام ، وهو مسمّى البشر ؛ وفيه ما لا يطلب ذلك وهو روحه المنفوخة فيه . وعلى بشريته توجهت اليدان ، فظهرت الشفعية في اليدين في نشأته . فلا يسمع كلام الحق ، من كونه بشرًا ، الا بهذه الضروب التي ذكرها (الله تعالى في القرآن) أو بأحدها . فاذا زال في نظره عن بشريته ، وتحقق بمشاهدة روحه ، كلّمه الله بما يكلم به الارواح المجردة عن المواد . مثل قوله تعالى في حق محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وفي حق الأعرابي : « فأجره حتى يسمع كلام الله » . وما تلاه عليه غير لسان محمد ،

(السؤال الخامس والاربعون) : وبأي شيء نال التقدمة على الملائكة * ، حتى أوهم بالسجود له[٨٥] .

صلى الله عليه وسلم ! فأقام محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، في هذه الصورة ، مقام الروح الامين الذي نزل بكلام الله على قلب محمد ، صلى الله عليه وسلم ! وهو قوله : « او يرسل رسولا » يعني لذلك البشر ، « فيوحي اليه باذنه ما يشاء » الله تعالى مما امره أن يوحى به اليه .

فقوله (تعالى) : « إلا وحياً » يريد هنا الماناً بسلامة يعلم جما ان ربه كلمه ، حتى لا يلتبس عليه الأمر . « او من وراء حجاب » ، يريد اسماعه اياه لحجاب الحروف المقطعة والأصوات ، كما سمع الاعرابي القرآن المتلو ، الذي هو كلام الله ! او حجاب الآذان ايضاً من السامع . او حجاب بشرية مطلقاً ، فيكلمه في الاشياء ، كما كلم موسى « من جانب الطور الايمن في البقعة المباركة ، من الشجرة : ان يا موسى ! اني انا الله ! » فوقع الحد بالجهة وتعين البقعة ، لشغله بطلب النار ، الذي تقتضيه بشريته . فنودي في حاجته لافتقاره اليها .

والله قد اخبر ان الناس فقراء الى الله . فتسمى الله في هذه الآية باسم كل ما يفتقر اليه ، غيرة الاهية ان يفتقر الى غير الله . فتجلى الله له في عين صورة حاجته . فلما جاء اليها ناداه منها فكان في الحقيقة فقره الى الله . والحجاب وقع بالصورة ، التي وقع فيها التجلي . فلولا ما ناداه ما عرفه . وفي مثل هذا يقع التجلي الالهي في الآخرة ، الذي يقع فيه الانكار .

وقوله (تعالى) إنه : « علي » اي عليم بما تقتضيه المراتب ، التي ذكرها وانزلها منزلتها . وقوله : « حكيم » يريد بانزال علمه ومنزلته . ولو بدل الامر لما عجز عن ذلك . ولكن كونه علياً حكيماً » يقضي بان لا يكون الامر إلا كما وقع .

ولما اخبر (الله تعالى) نبيه بهذه المراتب كلها ، التي تطلبها البشرية ، قال له : « وكذلك - الى ومثل ذلك - اوحينا اليك روحاً من امرنا » يعني الروح الامين ، الذي نزل به على قلبك ، الذي هو روح القدس ، اي الطاهر عن تقييد البشر !

فقد علمت معنى البشر ، الذي اردنا ان ننبه لك بما تقتضيه هذه اللفظة باللسان العربي . »

(فتوحات ٣ : ٧٠ - ٧١)

٨٥) « الجواب : بالصورة ، فانه كل العالم . وله من الحق امداد خاص ، من حيث نشأته ، يقتضي له (في الاصل : + ذلك الامداد) التقدم على ساير اجناس العالم . فما في العالم جنس الا وهو بعض للانسان اذ في الانسان ما يماثله . وبهذا الامداد حصل الفرق

* الولاية ٧ .

بين الكامل والناقص، من هذا الجنس الانساني. وقد نبه النبي، صلى الله عليه وسلم، على هذا بقوله: «كمل من الرجال كثير وما كمل من النساء سوى آسية، امرأة فرعون، ومريم ابنة عمران». فليس له التقدم بكونه انسانًا فقط، لمشاركة مثله له في ذلك، بل بهذا الامداد الخاص، وهو الذي يقتضي له كمال الصورة. فنال بها الصورة الرفيعة العالية المنار، الظاهرة بالآثار.» (الجواب المستقيم، ورقة ٣٦٥ب-٣٦٦أ).

«الجواب: ان الله قد بين ذلك بقوله تعالى: «وعلّم آدم الاسماء كلها» يعني الاسماء الالهية، التي توجهت على ايجاد حقائق الاكوان؛ ومن جملتها الاسماء الالهية التي توجهت على ايجاد الملائكة، والملائكة لا تعرفها. ثم اقام المسمين بهذه الاسماء، وهي التجليات الالهية التي هي للاسماء كالمواد الصورية للارواح، فقال للملائكة: «انبوني بأسماء هؤلاء»، يعني الصور التي تجلى فيها الحق «ان كنتم صادقين» في قولكم «نسبح بحمدك». وهل سبحتموني بهذه الاسماء التي تقتضيها هذه التجليات، التي التجلاها لعبادي. وان كنتم صادقين في قولكم: «ونقدس لك» ذواتنا عن الجهل بك، فهل قدستم ذواتكم لنا من جهلكم بهذه التجليات، وبما لها من الاسماء التي ينبغي ان تسبحونه بها؟ فقالت الملائكة: «لا علم لنا الا ما علمتنا». فمن علمهم بالله انهم ما اضافوا التعليم إلا اليه تعالى: «انك انت العليم» بما لا يعلم «الحكيم» بترتيب الاشياء مراتبها. فأعطيت هذه «الخليفة» ما لا تعطنا، مما غاب عنا.

فلولا ان رتبة نشأته (= آدم) تعطي ذلك، ما اعطت الحكمة ان يكون له هذا العالم الذي خصصه به دوننا (= الملائكة)، وهو بشر. فقال (تعالى) لآدم: «انبئهم باسماء هؤلاء» الذي عرضناهم عليهم (= الملائكة). فانبأ آدم الملائكة بأسماء تلك التجليات، وكانت على عدد ما في نشأة آدم من الحقائق الالهية، التي تقتضيها اليدان الالهية، مما ليس من ذلك في غيره من الملائكة شيء. فكان هؤلائك المسمون، المعروضة على الملائكة، تجليات الالهية في صورة ما في آدم من الحقائق. فاولئك هم عالم آدم كلهم؛ فلما علمهم آدم، عليه السلام! قال لهم (= للملائكة) الله: «ألم اقل لكم اني اعلم غيب السموات» وهو ما علا من علم الغيوب، «والارض» وهو ما في الطبيعة من الاسرار، «واعلم ما تبدون» اي ما هو من الامور ظاهر، «وما تكتمون» الى ما تخفونه على انه باطن مستور؛ فأعلمتكم انه أمر نسبي، بل هو ظاهر لمن يعلمه. ثم قال (تعالى) لهم بعد التعليم: «اسجدوا لآدم» سجود المتعلمين للمعلم، من اجل ما علمهم. ف«لآدم» هنا، لام العلة والسبب اي من اجل آدم. فالسجود لله من أجل آدم سجود شكر لما علمهم الله من العالم به وبما خلقه في آدم عليه السلام. فعلموا ما لم يكونوا يعلمون. فنال التقدمة عليهم بكونه علّمهم، فهو استاذهم في هذه المسألة.

(السؤال السادس والاربعون) : وكم عدد الاخلاق التي منحه^٣ عطاءاً^٣ (٨٦) ؟

وبعده، فما ظهرت هذه الحقيقة في أحد من البشر الا في محمد، صلى الله عليه وسلم! فقال عن نفسه: « انه اوتي جوامع الكلم » وهو قوله (تعالى) في حق آدم عليه السلام: « الاسماء كلها ». وكلها بمنزلة « الجوامع »، و«الكلم» بمنزلة « الاسماء ». ونال التقدمة بها وبالصورة التي خلقه الله عليها.

قال، عليه السلام: « ان الله خلق آدم على صورته » بالنشأة من اجل اليدين؛ وجعله بالخلافة على صورته، وهي المنزلة. فاعطته الصورتان التقدم^٤ حيث لم يكن ذلك لغيره من المخلوقات. فليس فوق هذه المنزلة منزلة لمخلوق. فلا بد ان يكون له التقدمة على من سواه. وكذلك الامر الذي أعطاه هذا يتقدم على جميع الامور كلها. »

(فتوحات : ٣ : ١ : ٧-٧٢)

٨٦) « الجواب : ثلاث مائة. وفي ذريته لكل خلق انسان » (الجواب المستقيم، ورقة ١/٢٤٦).

« الجواب: ثلاثمائة خلق. وهي التي ذكر النبي، صلى الله عليه وسلم: « ان لله ثلاثمائة خلق من تخلق بواحد منها دخل الجنة ». ولهذا قال في الثلاثمائة: « انعم على قلب آدم، عليه السلام! ». يعني هذه الاخلاق التي منح الله آدم.

فمن كملت نشأته من بنيه، قبل هذه الثلاثمائة من الخلق. ومن لم يكمل كمال آدم، فله منها على قدر ما اعطى من الكمال. فنهم الكامل والاكمل. وهذه الاخلاق خارجة عن الاكتساب، لا تكتسب بعمل، بل يعطيها الله اختصاصاً. ولا يصح التخلق بها، لانه لا اثر لها في الكون. وانما هي اعدادات بأنفسها لتجليات إلهية على عددها؛ لا يكون شيء من تلك التجليات الا لمن له هذه الاخلاق.

فناهيك من اخلاق لا تعلق لها، لمن كان عليها واتصف بها، إلا بالله خاصة؛ ليس بينها وبين المخلوقين نسب اصلا. فقول النبي، صلى الله عليه وسلم: « من تخلق بواحد منها » اراد من اتصف بشيء منها، اي من قامت به.

فان الاخلاق على أقسام ثلاثة: منها اخلاق لا يمكن التخلق بها الا مع الكون، كالرحيم. واخلاق يتخلق بها مع الكون ومع الله، كالغفور فانه يقتضي الستر لما يتعلق بالله من كونه

---

٣ منحها.

(السؤال السابع والاربعون) : وكم خزائن الاخلاق[٨٧] ؟

غيورًا ، ويتعلق (النفور ايضًا) بالكون . واخلاق لا يتخلق بها الا مع الله خاصة ، وهي هذه الثلاثاية .

ولها من الجنات جنة مخصوصة ، لا ينالها الا أهل هذه الاخلاق . وتجلياتها لا تكون لغيرها من الجنات . ولكن هذه الاخلاق هي لم كالخلوق الذي يتطيب به الانسان . فانه (= الخلوق) وجود الريح من الطيب ، لا تمثّل فيه للمتطيب به ؛ فانه يقتضي تلك الريح لذاته . والتخلّق تمثّل في تحصيل الخلق . وهذا ليس كذلك . فالثناء على الطيب ، لا على من قام به . فكذلك هذا الخلق ، اذا روى (الاصل : رى) على عبد قد اتصف به لم يقع فيه ثناء عليه اصلًا . وانما يقع الثناء على الخلق خاصة . فكل خلق تجده بهذه المثابة فهو من هذه الاخلاق الثلاثاية . فان الكرم خلق من أخلاق الله . ولكن اذا تخلّق به العبد اثنى عليه بأنه كريم . وكذلك الرحمة ، يقال فيه : رحيم .

وهذه الاخلاق لا ينطلق على من اتصف بها اسم فاعل جملة واحدة ، لكن ينطلق عليه اسم موصوف بها . وسبب ذلك ، أنه لا تعلّق لها بالكون الا بحكم الاشتراك كالنفور ، ولا بحكم الاختصاص كالشديد العقاب . ويعطيها الاسم الوهاب من عين المنة ، لا غير . »

(فتوحات : ٢ : ٧٢)

٨٧) «الجواب : على عدد احوال ما تقتضيه الموجودات . وقد ذكرنا صورة ذلك في كتاب « الاخلاق » . وهو كتاب شريف ما سُبقتُ اليه . » (الجواب المستقيم ، ورقة ١٤٦ أ) .

« الجواب : على عدد اصناف الموجودات ، واعيان اشخاصها . فهي غير متناهية من حيث ما هي خزائن . وسميت (الاصل: وما سميت) خزائن لكون الاخلاق مخزونة فيها اختزانًا وجوديًا . وانما جعلت خزائن لما تتضمنه في حكم من اتصف بها من الصفات التي لا نهاية لوجودها .

وهي خزائن في خزائن . واصلها ، الذي ترجع اليه ، الجامع للكل : ثلاث خزائن . خزانة تحوي على ما تقتضيه الذوات ، من حيث ما هي ذوات . وخزانة تحوي على ما تقتضيه النسب الموجبة للاسماء ، من حيث ما هي نسب . وخزانة تحوي على ما تقتضيه الافعال من حيث انها افعال ، لا من حيث المفعولات ولا انفعالات ولا الفاعلية . وكل خزانة من هذه الخزائن الثلاث تنفتح الى خزائن . وتلك الخزائن الى خزائن ، هكذا الى غير نهاية . فهي تدخل تحت الكمّ بوجه ، ولا تدخل تحت الكمّ بوجه . فما حصل منها في الوجوه حصره الكمّ . »

(فتوحات : ٣ : ٧٢)

(السؤال الثامن والاربعون) : وقوله عليه السلام : « إن لله مائة وسبعة عشر خلقاً » ، ما تلك الاخلاق[٨٨] ؟

٨٨) « الجواب : لا يمكن تعيينها لنا ، ولا لأحد اصلاً . » الجواب المستقيم ورقة ٢٤٦ب .

« الجواب : ان هذه الاخلاق مخصوصة بالانبياء عليهم السلام ! ليس لمن دونهم فيها ذوق . ولكن لمن دونهم تعريفاتها . فتكون عن تلك التعريفات اذواق ومشارب لا يحصيها إلا الله ان علماً وعدداً .

فمن هذه الاخلاق ، خلق الجمع الدال على التفريق . والجمع الذي يتضمن التفريق . والفرق الذي يتضمن الجمع . ويظهر هذا الخلق من حضرة العزة والابانة والحكمة والكرم .

ومن هذه الاخلاق ، خلق النور المستور . وهو من اعزّ المعارف . اذ لا يتمكن في النور ان يكون مستوراً . فانه لذاته يخرق الحجب ، ويهتك الاستار . فما هذا الستر الذي يحجبه الا ان ذلك الحجاب هو انت . كما قال العارف :

« فأنت حجاب القلب عن سر غيبه ولولاك لم يطبع عليه ختامه »

ومن هذه الاخلاق خلق اليه . وهو مخصوص بالقلوب واصحابها . وهو على مراتب .

ومن هذه الاخلاق ، خلق اعدام الاسباب في عين وجودها . وهو على مراتب . وقفت منها في الاندلس على مائة مرتبة ؛ لا توجد في الكمال الا في روحانية ذلك الاقليم . فانه لكل جزء من الارض روحانية علوية تنظر اليه . ولتلك الروحانية حقيقة الاهية تمدها . وتلك الحقيقة هي المسماة خلقاً الاهياً .

واما بقية الاخلاق ، فلها مراتب دون هذه التي ذكرناها في الاحاطة والعموم .

ولكل خلق من هذه الاخلاق ، درجة في الجنة لا ينالها الا من له هذا الخلق . وهذه الاربع ، التي ذكرناها ، منها للرسل ومنها للانبياء ومنها للاولياء ومنها للمؤمنين . وكل طبقة من هؤلاء الاربع على منازل بعددهم . فمنها ما يشاركهم فيها الملأ الأعلى . ومنها ما تختص به تلك الطبقة . وذلك ان كل امر يطلب الحق ، ففيه يقع الاشتراك . وكل امر يطلب الخلق ، فهو يختص بذلك النوع من الخلق (و) يقتصر عليه .

ومن الباقي اربعة عشر خلقاً لا يعلمها الا الله . والباقي من الاخلاق تعينها اسماء الاحصاء . وهي اسماء لا يعرفها الا ولي . او من سمعها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ! من الصحابة . واما من طريق النقل ، فلا يحصل بها علم .

(السؤال التاسع والاربعون) : وكم ذ للرسل منها[٢] ؟

واما الثلاثة عشر فيختص بعلمها سبحانه ! وما بقي فيعلمه اهل الجنة . وهم في العلم جما على طبقات . واعني بأهل الجنة ' الذين هم اهلها . فانه لله سبحانه ' اهل هم اهله 'لا يصلحون لغيره . كما ورد في الخبر : « إنّ اهل القرآن هم اهل الله وخاصته» . وللجنة اهل هم اهلها لا يصلحون الا لها ' لا يصلحون لله . وان جمعتهم حضرة الزيارة ولكن هم فيها بالعرض . وللنار اهل هم اهلها ' لا يصلحون لله ولا للجنة . ولكل اهل ' فيما هم فيه ' نعيم بما هم فيه . ولكن بعد نفوذ امر سلطان الحكم العدل ' القاضي إلى « أجل مسمّى » . وكل طائفة لها شرب وذوق في هذه الاخلاق المذكورة في هذا الباب .

فانقسمت هذه الاخلاق على هؤلاء الطبقات الثلاث . كل خلق منها يدعوهم الى ما يقتضيه امره وشأنه : من نار أو جنان او حضور عنده ' حيث لا اين ولا كيف . وللمعاني المجرّدة منها اخلاق ؛ ولعالم الحس منها اخلاق ؛ ولعالم الخيال منها اخلاق . فجنة محسوسة لمعنى دون حس ؛ وجنة معنوية لحس دون معنى ؛ وحضور مع الحق معنوي لحس دون معنى ؛ وحضور مع الحق محسوس لمعنى ؛ ونار محسوسة لمعنى دون حس ؛ ونار معنوية لحس دون معنى . وتتفاضل مشارب هؤلاء الطبقات فيها . فمنهم التام والاتم ' والكامل والاكمل .

« فسبحان من بيده ملكوت كل شيء واليه يرجعون » في كل حضرة . فانه كلما اثبتناه من اعيان اكوان في نار وجنان — فليس الا الحق . اذ هي مظاهره . فالنعيم به لا يصح اصلاً في غير مظهر ' فانه فناء ليس فيه لذة . فاذا اتجه في المظاهر ' وقعت اللذات والآلام ' وسرت في العالم . ويرحم الله من قال :

فهل سمعتم بصب   سليم طرف سقيم
منعم بعذاب   معذب بنعيم ؟

فبه النعيم ' وبه العذاب . فلا يوجد النعيم ابدًا الا في مركب وكذلك العذاب . وأما النعيم والعذاب البسيط ' فلا حكم له في الوجود فانه معقول غير موجود . فأهل المظاهر هم اهل النعيم والعذاب . واهل احدية الذات لا نعيم عندهم ولا عذاب . قال ابو زيد : ضحكت زمانًا وبكيت زمانًا ؛ وانا اليوم لا اضحك ولا ابكى ! وقيل له : كيف أصبحت ؟ قال : لا صباح لي ولا مساء . انما المساء والصباح لمن تقيد بالصفة ولا صفة لي» .

(فتوحات : ٢ : ٧٢-٧٣)

٨٩) «الجواب : على عدد صحفهم وكتبهم ' لا يزيد ولا ينقص .» (الجواب المستقيم ' ورقة ٢٤٦/أ) .

ذ وحافظ V .

« الجواب : كلها الا اثنين . وهم فيها على قدر ما نزل في كتبهم وصحفهم الا محمدًا ، صلى الله عليه وسلم ، فان جمعها كلها بل جمعت له عناية ازلية . قال تعالى : « تلك الرسل فضلنا بعضهم على بعض » فيما لهم به من هذه الاخلاق .

فاعلم ان الله تعالى لما خلق الخلق ، خلقهم اصنافًا ؛ وجعل في كل صنف خيارًا ؛ واختار من الخيار خواصّ ، وهم المؤمنون . واختار من المؤمنين خواص وهم الأولياء . واختار من هؤلاء الخواص خلاصة ، وهم الانبياء . واختار من الخلاصة نقاوة وهم انبياء الشرائع المقصورة عليهم . واختار من النقاوة شرذمة قليلة ، هم صفاء النقاوة المروقة وهم الرسل اجمعهم . واصفى واحدًا من خلقه هو منهم وليس منهم . هو المهيمن على جميع الخلائق . جعله عمدًا . أقام عليه قبة الوجود . جعله اعلى المظاهر وأسناها . صح له المقام تعيينًا وتعريفًا . فعلمه قبل وجود طينة البشر . وهو محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم . لا يكاثر ولا يقاوم . هو السيد ومن سواه سوقة . قال عن نفسه : « انا سيد الناس ولا فخر » . بالراء والزاي ، روايتان . اي اقولها غير متبجح بباطل . اي اقولها ولا اقصد الافتخار على من بقي من العالم . فاني وان كنت اعلى المظاهر الانسانية فانا اشد الخلق تحققًا بعيني .

فليس الرجل من تحقق بربه ؛ وانما الرجل من تحقق بعينه . لما علم ان الله تعالى اوجده له تعالى لا لنفسه . وما فاز بهذه الدرجة ذوقًا الا محمد ، صلى الله عليه وسلم ! وكشفًا الا الرسل وراسخو علماء هذه الامة المحمدية . ومن سواهم فلا قدم لهم في هذا الامر .

وما سوى من ذكرنا ، ما علم ان الله اوجده له تعالى . بل يقولون : انما اوجد العالم للعالم . « فرفع بعضهم فوق بعض درجات » ، « ليتخذ بعضهم بعضًا سخريًا » ، « وهو غني عن العالمين » . — هذا مذهب جماعة من العلماء بالله . وقالت طائفة من العارفين : ان الله اوجد الانس له ، تعالى ! والجن . واوجد ما عدا هذين السنفين للانسان . وقد روى في ذلك خبر الاهي ، عن موسى ، صلى الله عليه وسلم ، ان الله انزل في التوراة : « يا ابن آدم ، خلقت الاشياء من اجلك وخلقتك من اجلي . فلا تهتك ما خلقت من اجلي فيما خلقت من اجلك » .

وقال تعالى : « وما خلقت الجن والانس الا ليعبدون » . وتقتضي المعرفة بالله ان الله خلق العالم وتعرّف اليهم لكمال مرتبة الوجود ومرتبة العلم بالله لا لنفسه ، سبحانه ! وهذه الوجوه كلها لها نسب صحيحة . ولكن بعضها احق من بعض . واعلاها ما ذهبنا اليه . ثم يلي ذلك خاته لكمال الوجود وكمال العلم بالله . وما بقي فنازل عن هاتين المرتبتين .

واعلم ان كل خلق ينسب الى جناب الحضرة الالهية . فلا بد من مظهر يظهر فيه ذلك الخلق . فاما ان يعود من المظهر التخلق به على جناب الحق ، او يكون متعلقه مظهرًا آخر يقتضيه في عين ممكن ما من الممكنات ، لا يكون الا هكذا . واما الحق ، من حيث هو لنفسه ، فلا خلق .

(السؤال الخمسون) : وكم لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ؟ [٥٠] [ر̄]

(السؤال الحادي والخمسون) : وأين خزائن المنن ؟ [٥١]

فمن عرف النسب فقد عرف الله . ومن جهل النسب فقد جهل الله . ومن عرف ان النسب تطلبها الممكنات ، فقد عرف العالم . ومن عرف ارتفاع النسب فقد عرف ذات الحق ، من طريق السلب ، فلا يقبل النسب ولا تقبله . واذا لم يقبل النسب لم يقبل العالم . واذا قبل النسب كان عين العالم .

قال تعالى : « واعبد ربك » – نسبة خاصة – « حتى يأتيك اليقين » فتعلم من عبده ، ومن العابد والمعبود .

قال تعالى : « ما من دابة الا هو آخذ بناصيتها انّ ربي على صراط مستقيم » – « وان هذا صراط مستقيم فاتبعوه » – « اهدنا الصراط المستقيم » – « اعطى كل شيء خلقه » – « صراط الله الذي له ما في السموات وما في الارض الا الى الله تصير الامور » – « وانك لتهدى الى صراط مستقيم » – « واليه يرجع الامر كله فاعبده » لا تعبد انت ؛ فان عبدته من حيث عرفته فنفسك عبدت . وان عبدته من حيث لم تعرفه فنسبته الى المرتبة الالهية عبدت . وان عبدته عيناً من غير مظهر ولا ظاهر ولا ظهور ، بل هو هو لا انت ؛ وانت انت لا هو ، فهو قوله : « فاعبده » – فقد عبدته ! وتلك المعرفة التي ما فوقها معرفة . فانه معرفة لا يشهد معروفها . – فسبحان من علا في نزوله ، ونزل في علوه . لم يكن واحدًا منها ولم يكن الاهما . « لا اله الا هو العزيز الحكيم » !

(فتوحات : ٢ : ٧٣–٧٤)

يلاحظ ان ابن عربي هنا في الفتوحات قد جمع في اجابة واحدة عن السؤالين رقمي ٤٩ و ٥٠ .

٩٠) « الجواب : كلها الّا انه ، صلى الله عليه وسلم ، يزيد على جميع الرسل كلهم في هذه الاخلاق بخلقين خاصة ، لم ينلها (في الاصل : ينلهما) احد غيره . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٦ أ) .

٩١) « الجواب : في حضرة التقرير . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٦ أ) .

« الجواب : في الاختيار المتوهم ، المنسوب اليه واليك . فانت مجبور في اختيارك . فاين الاختيار ؟ وهو ليس بمجبور . وامره واحد . فأين الاختيار ؟ ولو شاء الله فما شاء .

ر̄ محمد V .

ر̄ + منها V .

(السؤال الثاني والخمسون) : وأين خزائن سعي النفوس[٩٢] ؟

« وان يشأ يذهبكم » . وليس بمحل للحوادث . بل الاعيان محل الحوادث . وهو عين الحوادث عليها . فانها محال ظهوره .

« ما يأتيهم من ذكر من الرحمن من ربهم محدث » . والذكر كلامه . وهو الذي حدث عندهم . وكلامه علمه . وعلمه ذاته . فهو الذي حدث عندهم . فهو خزائن المنن . والمنن ظهور ما حدث عندهم فيهم . وهو لا اين له ؛ فلا اينية لخزائن المنن .

ولما كانت المنن متعددة ، طلب عين كل نسبة منه خزانة . فلهذا تعددت الخزائن بتعدد المنن وان كانت واحدة . — « بل الله يمن عليكم ان هداكم للايمان ان كنتم صادقين » انكم يؤمنون . فهذه منتان : منة الهدى ومنة الايمان . وجميع نعمه الظاهرة والباطنة منته . — واذا كان هو عين المنة ، فانت الخزانة . فالعالم خزائن المنن الالهية . فقيننا اختزنت منته ، سبحانه ! فما هو لنا بأين . ونحن له « أين » . فمن لا « أينية » له هو نحن : فأعياننا « أين » لظهوره .

فحقيقة المكان لا تقبل المكان . ودع عنك من يقول : المتمكن في المكان مكان لمكانه ، وفرض بين المتمكن والمكان حركتين متضادتين تعطي حقيقة المكانية لكل واحد منهما . وهذا من قائله توهّم من اجل ما ذهب اليه . والحقيقة هي ما قررنا : من ان المكان لا يقبل المكان . فلا « أين » للاين لمن هو « أين » له . — وهذا كله في المظاهر الطبيعية . واما في المعاني المجردة عن المواد ، فهي المظاهر القدسية للاسماء التي لا تعقل نسب التشبيه . فالعلم بها أن لا علم ! كما روى عن الصديق انه قال : « العجز عن درك الادراك ادراك ! » .

فانقلب التتريه عن « الاين » لمن يقبل التشبيه . فلا تشبيه في العالم ولا تتريه . فان الشيء لا يتنزه عن نفسه ولا يشبه بنفسه . فقد تبينت الرتب . وعالم ما معنى النسب . والحمد لله وحده ان علّم عبده ! » (فتوحات : ٣ : ٧٤-٧٥)

٩٢) « الجواب : سدرة المنتهى : (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ ا) .

« الجواب : ذوات الاعمال . فان اراد تجسد هذا المسمى ، فخزانته الخيال . وان اراد ان يختزن ، ففي سدرة المنتهى . فان اراد ما لها من الخزائن الالهية ، فخزانة الاسم « الحفيظ العليم » .

واعلم ان خزائن هذا المسمى خمس خزائن ، لا سادسة لها . وعباد الله رجلان : عامل ومعمول به . فالمعمول به ليس هو مقصودنا في هذا الباب ، من هذا الفصل ، وانما مقصودنا سعي الاعمال ، من حيث نسبتها الى العاملين .

س: التقى V .

والعاملون ثلاثة: عامل هو حقّ ؛ وعامل بحق ؛ وعامل هو خلق . وكلٌّ له سعي في العمل بحسب ما اضيف اليه . فان الله قد نسب « الهرولة » اليه ، وهي ضرب من السعي مريع . وقد قال: « ان الله لا يملّ حتى تملّوا » ، ثبت هذا في الحديث الصحيح.

فاما سعي العمل الذي هو حق ، فالعمل يطلب الاجر بنفسه ليجود به على عامله . والعامل هنا ما يعطي حقيقته قبول الأجر ، — ولا بد من الاجر . فيكون اذن الاجر الثناء لا غير . فانه يقبل الثناء هذا العامل الذي هو حق . ولا يقبل القصور ولا الحور ولا الولدان ولا التجليات . فان كان العمل مما يتضمن الحسن والقبح او لاحسن ولاقبح — فلا يضاف اليه مبرّئ عن الحكم بنفي او اثبات . وصاحبه أكمل الناس نعيماً في الجنة ولذة وارفعهم درجة . وما له من الجنات ، من حيث هذا العمل ، سوى جنة عدن . والعمل يطلب نصيبه في جميع الجنان ، من حيث ما هو عمل لا غير . فيعود به على صاحبه . بل يكون له مركباً الى كل درجة في جميع الجنات .

وهو المراد بقوله تعالى عنه: « نتبوأ من الجنة حيث نشاء » الى هنا . وقوله: « فنعم اجر العاملين » ليس هم هؤلاء ، بل العاملون بحق وبخلق الا ان يريد بقوله: « نعم أجر العاملين » الثناء فهو لهم . فان لفظة « نعم » و«بئس» للمدح والذم . والعامل هنا حق . والثناء له حق . و«نعم» كلمة محمدة ومدح . فيكون بهذا التأويل تمام الآية له . والتبوّء في الجنات للعمل لا له . فالمحل الذي ظهر فيه العمل ، وهو انت ، هو الذي يتبوأ من الجنة ، بعناية عمله الظاهر فيه ، ما شاء . اذ الصورة الطبيعية منه تطلب النعيم المحسوس والمتخيل . فلهذا ابيحت الجنات له بحكم مشيئته بشفاعة العمل الحق .

فخزائن هذا السعي كلها أنوار : مباحها ومندوبها وواجبها ومحظورها ومكروهها في حكم الظاهر المقرر عند علماء الرسوم ممن ليس له كشف منهم . وهو عند علماء الرسوم ، الذين لهم الكشف الاتم في معرفة الشرائع ، اعني هذا الذي ظهر فيه هذا العمل على هذه الصفة ، ما تصرّف الا فيما حسّنه الشرع وقبله . « ولكن اكثر الناس لا يعلمون » .

واما سعي من كان عمله بحق فيقرب من هذا . انه لما شاهد ذاته عاملة ، وهو من اهل «اياك نعبد واياك نستعين» ومن اهل « لا حول ولا قوة الا بالله » ، نقص عن ذلك الاول . فكان صاحب كشف في عمله لاخذ الحق بناصيته في جميع ما يتصرف فيه .

فامتلأت خزائنه الخمسة عندنا ، والستة عند ابي حنيفة ، نوراً خالصاً ونوراً غير خالص ونوراً مزيلاً لظلمة كانت قبله . فكان ممتزج الأحوال . فلولا عناية هذا الحضور والكشف في حال السعي لما تم له هذا السعد الذي حصل له من ازالة ظلمته .

فهذان الصنفان من أصحاب الاعمال في النور . فلهم اجرهم ونورهم .

واما من كان سعي عامله خلق ، فترفع له خزائن الواجبات ، أعني الفرائض في العمل

(السؤال الثالث والخمسون) : ومن أين يعطى الانبياء. ش [٩٣] ؟

والترك، والمندوبات في العمل والترك، ممتلئة نوراً مشوباً بكون دون انوار من ذكرناهم.
وترفع لهم خزائن المباحات فارغة في العمل والترك، الا من ترك المباح او عمله لكونه مباحاً.
ففيها نور يليق بهذا النوع. فكأنه نور من وراء حجاب. مثل ضوء الشمس خلف السحاب الرقيق. فان نظر الى تضمن ذلك المباح ترك محظور او مكروه، ولم يخطر له ترك واجب او مندوب، فان نوره يكون أتم قليلاً وأضوأ من النور الاول المعرّى عن هذا الخاطر.
فان خطر له ذلك المباح يتضمن ترك مندوب أو واجب، من واجب بوجبه على نفسه: كمن نذر صيام يوم لا بعينه، وله ان شاء ان يصومه في هذا اليوم، وهو صوم واجب ولكن لا في هذا اليوم ولا بد، وان صام في هذا اليوم المباح له ترك الصوم فيه، فقد أدّى واجباً — فان نوره في خزانته هذه بين النورين المتقدمين. وترفع له خزائن المحظورات في العمل والترك والمكروهات في العمل والترك.

اما خزائن المحظورات فظلمة محضة. واما خزائن المكروهات فسدفة. وخزائن المكروه كالاسفار والشفق. وما ثمّ عامل في المؤمنين او الموحدين الا هؤلاء خاصة. واما من سوى المؤمن او الموحد فلا كلام لنا معه في هذا الفصل من حيث قصد السائل.

واما من حيث سعي الاعمال، فان لكل عامل مدخلاً في هذا الفصل بحسب سعيه من معطل ومشرك وكافر وجاحد ومنافق. وما ثمّ شيء سوى هؤلاء الخمسة. وفي الكلام على مناهجهم تفصيل يطول. وكل يجري في طلقه الى اجل مسمّى. وما منهم الا من يقول: انا من الاشياء، فلا بد لي من الرحمة. فان قائلها ليس من صفته التقييد، اذ لو تقيد لحرج عنه ما لا يمكن ان يكون. فمن المحال خروج شيء عنه. فمن المحال تقييده.

فمنّا من تفيض عليه الرحمة من خزائن الوجوب. ومنا من تفيض عليه الرحمة من خزائن المنن، التي ذكرناها. فالكل طامع. والمطموع فيه واسع. «ان ربك واسع المغفرة».
أترى هذه السعة الربانية تضيق عن شيء. هي لم تضق عن الممكنات اذ كانت في الشر المحض، فكيف تضيق عن الممكنات اذ هي في الشر المشوب؟ «هو اعلم بمن اتقى» فيخصه بالرحمة الموجبة بالصفة الموجبة «فسأكتبها للذين يتقون» من لم يتق، فيخصه برحمته المطلقة وهي رحمة الامتنان ولا تتقيد بحصر. فهذا جواب خزائن السعي الاعمال، على الايجاز والبيان». (فتوحات : ٢ : ٧٥-٧٦)

٩٣) «الجواب : تعطى من عين المنة» (الجواب المستقيم، ورقة ٣٤٦).

ش الأولياء. ٧ . ، + ومن اين بعض الاولياء. ٧ .

(السؤال الرابع والخمسون) : وأين خزائن المحدثين من الاولياء ؟ ص(٩٤)

« الجواب : الانبياء على نوعين : انبياء تشريع وانبياء لا تشريع لهم . وانبياء التشريع على قسمين : انبياء تشريع في خاصتهم ، كقوله : « الا ما حرَّم اسرائيل على نفسه »(ص)، وانبياء تشريع في غيرهم وهم الرسل ، عليهم السلام .

اما الانبياء الذين هم الرسل فـ(يعطون) من حضرة الملك ، الذي هو ملك الملك . واما الانبياء غير المرسلين فـ(يعطون) من حضرة الاختصاص . واما الانبياء الذين لا يوحي اليهم الروح المخصوص بذينك الصنفين فـ(يعطون) من حضرة الكرم . والكل (يعطي) من عين المنة والرحمة وهي « الجامع » .

فاما الدائرة العظمى العامة ، التي هي النبوة المطلقة ، فمن اعطيها من حيث اطلاقها فلا يعرف احد ما لديه وما اتحفه به ربه . وهو ايضاً لا يعرف قدر ذلك ، لانه لا يقابله ضد فيها فيتميز عنه . واما من أعطي منها ، من باب الرحمة به وتولى الحق ، بضرب من العطف عليه ، تعليمه : فتعرف اليه بعوارفه ثم عرفه من غيبه ما شاء ان يعرفه . كخضر الذي قال فيه : « آتيناه رحمة من عندنا » اي رحمناه فاعطيناه هذا العلم الذي ظهر به . وان اراد تعالى انه اعطاه رحمة من عنده ، جعلها فيه ليرحم بها نفسه وعباده ، فيكون في حق الغلام رحمة ان حال بينه وبين ما كان يكتسبه ، لو عاش ، من الآثام اذ قد كان طبع كافراً . واما رحمته بالملك الناصب حتى لا يتحمل وزر غصبه تلك السفينة من هؤلاء المساكين .

فالرحمة انما تنظر من جانب ارحم بها لا من جانب صاحب الغرض ، فانه جاهل بما ينفعه . كالطبيب يقطع رجل صاحب الاكلة رحمة به لبقاء نفسه . فالرحمة عامة من الرحيم الراحم .

ولم أرَ أحداً اعطي النبوة المطلقة ، التي لا تشريع لها ، الّا ان كان وما عرفته ؛ فهذا لا يبعد . فاني رأيت من اولياء الله تعالى ما لا أحصيهم عدداً ، نفعنا الله بهم !

واما من اعطي النبوة المقيدة بالشرائع ، ففي الزمان منهم اليوم اليـاس « وان الياس لمن المرسلين » وادريس وعيسى . واختلف في الخضر بين النبوة والولاية . فقيل : هو نبيٌّ ، وقيل : وليٌّ » . (فتوحات ، ٢ : ٧٦)

٩٤) « الجواب : في حضرة الغيب . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦أ-٢٤٦ب) .

« الجواب : في حضرة الحق من الحضرات الالهية ، وفي المظاهر الالهية مما وقعت عليه العين او بعض الحواس من صامت معتاد وناطق :

تحدثني في ناطق ثم صامت وغمز عيون ثم كسر حواجب

ص الانبياء ٧ .

. قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا الفصل : « اذا قال الامام : سمع الله لمن حمده ، فقولوا : ربنا ولك الحمد ! فان الله قال ، على لسان عبده : سمع الله لمن حمده ». فهذا من حديث الله مع خلقه .

وقال تعالى : « فأجره حتى يسمع كلام الله » . فكلّم الله الاعرابي بلسان رسوله ، صلى الله عليه وسلم . فان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، هو الذي تلا عليه القرآن . والقرآن كلام الله – قال تعالى : « ما يأتيهم من ذكر من ربهم محدث » لانه حدث عندهم ، وان كان قديمًا في نفس الامر من حيث انه كلام الله .

وقال صلى الله عليه وسلم : في عمر ، « انه من المحدثين » « ان يكن في هذه الامة منهم احد » واريد حديثه تعالى مع اوليائه لا مع الانبياء والرسل . فان الاذواق تختلف باختلاف المراتب . فنحن لا نتكلم الا فيما لو ادعيناه لم ينكر علينا ، لان باب الولاية مفتوح ولهذا سأل (الحكيم الترمذي) عن خزائن المحدثين من الاولياء .

فأكمل المحدثين من فهم عن الله ما حدثه به في كل شيء . وهم اهل السماع المطلق من الحق . فان أجابوه به فهو حديث . وان اجابوه بهم فهي محادثة . وان سمعوا حديثه به ، فليس بحديث في حقهم ، وانما هو خطاب او كلام . واهل الحقائق يمنعون المحادثة ولا يمنعون المناجاة . فان الحق لا يحدث عنده شيء . فهو ، سبحانه ! يحدث من شاء من عباده ولا يحدثه منهم احد . لكن يناجونه ويسامرونه كالمجتهدين هم اهل المسامرة .

فالعالم خزائن المحدثين من الاولياء اذا سمعوا بهم . فالمحدثون انزل الدرجات في في مقامات الاولياء . وهم عند العامة في الرتبة العليا ، لان علومهم ليست عن ذوق ، وانما هي علوم نقل او علوم فكر ، لا غير .

فاما حديث الله في الصوامت ، فهو عند العامة ، من علماء الرسوم ، حديث حال . اي يفهم من حاله كذا وكذا ، حتى انه لو نطق لنطق بما فهمه هذا الفاهم منه .

قال القوم في مثل هذا : « قالت الارض للوتد : لم تشقني ؟ قال الوتد لها : سلي من يدقني ! » فهذا عندهم حديث حال . وعليه خرجوا قوله تعالى : « وان من شيء الا يسبح بحمده » ؛ وقوله : « انا عرضنا الامانة على السموات والارض والجبال فأبين ان يحملنها » ابابة حال .

واما عند اهل الكشف ، فيسمعون نطق كل شيء من جماد ونبات وحيوان . يسمعه المقيد بأذنه في عالم الحس لا في عالم الخيال ، كما يسمع نطق المتكلم من الناس والصوت من اصحاب الاصوات . فما عندنا في الوجود صامت اصلاً . بل الكل ناطق بالثناء على الله . كما انه ليس عندنا في الوجود ناطق اصلاً ، من حيث عينه . بل كل عين ، سوى الله ، صامتة لا نطق لها . الا انها لما كانت مظاهر ، كان النطق للظاهر . – قالت الجلود :

(السؤال الخامس والخمسون) : وما الحديث؟[٩٥]

« انطقنا الله الذي انطق كل شيء » . فالكلام في المظاهر هو الاصل ، والصمت فيها عرض يعرض في حق المحجوب . والصمت في الاعيان هو الاصل ، والكلام المسموع منها عرض يعرض في حق المحجوب . فلاصحاب الحرف والصوت عذر عند هؤلاء . ولمنكر الصوت والحرف عذر ايضاً عندهم ». (فتوحات ، ٣ : ٧٦-٧٧)

٩٥) « الجواب : بحسب الوقت . وان كان سؤاله عن ماهية الحديث ، في كيفية الحصول : فهو تجل من سماه موسى ، عليه السلام . يجد مواقع الخطاب في سمع قلبه من قوله (تعالى) : « او القى السمع وهو شهيد » . وذلك خلف الحجاب الاقدس » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٦ ب) .

« الجواب : ما يتلقاه السامع اذا سمعه به لا بربه . فذلك هو الحديث لا غير . فان سمعه بربه فليس ذلك بحديث . ومعنى قوله : سمعه بربه ، قول الله تعالى « كنت سمعه الذي يسمع به » . فاعلم ان وصفه بانه سميع هو عينه لا امر زائد .

واعلم ان تحقيق هذا ، انه لكل اسم الاهي نسبة كلام . والانسان محل لاختلاف الاحوال عليه عقلاً وحساً . وذلك ان الالوهية تعطي ذلك لذاتها ، فانها بالنسبة الى العالم بهذه الصفة . قال تعالى : « يسأله من في السموات والارض كل يوم هو في شأن » . فكل حال في الكون فهو عين شأن الاهي . وقد تقرر في العلم الالهي ، انه تعالى لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين ، ولا في صورة واحدة لشخص مرتين . وكل تجل له كلام . فذلك الكلام ، لهذا الحال من هذا التجلي ، هو المعبر عنه بالحديث . فالحديث لا يزال أبداً . غير انه من الناس من يفهم انه حديث ومن ، الناس من لا يعرف ذلك . بل يقول : ظهر لي كذا وكذا . ولا يعرف ان ذلك من حديث الحق معه في نفسه . لانه حرم عين الفهم عن الله فيا يحسب انه خاطر .

والذين قسموا الخواطر الى اربعة ، فذلك التقسيم لا يقع في الحديث . فان الحديث حديث في كل قسم . وانما الاقسام وقعت في الذوات ، التي فهم منها ما اريد بالحديث . فيقال : خاطر شيطاني وهو حديث رباني وقول الاهي لما اراده الحق وقال له : « كن » فكان . فناجاه الاسم «البعيد» كما يتلقاه من الحديث الالهي في الخاطر الملكي الاسم «القريب» ؛ كما يتلقاه من الحديث الالهي في الخاطر النفسي الاسم « المريد » ؛ كما يتلقاه من الحديث الالهي في الخاطر الرباني الاسم «الحفيظ» . فهذه الخواطر كلها من الحديث الالهي ، الذي لا يشعر به الا رجال الله .

فالعالم كله على طبقاته لا يزالون في الحديث . فمن رزق الفهم عنه تعالى وعرفه ، فذلك

(السؤال السادس والخمسون) : وما الوحي[٦٦] ؟

المحدث ؛ وهو من اهل الحديث . وعلم ان كل ما سمعه حديث بلا شك . وان اختلفت القابه : كالسحر والمناجاة والمناغاة والاشارات . فالكلام كله حادث قديم : حادث في السمع ، قديم في المسمّع . فافهم ! » (فتوحات ، ٢ : ٧٧–٧٨)

٩٦) « الجواب : مواقع الاشارات الالهية في القلب ، من غير ريب . هذا اصله . وليس فيه ، من حيث اصله ، تفصيل . وكل ما سمي وحيا ، من غير هذا الصنف ، فمن باب تسمية الشيء باسم (ذلك) الشيء ، اذا كان مجاوزا له او كان منه بسبب » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٣٦ ب) .

« الجواب : ما تقع به الاشارة ، القائمة مقام العبارة من غير عبارة . فان العبارة تجوز منها الى المعنى المقصود بها ، ولهذا سميت عبارة . بخلاف الاشارة ، التي هي الوحي : فانها ذات المشار اليه . والوحي هو المفهوم الاول ، والافهام الاول . ولا اعجل من ان يكون عين الفهم عين الافهام عين المفهوم منه . فان لم تحصل لك هذه النكتة ، فلست الا صاحب وحي . الا ترى ان الوحي هو السرعة . ولا سرعة اسرع مما ذكرناه .

فهذا الضرب من الكلام ليس وحيا . ولما كان بهذه المثابة ، وانه تجل ذاتي — لهذا ورد في الخبر : «ان الله اذا تكلم بالوحي ، كأنه سلسلة على صفوان ، صعقت الملائكة» . ولما تجلى الرب للجبل تدكدك الجبل ، وهو حجاب موسى . فانه كان ناظرا اليه طاعة لامر الله . فلاح له عند تدكدك الجبل ، الامر الذي جعل الجبل دكا « فخر موسى صعقا » . — « حتى اذا فزع عن قلوبهم ، قالوا : ماذا قال « القائل » ربكم ؟» قالت الملائكة «الحق» قالت المتيقنة : « وهو العلي الكبير » . — هذه النسبة من حيث هويته .

فالوحي ما يسرع اثره من كلام الحق تعالى في نفس السامع . ولا يعرف هذا الا العارفون بالشؤون الالهية ، فانها عين الوحي الالهي في العالم ، وهم لا يشعرون . فافهم !

وقد يكون الوحي اسراع الروح الالهي الامري بالايمان بما يقع به الاخبار . والمفطور عليه كل شيء مما لا كسب له فيه من الوحي ايضا ، كالمولود يتلقى ثدي امه . ذلك من اثر الوحي الالهي اليه . كما قال (تعالى) : « ونحن اقرب اليه منكم ولكن لا تبصرون » — «ولا تقولوا لمن يقتل في سبيل الله اموات ، بل احياء ولكن لا تشعرون » وقال تعالى : «واوحى ربك الى النحل ان اتخذي من الجبال بيوتا ومن الشجر ومما يعرشون » . فلولا ما فهمت من الله وحيه ، لما صدر منها ما صدر .

ولهذا لا يتصور المخالف اذا كان الكلام وحيا ، فان سلطانه اقوى من ان يقاوم . — «واوحينا الى ام موسى : ان ارضعيه . فاذا خفت عليه فألقيه في اليم» وكذا فعلت ولم

(السؤال السابع والخمسون) : وما الفرق بين النبيين والمحدثين(٩٧) ؟

تخالف . مع ان الحالة تؤذن انما القته في الهلاك . ولم تخالف ولا ترددت ولا حكمت عليها البشرية بأن القاءه في اليم في تابوت من اخطر الأشياء . فدل على ان الوحي اقوى سلطاناً في نفس الموحى اليه من طبعه ، الذي هو عين نفسه .

قال تعالى: « ونحن اقرب اليه من حبل الوريد » . وحبل الوريد من ذاته . - فيا ايها الولي ، اذا زعمت ان الله اوحى اليك ، فانظر في نفسك في التردد او المخالفة . فان وجدت لذلك اثراً بتدبير او تفصيل او تفكر ، فلست صاحب وحي . فان حكم عليك وأعماك وأصمك وحال بين فكرك وتدبيرك وأمضى حكمه فيك - فذلك هو الوحي . وانت عند ذلك صاحب وحي . وعلمت عند ذلك ان رفعتك وعلو منصبك ان تلحق بمن تقول انه دونك: من حيوان ونبات وجماد . فان كل ما سوى مجموع الانسان مفطور على العلم بالله ، الا مجموع الانسان والجان . فانه من حيث تفصيله مفطور على العلم بالله ، كسائر ما سواهما من المخلوقات من مَلَك ونبات حيوان وجماد .

فما من شيء ، فيه من شعر وجلد ولحم وعصب ودم وروح ونفس وظفر وناب ، الا وهو عالم بالله تعالى بالفطرة بالوحي ، الذي تجلى له فيه . وهو ، من حيث مجموعيته وما لجمعيته من الحكم ، جاهل بالله حتى ينظر ويفكر ويرجع الى نفسه فيعلم ان له صانعاً صنعه وخالقاً خلقه . فلو اسمعه الله نطق جلده او يده او لسانه او رجله - لسمعه ناطقاً بمعرفته ربه ، مسبحاً لجلاله ومقدساً . - « يوم تشهد عليهم السنتهم وايديهم وارجلهم بما كانوا يعملون » . - « وقالوا لجلودهم: لم شهدتم علينا ؟ » .

فالآن من حيث تفصيله عالم بالله . ومن حيث جملته جاهل بالله حتى يتعلم ، اي يعلم بما في تفصيله : فهو العالم الجاهل . - « فلا تعلم نفس ما اخفى لهم من قرة اعين » . فالانسان من حيث تفصيله صاحب وحي ؛ ومن حيث جملته لا يكون في كل وقت صاحب وحي » .

(فتوحات ٣:٧٨)

٩٧) « الجواب: تقرير الاحكام في الحديث ، او انشاؤها . الا ان ابا حامد الغزالي فرق بينهما برؤية المحدث . وليس الامر كذلك . فقد رآه الأولياء في حال حديثه لهم ؛ فكل قال ما شاهد . ولكن حكم ابي حامد بان هذا هو الفرق خطأ . ومشهده صحيح . وهذا كله اذا كان الحديث من الملك والروح . وان كان الحديث من الحق ، فلا سبيل الى رؤية المحدِّث : فانه اذا اشهدك لم يحدثك ، واذا حدثك لم يشهدك . فالحديث ابدًا لا يكون الا خلف الحجاب الأقدس : فانه اذا كلمك أعماك وأسمعك وأنطقك ؛ واذا أشهدك أفناك وأصمك وأخرسك ! » (الجواب المستقيم ورقة ٣٦٦) .

« الجواب : التكليف . فان النبوة لا بد فيها من علم التكليف . ولا تكليف في حديث المحدثين جملة ورأساً . هذا ان اراد انبياء الشرائع . فان اراد اصحاب النبوة المطلقة ، فالمحدثون اصحاب جزء منها . فالنبيّ الذي لا شرع له فيما يوحي اليه به هو رأس الأولياء وجامع المقامات ، مقامات ما تقتضيه الاسماء الالهية ، مما لا شرع له فيه من شرائع انبياء التشريع الذين يأخذون بوساطة الروح الامين من عين الملك . والمحدث ما له سوى الحديث ، وما ينتجه من الأحوال والاعمال والمقامات : فكل نبي محدث ، وما كل محدث نبي وهؤلاء هم انبياء الأولياء . -

واما الانبياء الذين لهم الشرائع ، فلا بد من تنزل الارواح على قلوبهم بالأمر والنهي . وما عدا ما يتزلون به من الامر والنهي ، مثل العلوم الالهية والاخبارات عن الكوائن والامور النائبة – فذلك خارج عن نبوة الشرائع . وهو من احوال الانبياء على العموم ، وينالة المحدث .

فان ظهر من اصحاب النبوة المطلقة حكم من الاحكام الظاهرة من انبياء الشرائع ، من قتل او اخذ مال او فعل من الافعال يناقض حكم شرع الزمان المقرر – فاعلم ان هذا النبي ، الذي ما له شرع ، ليس ذلك من شرع نزل اليه وخوطب به . بل لا يزال تابعاً لرسول قد شرع له ما شرع . وانما اتفق انه اخبر باتباع شرع رسول قد شرع له مما لم يشرع لرسول آخر . وحكمه في حق هذا الرسول يعارضه حكم الرسول الآخر . فاذا اجتمع هذا الشخص ، الذي هو بهذه المثابة ، مع رسول من الرسل ، كالخضر مع موسى عليه السلام ، فحكم في قتل الغلام بما حكم ، وانكر عليه موسى قتل نفس زكية في ظاهر الشرع بغير نفس ، مما لم يكن ذلك حكمه في شرعه ، فقال له : « لقد جئت شيئاً نكراً » اي ينكره شرعي ، وقال له الخضر : « ما فعلته عن امري » يعني في كل ما جرى منه – فكان الخضر في حكمه على شرع رسول غير موسى ، فحكم بما حكم به مما يقتضيه شرع الرسول الذي اتبعه . ومن شرع ذلك الرسول حكم الشخص بعلمه . فحكم بعلمه في الغلام بأنه كافر . فلم يكن حكم الخضر فيه من حيث انه صاحب شرع منزل ، وانما حكم فيه مثل حكم القاضي عندنا بشرع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . فعلى هذا الحد تصدر الأحكام من انبياء الأولياء .

فان قيل : هذا يجوز في زمان وجود الرسل ، واليوم فما ثمّ شرع الّا واحد فهل يتصور ان يحكم انبياء الأولياء بما يخالف شرع محمد ، صلى الله عليه وسلم ؟ قلنا : لا ، نعم ! فاما قولنا : لا ، فانه لا يجوز ان يحكم برأيه . وأما قولنا : نعم ، فانه يجوز للشافعي ان يحكم بما يخالف به حكم الحنفي وكلاهما شرع محمد ، صلى الله عليه وسلم : فانه قرر الحكمين . فخالفت شرعه بشرعه .

فاذا إتفق ان يخبر انبياء الأولياء فيا يعلمهم الحق من احكام شرع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، او يشهدون الرسول، صلى الله عليه وسلم ، فيخبرهم بالحكم في امر يرى خلافه احمد والشافعي ومالك وابو حنيفة ، لحديث رووه صح عندهم عن طريق النقل ، فوقفت عليه انبياء الأولياء، وعلمت من طريقها ، الذي ذكرناه ، ان شرع محمد يخالف هذا الحكم وان ذلك الحديث في نفس الأمر ليس بصحيح- وجب عليهم امضاء الحكم بخلافه ضرورة. كما يجب على صاحب النظر اذا لم يقم له دليل على صحة ذلك الحديث وقام لغيره دليل على صحته ، وكلاهما قد وفى الاجتهاد حقه - فيحرم على كل واحد من المجتهدين ان يخالف ما ثبت عنده . وكل ذلك شرع واحد .

فمثل هذا يظهر من انبياء الأولياء بتعريف الله انه شرع هذا الرسول . فيتخيل الاجنبي فيه انه يدّعي النبوة ، وأنه ينسخ بذلك شرع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فيكفّره . وقد رأينا هذا كثيراً في زماننا ، وذقناه من علماء وقتنا . فنحن نعذرهم ، لانه ما قام عندهم دليل صدق هذه الطائفة . وهم مخاطبون بغلبة الظنون . وهؤلاء علماء بالاحكام ، غير طاعنين بمحمد الله . فلو وفوا النظر حقه، لسلموا له حاله كما يسلم الشافعي للمالكي حكمه ولا ينقضه اذا حكم به الحاكم . غير انهم ، رضي الله عنهم ، لو فتحوا هذا الباب على نفوسهم لدخل الخلل في الدين من المدعي صاحب الغرض، فسدوه . وقالوا: ان الصادق من هؤلاء لا يضرّه سدّنا هذا الباب . ونعم ما فعلوه !

ونحن نسلّم لهم ذلك ونصوبهم فيه ونحكم لهم بالأجر التام عند الله . ولكن اذا لم يقطعوا بأن ذلك مخطئ في مخالفتهم . فان قطعوا فلا عوز لهم . فان اقل الاحوال ان يترلوهم مترلة اهل الكتاب : « لا نصدقهم ولا نكذبهم » . فانه ما دل لهم دليل صدقهم ولا كذبهم . بل ينبغي ان يجروا عليهم الحكم ، الذي ثبت عندهم مع وجود التسليم لهم فيا ادعوه . فان صدقوا فلهم (أجر صدقهم) ، وان كذبوا فعليهم (وزر كذبهم).

فعلى هذا تجري الاحكام من انبياء الأولياء . لا انهم أرباب شرائع بل اتباع (شرائع) ولا بد. ولا سيا في هذا الزمان الذي ظهرت فيه دولة محمد، صلى الله عليه وسلم. والمحدثون ليست لهم هذه الرتبة . بل رتبتهم الحديث لا غير . فهم ناظرون في كل شيء ، آخذون من عين كل شيء ، من كون كل شيء مظهر حق . غير انهم لا يتعدون حدود الله جملة . فان صدر منهم ما هو في الظاهر تعدّ لحدّ من حدود الله ، فذلك الحد هو بالنسبة اليك حدّ وبالنسبة اليه مباح لا معصية فيه. وانت لا تعلم ، وهو على بيّنة من ربه في ذلك . فما اتى محرماً من هذه صفته . فانه ممن قيل فيه : « اعمل ما شئت » . فما عمل الا ما ابيح له عمله . فانه امر لا على جهة الوعيد ، مثل قوله (تعالى) : « اعملوا ما شئتم انه بما تعملون بصير » ، فهذا وعيد .

(السؤال الثامن والخمسون) : واين مكانهم منهم(٩٨) ؟

واما قولنا فيمن قيل له : اعمل ما شئت فقد غفرت لك ، فعمل على كشفه وتحقق . وهذا ثابت في شرعنا بلا شك . فاهل الحديث ايضاً لهم في مثل هذا قدم . ولكن ليسوا (الاصل: ليس) هم مخصوصين به ، بل يشاركهم فيه من ليس بمحدث من الاولياء .

وقد عرفت صفة المحدثين فيما قبل ، وصفة النبيين فقف عند ذلك ! « والله يهدي من يشاء الى صراط مستقيم » . (فتوحات ٣ : ٧٨-٨٠)

٩٨) « الجواب : مكان القدم الذي يرفعونه ، لا غير . وابو يزيد البسطامي رضي الله عنه ، ممن احترق من خلف الحجاب ، عند مشاهدته قد خرز (في الأصل: خرت) الابرة ، من الاختصاص المحمدي . ولقد ترقى في وقتنا هذا بعض العراقيين ، وهو محمد الاواني (الاصل: الأواني) رحمه الله الى ان لم ير امامه سوى قدم واحدة ، فادركته الغيرة . فقيل له : اسكن ، فاما قدم نبيك ! فسكن . وأشار بذلك الى علوه على عبدالقادر الجيلي . فقيل ذلك لعبدالقادر . فتبسم . وقال : صدق محمد ! ولكني كنت في المخدع ، حين خرجت له النوالة . وذكر له الملامة . فأقر محمد بفضله وتقدمه . فقال عبد القادر : محمد من الافراد ، ولذلك خفي عنه عبد القادر لانه خارج عن دائرته . وكان هذا ، عبدالقادر ، ممن اعطى التصرف وقبله وحكم به . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٦ب - ٢٤٧ا) .

« الجواب : مكان التابع من المتبوع ، وهو المشي على الاثر . قال شيخنا محمد بن قائد : « رأيت في دخولي عليه (على الحق ، سبحانه) أثر قدم امامي . فغرت . فقيل لي : هذه قدم نبيك ! فسكن ما بي » .

فاعلم ان هذه الدولة (الدورة ؟) المحمدية جامعة لأقدام النبيين والمرسلين، عليهم السلام ! فأي ولي رأى قدماً امامه ، فتلك قدم النبي الذي هو له وارث . وأما قدم محمد ، فلا يطأ اثره احد ، صلى الله عليه وسلم ! كما لا يكون احد على قلبه . فالقدم التي رآها محمد بن قائد ، او يراها كل من يراها ، فتلك قدم النبي الذي هو له وارث ، ولكن من حيث ما هو محمدي لا غير . ولهذا قيل له (لمحمد بن قائد) : « قدم نبيك » ، ولم يقل له : هذه قدم محمد ، صلى الله عليه وسلم ! فان كان الشيخ فهم منه ما ذكرناه ، فهو من اهل الحديث والكمال . وان كان فهم منه قدم محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فذلك صدع اصاب عين فهمه . — ولهذا قال السائل : « اين مكانهم منهم ؟ » ولم يقل : منه . والمكان هنا يعني به المكانة . —

وحكى عن عبد القادر الجيلي انه قال ، حين قيل له ما قاله هذا الشيخ (= محمد بن قائد) : « كنت في المخدع ، ومن عندي خرجت له النوالة ، يعني الخلعة التي اعطى . لانه سئل (محمد بن قائد) عنه (= عبد القادر) ، فقال : ما رأيته في الحضرة . فقيل ذلك لعبد القادر ،

فلذلك قال : كنت في المخدع ، وسمّى النوالة . وكان كما قال . وانما قال (عبدالقادر): في المخدع ، ولم يسمّ مكان صونه وعين هذا الاسم ، ليعلم بخداع الله محمد بن قائد حيث حكم انه ما رأى عبد القادر في الحضرة في معرض النفاسة عليه . فان حضرة محمد بن قائد في هذه الواقعة هي حضرته التي تختص به من حيث معرفته بربه لا حضرة الحق من حيث ما يعرفه عبد القادر أو غيره من الأكابر . فستر عنه مقام عبد القادر خداعاً . فهم ذلك عبد القادر ، فقال : كنت في المخدع . — وقوله : ان من عنده خرجت النوالة ، يدل على ان عبد القادر كان شيخه في تلك الحضرة ، وعلى يديه استفادها وجهل ذلك محمد ابن قائد فان الرجال في ذلك كانوا تحت قهر عبدالقادر ، فيما يحكى لنا من احواله واحوالهم . وكان يقول هذا عن نفسه ، فيسلم له حاله . فان شاهده يشهد له بصدق دعواه . فانه كان صاحب حال مؤثرة ربانية ، مدة حياته . لم يكن صاحب مقام وما انتقل الى حال ابي السعود ، وان كان تلميذه ، الا عند موته : وهي الحال الكبرى . وكانت هذه الحال مستصحبة لابي السعود طول حياته . فكان عبداً محضاً ، لم تشب عبوديته ربوبية . فاعلم ذلك !

ثم لتعلم ان مكان كل واحد من نبيه ، الذي هو وارثه ، انما مكانه منه على الحال التي اثمر له طريقه . فانه لا يرث احد نبياً على الكمال . اذ لو ورثه على الكمال لكان هو رسولاً مثله او نبي شريعة تخصه ، يأخذ عمن يأخذ عنه . وليس الامر كذلك . الا أنّ الروح الذي يلقي على ذلك النبي تمتد منه رقيقة ملكية لقلب هذا الرجل الوارث ، في صورة حالة مشوبة في ظاهرها ، بصورة ذلك الملك . وتسمّى تلك الروحانية باسم ذلك الملك . وتخاطب هذا الوارث ويخاطبها هذا الوارث بقدر حاله . وينطلق على تلك الرقيقة اسم ذلك الروح. وربما بعض الورثة يتخيل انه عين الروح ، الذي كان يلقي على ذلك النبي . وانه الروح عينه ، والصور مختلفة . وليس الامر كذلك . والخطاب من حيث الصورة لا من حيث الروح ، وتتميّن المرتبة بالصورة .

فمعرفة الانسان بنفسه ومرتبته لا تعلم الا من الصورة . ومن هنا يتخيل ، من لا تمكّن له في المعارف الالهية ذوقاً ، انه نبي او قد نال درجة انبياء الشرائع . ولهذا قال بعض السادة ، من رجال الله : « جعلك الله محدثاً صوفياً ولا جعلك صوفياً محدثاً . فان الغالب ان تكون بحكم الاصل المتقدم ، الّا ان يعصم الله . »

فمعرفة المكان الذي لنا من الانبياء واجب علينا العلم به ، لئلا نكون ممن لبس عليه في ذلك . ولا سيما وانه يقول : « ولو جعلناه ملكاً لجعلناه رجلاً وللبسنا عليهم ما يلبسون » « ولو كان في الأرض ملائكة يمشون مطمئنين لنزلنا عليهم من السماء ملكاً رسولاً » . ولو كان رجلاً لظهر في صورة مَلَك للالتباس المطلوب ، الذي هو صورة علمهم ، ليعلم انه ما اتى عليهم الا منهم . فما جنوا الّا ثمرة علمهم . هذا هو الحق ! » (فتوحات ، ٢ : ٨٠)

(السؤال التاسع والخمسون) : وأين سائر الاولياء.[٦١] ?

٩٩) « الجواب : خلف حجاب النور في النور . والمؤمنون خلف حجاب الغيب في النور . والرسل والانبياء في الضياء والظلال . فلهم الكشف الاتم ، والراحة العظمى . والافراد هم الذين يغبطهم الانبياء لمنع الحق لهم التصرف في وجودهم ، فاحرى في الكون . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٧) .

« الجواب : في النور ، خلف حجاب السبحات الوجهية من الانوار والظلام في نور ممتزج بينها ، كنور الاسحار وهو السدفة . واما المؤمنون فاهم في النور العام المبطون في ظلام الحجب . ومنه تخلص الأولياء الى هذا النور الممتزج . والاكابر احرقتهم انوار السبحات . وخواص الأكابر احرقهم نور البصر .

فالاولياء لا يتجاوز علمهم الصفات الذاتية ، من حيث ما هي منسوبة الى الحق الموصوف بها ، لا من حيث ما دلّت عليها دلائل الآثار . فهم يعرفون العالم من الله ، ويعرفون الله بالله . ومن دونهم ، يعرفون الله من العالم .

واما العالم فلا يعرفه من نفسه الا أكابر الرجال ، الذين لا يعرفون الاشياء او المعلومات الا من نفوسها واعيانها . فلا يتخذون دليلًا على الشيء او المعلوم سوى نفس ذلك (الشيء أو) المعلوم . وذلك لارتفاع المناسبات ولسريان الاحدية في كل (شيء و) معلوم : فكما انه لا مناسبة بين الله وبين خلقه كذلك لا مناسبة بين اعيان العالم والمظاهر . فلا يعرفون شيئاً بشيء ولا معلوماً بمعلوم غيره (= غير ذلك الشيء او المعلوم) . وسائر الاولياء ما لهم هذه المرتبة .

وكيف يعرف الشيء بغيره ؟ ولا يجتمع الدليل والمدلول ! فان احدهما اذا انتفى بوجود الآخر جهلت المناسبة المتخيلة . فذلك المدلول انما عرفته حين ظهر لك بنفسه . واما حين نظرك الى الدليل ، على زعمك ، فلا علم لك الا بذات الدليل . لان ذاته عرّفتك بذاته ، لا بما جعلته دليلًا عليه . فان المدلول ، في حين علمك بالدليل ، لست بعالم به .

فهذا الذي جعل اكابر الرجال لا يتخذون امر الأمر . وانما يتخذون كل امر نفسه وعينه . فيعلمون هؤلاء الله بالله ، والعالم بالعالم ، والاسماء بالاسماء . فلا فكر لهم في استنباط شيء كما لسائر الاولياء . فلهم الشهود الدائم !

فاينية سائر الأولياء في الادلة . فلا يشهدون مدلولًا ابدًا . وعلى هذا جرت أحكامهم . – واما أينيّتهم في القيامة ، فهم الذين لا يخافون « ولا يحزنهم الفزع الاكبر » لانهم ما لم نبع وهم في انفسهم آمنون . فتغبطهم الانبياء في ذلك الموطن خاصة . – واما اينيتهم في الكثيب ، يوم الزور الاعظم ، فلهم الكراسي عليها يقعدون ، والمنابر والأسرة . والمراتب لغيرهم ، ولكن من حيث هم رسل وانبياء ومؤمنون .

(السؤال الستون) : وماض خوض الوقوف ض (١٠٠) ؟

وأما الاكابر في العلم بالله، فان لهم قوة على التحول في رقايق لتحول التجلي في الصور. فيبدون لكل تجلٍّ في صورة رقيقة صورية من ذواتهم، تشاهد ما يشاهده اهل الجمع. وهم في تلك الحال في تصورهم ينمون في صور اجسامهم الطبيعية. فهم مع الله (الاصل : ومع الله) من حيث كونه احدى الذات، بحقايقهم، و(هم) في الكثيب عند الرؤية برقايقهم المثنوية التي اوجدوها لصور التجلي ومن سواهم، فحالهم (انهم) اذا كانوا في الجنان لا يكونون في الكثيب، واذا كانوا في الكثيب لا يكونون في الجنان، فتفقدهم جوارحهم وولدانهم. وأكابر القوم لا يفقدهم شيء من ملكهم. فهؤلاء بأيديهم ملكوت ملكهم. »

(فتوحات، ٢ : ٨٠-٨١)

١٠٠) « الجواب : مشاهدة الماء، الذي ذكره النبي، عليه السلام، حين قيل له : « اين كان الله قبل إن يخلق الخلق ؟ فقال، صلى الله عليه وسلم : في عماء، ما تحته هواء وما فوقه هواء. » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٧ أ).

« الجواب. دخول بعضهم في بعض، طلباً للتخلص مما هم فيه من شدة ذلك اليوم وكربه. فمنهم الخائض في طلب ويشفع له. ومنهم الخائض في طلب من يتكرم (يكرمهم) عليه لينقذه من هول ذلك اليوم. ومنهم الخائض في طلب من يشهد له. ومنهم الخائض في طلب الخصم لطلب القصاص. ومنهم الخائض ليختفي ويستتر من خصمائه. ومنهم الخائض ليستتر حياداً من معارفه. وعلى هذا كان يعمل شيخنا ابو عمران موسى بن عمران الميرتلي. قلت له يوماً : لم تعتزل من معارفك ؟ فقال : ربما لا اكون هناك بذاك، فاستحي من معارفي. فاذا لم أرَ من اعرف، هان عليَّ بعض الحال. - ومنهم الخائض ليعرف مترلته. لما هو عليه من المكانة عند ربه « ليغيظ بهم الكفار ». وأمثال هذا هو خوض الوقوف اذا تأملت.

وأما الطائفة التي كانت تخوض في آيات « وكانوا بها يستهزؤون »، فان الله يخوض بهم في غمرات أعمالهم : كما كانوا في الدنيا « في خوضهم يلعبون »، يكونون في الآخرة « في خوضهم يجزون ». - « ان الذين أجرموا كانوا من الذين آمنوا يضحكون. واذا مروا بهم يتغامزون. واذا انقلبوا الى اهلهم انقلبوا فاكهين. واذا رأوهم قالوا : ان هؤلاء لضالون » - فهذا خوضهم في الدنيا - « وما ارسلوا عليهم حافظين. فاليوم الذي آمنوا من الكفار يضحكون » - الصورة بالصورة، فهذا خوضهم في الوقوف.

قال تعالى، يوصينا ويحذرنا عن هذه صفته : « واذا رأيت الذين يخوضون في آياتنا فاعرض

ض - ض وما حظ الرفرف ٧ .

(السؤال الحادي والستون) : وكيف صار امره كلمح البصر(١٠١) ؟

عنهم حتى يخوضوا في حديث غيره» ؛ «انكم اذن مثلهم» اذا اقمتم معهم . وهم بهذه المثابة وان لم يخوضوا (الاصل: تخض) معهم . — قال تعالى : «ألم تكن ارض الله واسعة فتهاجروا فيها ؟» . « يا عبادي ان ارضي واسعة فاياي فاعبدون » . — فهؤلاء في الوقوف يخاض بهم من حيث يكرهون ، كما خاضوا هنا حيث يكره الحق منهم . — والله يقول الحق وهو يهدي السبيل ! » . (فتوحات : ٢ : ٨١)

١٠١) « الجواب : من حيث ان اللمحة (من البصر) كانت (الاصل : وان كانت) واحدة وانها (أي) واحد فانقطعت (الاصل: واسط) ما تتضمنه من المبصرات من الفلك الأقصى الى حيث بلغت . وتنوعت المبصرات فتنوعت العلوم ، والامر واحد . فكذلك « الامر » : تنوعت آثاره مع احديته في ذاته » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٧ أ — ٢٦٧ ب) .

« الجواب : الضمير في «امره» يعود على الوقوف . فاعلم ان الكيفيات لا تنال . ولكن تنال بضرب من التشبيه . فان « امره واحدة» اي كلمة واحدة مثل «لمح البصر» . فان اللمحة الواحدة من البصر تعم من احكام المرئيات ، من حيث الرائي الى الفلك الأطلس ، جميع ما يحوي عليه ما أدركه بصره في تلك اللمحة من الذوات والأعراض القائمة بها من الأكوان والألوان .

— وفي العبادات كل مُصلٍّ . والخلق كله مُصلٍّ . من حيث دعي ليناجي ربه في الان الواحد . كذلك أمره في الوقوف مع كون ذلك المقدار الزماني خمسين الف سنة من ايام الدنيا . وهو يوم « ذي المعارج » . و « يوم الرب » من « يوم ذي المعارج » مثل نصف خمس الخمس .

فالأيام وان اختلفت مقاديرها ، وعدّها اليوم الشمسي ، فان امر الله فيها مثل لمح البصر ، للافهام والتوصيل . وربما هو في القلة اقل من هذا المقدار . بل مقداره الزمان الفرد المتوهم ، الذي هو « يوم الشأن » . فالشأن ، بالنظر الى الحق ، واحد منه ؛ وبالنظر الى قوابل العالم كله شؤون . لولا (أنّ) الوجود حصرها ، لقلنا انها لا غاية لها . فانظر الحكم الواحد من الحاكم كيف تعدد وعظم بحيث لا يمكن ان يحصره عدد من حيث العالم وانما يحصيه « من احاط بكل شيء علماً » و«احصى كل شيء عدداً » .

فكما صارت الخمسون الف سنة كيوم واحد وفي يوم واحد ، كذلك صار « امره كلمح البصر » . وسبب ذلك ، ان الذي يصدر منه الامر لا يتقيد . فهو في كل مأمور بحيث أمَرَ . فينفذ الامر بحكمه دفعة واحدة . وهذا اذا لم ينفذ في المحدثات وجوده

السؤال الثاني والستون): وامر الساعة أقرب من لمح البصر[١٠٢] ؟

بهذه السمة ؛ فما ظنك بالأمر الحق . فان الهواء حكمه في كل شيء من العالم الطبيعي اسرع من لمح البصر . وهو أمر واحد ، كالانسان الواحد . وكذلك الروح الأمري في الفصول وفي الاجسام الطبيعية . فمثل هذا لا يستبعده الا من لا علم له بالأمور والحقايق ، ولاسيا .

وابن أعاد الضمير في سؤاله من « أمره » على الضمير المذكور في سورة القمر : « وما أمرنا الا واحدة كلمح البصر » وهو الـذي اراد ، والله أعلم . مع انه يسوغ ان يعود (الضمير) على الوقوف وعلى الخوض، فان الزمان الواحد يجمع الخائضين في خوضهم و(الواقفين) . — والله الهادي من شاء الى الحق والى طريق مستقيم . » (فتوحات ، ٢ : ٨١–٨٢)

١٠٢) « الجواب : لان لمح البصر انما سيق تشبيهاً للتوصيل . فلما استقر في نفس السامع ، قيل له : هو اقرب من ذلك . وسميت الساعة (ساعة) لانها تسعى بما فيها . فوقع التشبيه « بلمح البصر » ، لان البصر له سعي باللحظة في المرئيات : فاشتركا في السعي . »

(الجواب المستقيم ، ورقة ٣٦٧ ب) .

« الجواب : سميت الساعة ساعة ، لانها تسعى الينا بقطع هذه الأزمان لا بقطع المسافات ، وبقطع الأنفاس . فمن مات وصلت اليه ساعته ، وقامت قيامته الى يوم الساعة الكبرى ، التي هي لساعات الانفاس كالسنة لمجموع الايام التي تعينها الفصول باختلاف احكامها .

« فأمر الساعة » وشأنها في العالم « اقرب من لمح البصر » . فان عين وصولها عين حكمها . وعين حكمها عين نفوذ الحكم في المحكوم عليهم . وعين نفوذه عين تمامه . وعين تمامه عين عمارة الدارين : « فريق في الجنة وفريق في السعير » .

ولا يعرف هذا القرب الا من عرف قدرة الله في وجود الخيال في العالم الطبيعي . وما يجده العالم به من الامور الواسعه في النفس الفرد والطرفة . ثم يرى اثر ذلك في الحس بعين الخيال . فيعرف هذا القرب ، وتضاعفت السنين في الزمن القليل من زمان الحياة الدنيا . ومن وقف على حكاية الجوهري رأى عجبا ، وهو من هذا الباب .

فان قلت : وما حكاية الجوهري ؟ — قلنا : ذكر عن نفسه انه خرج بالعجين من بيته الى الفرن . وكانت عليه جنابة . فجاء الى شط النيل ليغتسل . فرأى ، وهو في الماء ، مثل ما يرى النائم كأنه في بغداد وقد تزوج وأقام مع المرأة ست سنين ، وأولدها اولادا ، غاب عني عن عددهم . ثم رُدّ الى نفسه ، وهو في الماء . ففرغ من غسله وخرج ولبس ثيابه وجاء الى الفرن واخذ الخبز ، وجاء الى بيته وأخبر اهله بما أبصره في واقعته . فلما كان بعد اشهر ، جاءت تلك المرأة ، التي رأى انه تزوجها في الواقعة ، تسأل عن داره . فلما اجتمعت به عرفها وعرف الاولاد وما انكرهم . وقيل له : متى تزوج ؟ فقال : منذ ست سنين . وهؤلاء اولاده

(السؤال الثالث والستون): وما كلام الله تعالى لعامة اهل الوقوف[ط] (١٠٣)؟
(السؤال الرابع والستون): وما كلامه للموحدين[ع] (١٠٤)؟

مني . فنخرج بالحس ما وقع في الخيال . وهذه من مسائل ذي النون المصري السنة التي تحيلها العقول .

فلله قوى في العالم خلقها مختلفة الاحكام كاختلاف حكم العقل في العامة من حكم البصر من حكم السمع من حكم الطعم وغير ذلك من القوى التي في عامة الناس . فاختص الله اولياءه بقوى لها مثل هذه الاحكام . فلا ينكرها الا جاهل بما ينبغي للجناب الالهي من الاقتدار . وفي معراج رسول الله صلى الله عليه وسلم ما فيه كفاية في هذا الباب مع بعد المسافات التي قطعها في الزمان القليل .» (فتوحات ٢ : ٨٢)

١٠٣) «الجواب: ذلك راجع الى أسماعهم . فيسمع كل شخص بحسب ما يطلبه حاله . فلا يتقيد بأمر عام ولا حالة مخصوصة .» (الجواب المستقيم، ورقة ٣٤٧ ب)

«الجواب: يقول لهم: ما جئتم به؟ فيقع في اسماع السامعين ذلك مختلفاً باختلاف احوالهم بأسماعهم، بل تختلف أسماعهم بحسب احوالهم في الموقف . ولا يحصل في سمع واحد منهم ما حصل في سمع الآخر . وهو السؤال عن النفس الذي قبض فيه . ولا يكون هذا الكلام الا لأهل الوقوف خاصة، الذين هم في هول ذلك اليوم .

واما المتصرفون فيه كالانبياء والرسل والدعاة الى الله، وكالمستريحين من اهل المنابر الذي «لا يحزنهم الفزع الاكبر». وكالمصونين في سرادقات الجلال خلف حجاب الانس — فهؤلاء كلهم وامثالهم ما هم من اهل الوقوف. فأهل الوقوف هم الذين ينتظرون حكم الله فيهم . فيجيبونه عند هذا الكلام بما فهم كل واحد منهم .»
(فتوحات ٢ : ٨٢ — ٨٣)

١٠٤) «بالجواب: بالتقريع!» (الجواب المستقيم، ورقة ٣٤٧ ب).

«الجواب: يقول لهم: فبماذا وحدتموني؟ وبماذا وحدتموني؟ وما الذي اقتضى لكم توحيدي؟ — فان كنتم وحدتموني في المظاهر، فأنتم القائلون بالحلول. والقائلون بالحلول غير موحدين. لأنه اثبت امرين: حال ومحل. — وان كنتم وحدتموني في الذات دون الصفات والافعال، فما وحدتموني. فان العقول لا تبلغ اليها . والخبر من عندي، فما جاءكم بها. — وان كنتم وحدتموني في الالوهة بما تحمله من الصفات الفعلية والذاتية، من كونها

ط الموقف V .
ع + فانه قال في تنزيله عندما ذكر العداة ولا يكلمهم الله يوم القيامة ولا يزكيهم VF .

(السؤال الخامس والستون) : وما كلامه للرسل ، عليهم السلام ؟ (١٠٥)

عيناً واحدة مختلفة النسب – فبماذا وحدتموني ؟ هل بعقولكم؟أو بي؟ وكيفما كان فما وحدتموني.
لان وحدانيتي ما هي بتوحيد موحّد: لا بعقولكم ولابي. فان توحيدكم ايأي بي هو توحيدي
لا توحيدكم وبعقولكم . كيف يحكم عليّ بأس من خلقته ونصبته ؟

وبعد ، ان ادعيتم توحيدي ، بأيّ وجه كان ، فما الذي اقتضى لكم توحيدي؟ . – ان كان
اقتضاء وجودكم ؛ فانتم تحت حكم ما اقتضاه منكم : فقد خرجتم عني ؛ فاين التوحيد ؟ . –وان
كان اقتضاء امري ، فأمري ما هو غيري : فلي يدي من وصلكم ان رأيتموه مني ، فمن الذي
رآه منكم ؟ وان لم تروه مني فأين التوحيد ؟

يا ايها الموحدون ! كيف يصح لكم هذا المقام ؟ وانتم المظاهر لعيني وانا الظاهر ،
والظاهر يناقض الهوية : فأين التوحيد ؟ لا توحيد في المعلومات ، فان المعلومات انا واعيانكم
والمحلات والنسب : فلا توحيد في المعلومات .

فان قلتم : في الوجود ، فلا توحيد : فان الوجود عين كل موجود . واختلاف المظاهر
يدل على اختلاف وجود الظاهر . فنسبة عالم ما هي نسبة جاهل ولا نسبة متعلم. فأين التوحيد؟

فيا أيها الموحّدون ! استدركوا الغلط . فما ثمّ الا الله . والكثرة في « ثمّ » . وما هم
(ثمّ ؟) سواه ، فأين التوحيد ؟ . – فان قلتم : التوحيد المطلوب في عين الكثرة ، قلنا :
فذلك توحيد الجمع . فأين التوحيد ؟ فان التوحيد لا يضاف ولا يضاف اليه .

استعدوا ، ايها الموحدون ، للجواب عن هذا الكلام ، اذا وقع السؤال ! فان كان اهل
الشرك لا يغفر لهم فبحقيقة ما نالوا ذلك . لانه لو غفر لهم ما قالوا بالشريك . فشاهدوا
الامر على ما هو عليه . فان قلت : فمن اين جاءهم الشقاء ؟ وهم بهذه المثابة ، وان عدم المغفرة
في حقهم ثناء عليهم ، – قلنا : لانهم عيّنوا الشريك ، فاشقاهم توحيد التعيين ! فلو لم يعينوا
لسعدوا . ولكن هم ارجى من الموحّدين لدرجة العلم . – جعلنا الله ممّن وحّده بتوحيد
نفسه ، جلّ علاه ! (فتوحات ، ٢ : ٨٣)

١٠٥) « الجواب : ماذا أجبتم ؟ » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٧ ب) .

« الجواب : ما قاله تعالى : « يوم يجمع الله الرسل ، فيقول : ماذا اجبتم ؟ » فأووا الى
« لا علم لنا » . فعلموا انهم لما وُجِّهوا دعوا الى الله تعالى انهم ظاهرًا وباطنًا بدعوة واحدة .
فلو كلفوا الظواهر لم يكن قولهم « لا علم لنا » جوابًا . – ومن هنا لم يصح جميع فروع
احكام الشريعة من المنافق . لانه ما أجاب بباطنه لدعوته مثل ما أجاب بظاهره . وصحت
فروع أحكام الشريعة من العاصي المؤمن بباطنه .

فعلمنا ان المقصود للشرع الباطن ، ولكن بشرط مخصوص . وهو ان يعم الايمان جميع فروع الاحكام وأصولها . فان آمن ببعض وكفر ببعض فلا يعتبر مثل ذلك ، وهو الكافر حقاً .

فيقول الله تعالى للرسل : «ماذا اجبتم ؟» اذا كان كلامهم لهم في حق ما كلفهم من الدعوة اليه . فان اراد السائل ما كلامه للرسل فيا يختص بذواصهم من كونهم عبيداً مقربين — فيكلمهم بما يكلم به المقربين من عباده . فكلامه للرسل المقربين : ممن اعتقدتم القربة ؟ لعل اعتقدتم ان اقترابكم الينا ؟ او الى سيادتكم ؟ او الى معرفة ذواتكم ؟ او الى معرفتي ؟ . — فان اعتقدتم اقترابكم الينا ، فقد حددتموني وانا لا حدّ لي . — وهذا اللسان الذي اذكره في هذا الفصل انما هو كلام الحق لمن «دعا الى الله على بصيرة» كما قال : «ادعو الى الله على بصيرة انا ومن اتبعني» . فهذا لسان من اتبعه في دعوته الى الله نيابة عنه . فكأنه رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : «يدعو الى الله على بصيرة» من حيث دعا الرسول ، لأنهم ورثة . وانما قلنا هذا ، لأن كلامه للرسل لا يعرفه الا الرسل ، ولا ذوق لنا فيه . ولو عرفناه به ما عرفناه . ولو عرفناه لكنا رسلاً مثلهم . ولا حظ لنا في رسالتهم ولا في نبوتهم . وكلامنا لا يكون الا عن ذوق . فالجواب عن هذا السؤال ، اذا اراد الرسل ، ترك الجواب . فاردنا ان نفيد أصحابنا في ان تكلم في كلامه تعالى للرسل الذين هم الورثة ، رسل الله لما دعوا الى الله على بصيرة . وشرك رسول الله ، صلى الله عليهم وسلم ، في الدعوة الى الله تعالى على بصيرة بينه وبين من اتبعه . فاعلموا من اين تكلم وفيمن أتكلم وعمن نبين .

ثم نرجع الى ما كنا بسبيله ، فنقول : فيقول (الله تعالى) : فقد حددتموني ، وانا لا حد لي . فنقول : هذا الذي تقول (هو) لسان العلم ، وانت خاطبتنا بلسان الايمان فآمنا . فقلت : «من تقرب الي شبراً تقربت اليه ذراعاً . ومن تقرب الي ذراعاً تقربت منه باعاً» . فما حددنا لك الا بحدك : فأنت حددت نفسك بنا وحددتنا بك . والا فمن اين لنا ان نحدد ذواتنا ؟ فكيف ان نحدك ! وجعلت الايمان ، بما ذكرناه ، قربة اليك . فهذا كلامك ولسان الايمان . ونحن لا جراءة لنا على ان نقول ما قلته عن نفسك . فيقول (تعالى) : صدقتم ! هذا لسان الايمان .

فتقول طائفة منهم : اقتربنا الى سيادتنا ! فيقول : سيادتكم قائمة بكم ، وما برحت معكم في حال طلبكم القربة اليها . فان لم تعلموا ذلك ، فقد جهلتم . وان علمتموه ، فما صدقتم . اذن ، فلا قربة ! . — فان قالت طائفة : انما اعتقدنا القربة الى معرفة ذواتنا . فيقول لهم : الشيء لا يجهل نفسه . لكنه لا يعرف انه يعرف نفسه ! لان معرفة الشهود تحجب عن معرفة المشهود . فطلبكم القربة ، من معرفة ما هو معروف ، لا يصح .

فان قالت طائفة ، ولا بد ان تقول : انما اعتقدنا القربة من معرفتك . فيقول لهم :

(السؤال السادس والستون): والى أين يأوون يوم القيامة من العَرَصة[١٠٦] ؟

كيف يعرف «من ليس كمثله شيء .»؟ فلو كان شيئاً لجمعتها الشيئية فيقع التماثل فيها . اذن ، فلا شيئية له . فليس هو شيئاً ، ولا هو لا شيء . فان لا شيء (هو) صفة المعدوم . فما ثَمّ المعدوم في انه لا شيء . وهو لا يماثل . «فليس مثله شيء». وليس مثله لا شيء . ومن هو بهذه المثابة ، كيف يعرف ؟ فبطل اقترابكم الى معرفتي . فبطل ان تكونوا من المقربين .

فيقولون : «لا علم لنا الا ما علمتنا . انك انت العليم الحكيم» . فيقول : انتم رسل .— وحقيقة الرسول ان يكون بين مرسل ومرسل اليه . وهو حامل اليهم رسالة ليعلموا بحكم ما تقتضيه تلك الرسالة . فالرسول لما كانت مرتبته البينية ، كان أقرب من المرسل اليهم الى الاسم الذي ارسله . وكان المرسل اليهم اقرب الى الاسم القابل لما جاء به الرسول من الرسول . فالكل من المقربين . فان لم يقبلوا الرسالة كان الرسول من المقربين وكان المرسل اليهم غير متصفين بالقربة : فكانوا من المبعدين .» (فتوحات ٢ : ٨٣-٨٤)

١٠٦) «الجواب : يأوون عند السؤال الى «لا علم لنا» . ويأوون ، من عرصة القيامة ، الى كل منزل يقع فيه الحبس ، على ما يعطيه المحبوس فيه : كالجسور ، والعقاب (مفردها : عقبة) ، والسرادقات ، وامثال ذلك . وهي خمسون منزلاً ؛ يقفون في كل منزل الف سنة . فذلك قوله (تعالى) : «في يوم كان مقداره خمسين الف سنة» . وقد ورد بذلك خبر موقوف ؛ والأمر صحيح في نفسه .» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٧ ب) .

«الجواب : الى ساق العرش . ويوم القيامة له مواطن كثيرة . فالرسل يأوون يوم القيامة من العرصة في كل موطن الى الموضع الذي يكون فيه تجلي الحكم الالهي الذي يليق بذلك الموطن . فموطن للسؤال . وموطن للموازين . وموطن لأخذ الكتب . وموطن للصراط . وموطن للحوض .

فموطن القيامة ، تكون الرسل فيها بين يدي الحق سبحانه كالوزعة بين يدي الملك . واقربهم منزلة من هو ادنى من «قاب قوسين» . وهو التقاء قطري الدائرة . ثم يأوون في السؤال العام الى «ما لا علم لنا» ، وفي السؤال الخاص بحسب ما يقتضيه ذلك السؤال من الجواب .

وللحق سؤال في كل عرصة من عرصات القيامة . فيأوون الى الاسم الذي يتضمن الجواب عن ذلك السؤال الخاص .»

(فتوحات : ٢ : ٨٤)

(يتبع)

معجم تحليل أسماء الاماكن في البلاد العربية

للعلامة المغفور له عيسى اسكندر المعلوف
عضو المجامع العلمية في القاهرة وبيروت ودمشق

حرف الزين

زَبَداني — قرية معروفة في نواحي دمشق فتأتي بمعنى المخصبة أو هي تحريف — سيب — الفارسية بمعنى رائحة التفاح و(ستان) بمعنى محلة فتكون بمعنى رائحة التفاح والعرب تقول من زار الزبداني فاحت منه رائحة التفاح .

زَبَد — بلدة في شمالي سورية قرب حلب .

زبدة — ومنها عين زبدة قرية بين خربة قنافار وصغبين في البقاع والزبدة تسميها العامة بالقشطة والزبدة الخلاصة تسمى بها الكتب.

زَبِيد — اسم مدينة في بلاد العرب في ولاية اليمن على نهر زبيد .

كفرزَبَد — في البقاع بمعنى قرية (المهر) لان زبد العبرانية تفيد هذا المعنى اي ما يعطى للعروس مما تسميه العامة (الدوطه) .

زَبدِل — في البقاع لعلها من — زَبَد — بمعنى وهب او مهر (وإيل) بمعنى الله اي الله وهب . وتأتي زَبَد بمعنى الخصب ومنها الزبدة — وزَبَل — بالعبرانية معناها — سكن — .

زَغرين — في قضاء المتن من لبنان — قرية — . وزغرين كلمة سريانية بمعنى المزجورين او المطرودين او المنتهرين . ولا تزال كلمة (زغره) بمعنى طرده في لغة سكان جبال العلويين واللاذقية . وزغرين اسم قرية من اعمال حلب ، وزغرين في قضاء القنيطرة ومن خراج — زغرين — أرض اسمها الدرمشية من كلمة درمش السريانية اسم نبات يشبه الخزام بشكله ورائحته.

زُغمة — اسم مدينة في سورية القديمة في جنوبي شرقي كوماجينه على ضفة الفرات اليمنى معناها : رباط او صلة.

الزقازيق — بلدة في مصر وسُميت مسيحياً باسم — ليونتوبوليس — .

الزُّوق — اسم محلات في كسروان لبنان ومعنى الكلمة التركانية—زوق— محلّ — وكان سبب نزول التركمان انه لما استظهر جمال الدين اقوش الافرم نائب دمشق على صرود لبنان سنة١٣٠٧م . أرسل قوماً من التركمان الى ساحل كسروان وانزلهم ما بين انطلياس وجسر المعاملتين للانتقام من الكسروانيين الذين حاربوا جيوش المسلمين في موقعة جبيل سنة ١٣٠٢ م . وكان المقدمون على التركمان اربعة وهم ميكايل ومصبح وعامر وخراب فنزل كل منهم في محلة تجاور الاخرى وسميت الازواق بهم فيكان زوق مكايل ولا يزال عامراً وزوق مصبح وفيها معامل النسيج البديعة وزوق العامرية خراب يسمى الآن غارة شلهوب مغيرة زوق الخراب قليلة السكان الآن .

زَيتون — بالمصرية القديمة (فاني كويت) من ثلاث كلمات مصرية — فا — بمعنى خاص و — ني — اداة التعريف للجمع و — كويت — بمعنى زيتون فمعناها — بلدة خاصة بالزيتون — وفي القرن ١٣ م قال العرب زيتون .

حرف السين

سَالَع — أو يقتئيل دعيت بعد ذلك ارقة وبترا ومعنى اللفظتين سيلا وبترا واحد وهو صخر وهي في وادي موسى المشهورة بآثارها .

السامرة — عبرانية شَمرون اي مكان شَمَر وشَمَر صاحبها وقيل المرقب من فعل شَمَر اي حرس ورقب ؛ بمعنى — مركز الخفير — مدينة في فلسطين وسميت (سبسطية) — يو — باسم سبستوس اي اوغسطس قيصر .

سامرّة — سميت باسم (شومر)الشعب البابلي القديم . وتحريفها الى — سرّ من رأى — ليس بدليل على صحته .

سدوم — او صدوم — عبرانية بمعنى (احراق) لان سدوم وعمورة احترقتا .

سِرغَايا — قرية من اعمال الزبداني لعلّها من (سرغ) بمعنى الزرجون اي قضبان الكرم و — آيا — بالسريانية للجمع فالمعنى يدل على عنبها المختص بعبادة باخوس إله الخمر .

سغبين او صغبين — في بقاع العزيز لبنان لها اوجه كثيرة في تحليلها والكلمة مركبة من كلمتين سريانيتين — ساغ — او — صاغ — بمعنى عذوبة .

ومين او بين بمعنى الماء اي محل عذوبة الماء وفي ذلك إشارة الى جودة مناخها او من – صغ – اصلها ساغي بالآرامية للتأكيد وسمناها (جداً) ونحوهـا . (وبينو) بمعنى مجرد الهواء – والمعنى ساغ (بين) وهو إله اي المبد الرئيسي لبين وفي ذلك اشارة الى جودة موقعها . ولذلك شيد فيها معبد لإله المناخ لا تزال آثاره في دير عين الجوزة باسفل القرية .

السلط – يرجح انها من كلمـة – سالتوس – اللاتينية بمعنى – الجبال المشجرة .

سلوقية – في البقاع لعلّها من سلاكيه Salacia إلهة (ربة) الماء الملح عند الرومان .

سوريا – في تاريخ كلدو أثور لأدي شير (١ : ٥١) ما نصه « واما سوريا فكان اسمها في اللغة المصرية (خارو) او شارو) واتخذه اليونان فقالوا فيه (سوريا) وقيل ان سوريا تحريف اسوريا اليوناني اي اثور والرأي الاول اصح . وبعـد الهجرة اطلق العرب على سوريا اسم الشام وكان يحدها شمالاً الطور وهو المعروف عند اليونان بجبل طوروس ويدعى الآن كورين . وشرقاً الفرات والبادية . وجنوباً البحر الاحمر وبلاد العرب . وغرباً البحر المتوسط . وكان للحثيين منـذ قديم الزمان دولة عظيمة في الاناضول وسورية الشمالية وسوريا الوسطى ثم بعد انتصار مصر عليها تقسمت الى ممالك شتى اشهرها (مملكة قرقميش) وكانت على الفرات و – باتين في غربي قرقميش و – مملكة حماة وصوبا – في جنوبي باتين ومملكة أرني بين باتين وجبل حمانا (وفي لبنان حمانا) المعروف اليوم باللكام .

وبين سلسلة جبال لبنان والبحر المتوسط كانت بلاد (فونيقي) وكان يدعوها الاشوريون – احارا – اي الاخير وامتدادها من مدينة ارواد وشمالاً الى عكا جنوباً واشهر وجبيل وبيروت وصور وصيدا وفي سوريا الجنوبية كانت دمشق وفلسطين . وفي اطراف فلسطين كانت عدة شعوب صغيرة منها العمالقة والمرابيون والعمونيون والادوميون » .

ومما (في هذا الكتاب) آ : ٦٤ اسم خزاز (عزاز قرب حلب) . كتالوا عاصمة باتين، نهر ارانتي (العاصي) . مملكة لوحوتي (تحت حماة على الجانب الأيسر من العاصي) الى جبل لبنان . وفي صفحة ٦٦ اسم دمشق ويسميها العرب الشام .

ارام صوبا على ما يظن في وادي العاصي الاعلى او في اطراف حوران — وتوهم المطران يوسف اقليميس داود بقوله : ان ارام صوبا كانت نصيبين في الجزيرة . حماة . وسورية المجوفة . جبل سانير . قطع الارز من جبل حمانا اللكام .

سرق وادي بردى — تعرف قديماً باسم — ابليه — ويقال ان اسمها الاصلي سِيق وادي بردى لان هناك مغاور تدل على انها مناسك للرهبان . وفيها آثار قديمة منها كتابة في حائط معبد قديم تدل على ان ليسانيوس رئيس الربع في الابلية بزمن اوغسطوس قيصر ولد خادم اسمه (نيفا) . وليسانيوس هذا ليس ابن بتلمايوس بل الثاني . ووجد في هذه البلدة خطان منقوشان على جانبي الطريق المفتوحة هناك كتب فيها ان الماهلين مرقس اريليوس انطونيوس (ومرقس هذا انشأ طريق نهر الكلب في لبنان بين سنتي ١٨٢ و ١٨٠ م) ولوشيوس فاروس اوليوس فتحا طريق النهر بخرقها الجبل على نفقة اهل الابلية بعناية فاروس صديقها والي سورية كتب بين سنة ١٦٣ و١٦٤ و١٦٥ . وقال علي بن المظفر ابن ابرهيم بن عمر بن زيد المشهور باسم علاء الدين الكندي المتوفى سنة ٧١٦ هجرية يذكرها :

ولا ارد الوادي ولا عـدت صادراً
مع الركب إلا قلت يا حاديَ النُوقِ
فديتكَ عرّج بي وعرّس هنيهـةً
لعلي أبلُّ الشوق من آبـل السوقِ

السمانية — قرية في شوف لبنان اسمها سرياني بمعنى — الحمراء . — لحمرة تربتها .

سَنين او صَنين — جبل فوق بسكنتا — لبنان — من — سين — قمرو — نين — نور اي نور القمر لانه كان على قمته معبد للقمر .

سنير — من — (سين) إله القمر عند الاشوريين والبابليين وعبرا — وهو من جبال لبنان الشرقي .

سربوتا — صارفة او صرفند .

سكاكا — عبرانية بمعنى (مُصَوِّن) إحدى المدن الست في البرية الفلسطينية غربي البحر الميت.

سلخة — بمعنى سياحة وهي صلخد عند طرف جبل الدروز في حوران وفيها قلعة مشهورة .

سوخار — بمعنى سكران وهي ليست شكيم (نابلس) ولكنها بلدة قائمة بذاتها في فلسطين .

سلوقية — نسبةً الى سلوقوس الغالب (نيكاتور) المتوفى سنة ٢٨٠ قبل المسيح وهي الآن السويدية

شعراء العربية وأولادهم

بقلم رياض معلوف

أيوجد في الدنيا كلها أمتع من الولد هذا الكائن اللطيف الحبيب المسلوخ من القلب والذي هو نسخة عن والديه . وللشعراء الاقدمين والمعاصرين غزل بفلذات أكبادهم من أرق الشعر وأطيبه وأجوده ! ولله درُّ الشاعر القائل :

وانما أولادنا بيننا أكبادنا تمشي على الأرضِ
لو هبّت الريح على بعضهم لامتنعت عيني عن الغمضِ

ومن طريف قول ابن عبد ربّه في رثاء ابنه :

واكبدا تقطعت كبدي قد حرّقتها لواعج الكمدِ
ما مات حيٌّ لميّتٍ أسفاً أعذر من والدٍ على ولدِ
يا رحمة الله جاوري جدثاً دفنتُ فيه حُشاشتي بيدي !
ونوّري ظلمة القبور على من لم يصل ظُلمُه الى أحدِ ...
يا موته لو أقلتَ عثرته يا يومه لو تركته لغدِ ...

وتبارى شعراؤنا المعاصرون في وصف حنانهم وخوالجهم نحو أولادهم ومما قاله الأخطل الصغير في ابنته وداد وهي في العشرين ربيعاً من حياتها وما أروع ما قال :

يا قطعةً من كبدي فداكِ يومي وغدي
وداد يا أنشودتي البكر ويا شعري الندي !
يا قامةً من قصب السكّر رخص العقدِ
حلاوة مهما يزد يوماً عليها تزدِ ...
عشرون قل للشمس لا تبرح وللدهر اجمدِ ...

ومن لطيف قول الشاعر شفيق معلوف بولده :

لا تَرْجُ شعري إن شعر أبيكَ ليسَ بمسعدكْ
إن لم تخلّد أنتَ نفسك ما أنا بمخلدكْ
من مخبري فلربما نلت الخلود على يدكْ !!

وللامير الشعراء أحمد شوقي في اولاده الثلاثة : امينة وحسين وعلي :

أحبُّ صغار العالمين لأجلهم ويعطف قلبي ذو أبٍ ويتيمُ
(أمينتيَ) الدنيا اذا هي قبلت على العيش منها نضرةٌ ونعيمُ !
وقبل (حسين) ما تكلم مرضعٌ ولا نال علياء البيان فهيمُ
وأما (عليٌّ) فالمسيح حداثةً وقورٌ اذا طاش الشباب حليمُ
وإن راح يهذي في الحديث فشاعرٌ
وإن جدَّ فيما قاله فحكيمُ !

ولكاتب هذا المقال قوله في ابنتيه — نجوى وحياة —

أعزُّ عليَّ من المقلتينْ حياةٌ بعينٍ نجوى بعينْ
فحبي الدقيق تقاسم قلبي فاصبح قلبيَ ما بين بينْ ...
ولا فرق ما بين الصبيّ وبين الفتاة على مهجة الوالدينْ !
لأن الصغار نعيم الحياة فحمداً لربي على نعمتينْ !
فاصبحت مثل فراش الرياض يرفُّ جناحي على وردتينْ !!

ومن جميل ما نظم الشاعر المهجري عقل الجر في ولد على لسان أمه مع انه لم يتزوج :

أعطيته كالصبح غرته ملكاً تقمّص صورة الولدِ
أزهو بطلعته واحسبهُ الكون جمّع كله بيدي !

وابيحـه ثدياً يخمشهُ فيطيب في تخميشه قودي
يحتلُّ عرشاً من دعائمـه روحي وبسطة ملكه جسدي
تهتاجني من فيه زقزقـةٌ تزري بصوت البلبل الغردِ
يرنو اليَّ ويا لمقلتـه بصاصةً كالنجم في الجلـدِ
ويهفُّ نحوي منشباً يـدهُ في العين أو في النحر والعضدِ
فأزقّـهُ قبلي وأرهقهُ وأكاد أرجعهُ الى كبدي !
فكأنني وأنا أدغدغـهُ طفلٌ وطفلي دميةٌ بيـدي !

ولشاعر الارز شبلي ملّاط في أولاده أبيات طيبات :

لقـد بـكر الثلاثة يوم عيدٍ وقاموا كالملائك حول مهدي
بسطت اليهم زنـدي فألقوا بأنفسهم على صدري وزندي !
وقبّلني الكبير فهاج (شوقي) وعانقني أخوه فهاج (وجدي)
وذكّرني صغيرهما (غرامي) وما قاسيت من ميٍّ وهندِ...
لياليَ كان يشفع بي شبابي ويعذرني عليه عذار خـدي !
ولولا النازلون على مشيبي وهم قومٌ أعزُّ الناس عندي
لعشت ولا أرى للعيش معنى وقد ذهب الشباب وبتُّ وحدي !

ومن لا يرتعش قلبه لوعةً عندما يقرأ رثاء الياس فرحات لابنته سعاد :

يهنيكِ نومك يا سعاد فانه نوم الرضيع على ذراع المرضعِ
يهنيكِ يا ولدي السكون محركاً بجلال هيبته سواكن أدمعي !..
كم قبـلةٍ تهفو الى شفتيَّ من قلبي الحزين الوالـد المتفجّع...
حتى اذا وجدت سريركِ خالياً رجعت فصارت جمرةً في أضلعي !

وللشاعر المهاجر زكي قنصل الذي خسر ابنته البكر – سعاد –

وهي في إبان تفتح براعم وردة حياتها فنظم لها ديواناً كاملاً من الشعر اقتطفت منه هذه القصيدة الشيقة – أرجوحة سعاد – حيث مهّد لها الشاعر بهذه الكلمات المنسلخة من قلبه المفجوع بسعاده: «وانزوت الى جانب السرير أرجوحة الكروان الصريع تثير في قلب الشاعر ذكريات المهد الندي».

بالغالين حشاشتي وجناني أفديك يا أرجوحة الكروانِ
غالت بشاشتكِ الرزية وانطوت
دنيا ازدهت بالروح والريحانِ
سقياً ليالي الأنس والأمل الذي
أشربته ما سال من أجفاني!
ما كان أقصرها على سمّارها وأخفّ وطأتها على الندمانِ

ما للزهور اذا رأتني أطرقت حيرى بأي تحيةٍ تلقاني؟!
ما للطيور اذا استشفت لوعتي غصّت حناجرهنَّ بالألحانِ
أرجوحة الكروان هدّمني الأسى إلا بقيةَ مدمعٍ هتّانِ...
يجري على قبر الحبيب ولم يكن لولاه بالجاري ولا الحرّانِ
إني ليجرح مقلتي ويمضني مرآكِ بين مخالب الأشجانِ
شوهاء خافتة الصدى كقصيدةٍ جوفاء عاطلةٍ من الأوزانِ!
إن الذي أعطي استردَّ عطاءهُ يا ليتهُ استأنى فما أعطاني!
أمن العدالة ان تصوّح روضتي في عنفوان ربيعها الفتّانِ
وتحيل عرسي مأتماً لا ينتهي وتعدُّ في عيد المنى أكفاني!
كروانيَ المعبود ضمته الثرى يا موت لا ترحم أبا الكروانِ!..

وكانت احدى شاعرات العرب واسمها أميمة تناجي ولدها وترقصهُ على يدها قائلةً :

يا حبذا ريح الولدْ ريح الخزامى في البلدْ
أهكذا كل ولدْ أم لم يلد مثلي أحدْ...

ومن مؤثر مارثت به ولدها القتيل شاعرة اعرابية من بني عبدود :

يا فرحة القلب والأحشاء والكبدِ يا ليت أمكَ لم تحبل ولم تلدِ...
لما رأيتكَ قد أدرجتَ في كفنٍ مطيباً للمنايا آخر الأبدِ...
أيقنتُ بعدكَ اني غير باقيةٍ وكيف يبقى ذراع زال عن عضدِ

وللشاعر المعروف امين نخله في ولده — سعيد — وهو في السادسة من عمره قصيدة بعنوان — العصفور — وهاك بعض ما جاء فيها :

يا حبيب الغصن : صفّقْ بالجناح وانزل الوادي وبشّر بالصباح
صيحةً منكَ على الضفة ، أو زيكةً خلف البساتين الفساح
إن صبحاً أنت لم تهتف بهِ هو كذّاب التباشير وقاح...
وترى الوادي فراغاً موحشاً يوم لا يملأه منك الصياح
يا رقيق الريش والصوت ويا أخضر الدار ويا حلو المراح
أسأل الله لك اليمن على منكب الجو وفي عصف الرياح
انه عصفور قلبي تاحلٌ ناعمٌ لو صدّه الورد لزاح...
صوتهُ في البيت أنسٌ مائجٌ واسمه أهنأ من سلسال راح
صرت من أجل (سعيدٍ) مشفقاً ان تهب الريح في وجه الأقاح !

ومن أبلغ ما قيل في — المشيب الجميل — هذه القصيدة للشاعر المدني قيصر سليم الخوري وفيها حنان وعطف ولهفة الأبوة الحقة واستكانة الشاعر الى اولاده بعد عودته من السفر في سبيل تحصيل العيش لهم :

وثلاثة لما ضممتهم الى صدري شفيت من الفؤاد غليلا
يتسارعون اليَّ حين أعود من سفرٍ قصيرٍ قد رأوه طويلا...
فتخالنا عند التعانق دوحةً صغرى تزيكَ نضارةً وذبولا
ما بال قلبي كلما أعطيتهم أضعاف ما طلبوا أظلُّ بخيلا
وعدى لهم أربٌ فان قصرت يدي عن مطلبٍ فرحوا به تعليلا
قبلاتهم عند السؤال عطيةٌ منهم تعيد السائل المسؤولا
يا طالما أدنيت خديَّ مغمضاً عيني أفتح للسؤال سبيلا...
قد فرجوا عني الهموم وزحزحوا عن منكبي صخراً أصمَّ ثقيلا

فما أجمل عودة الاب بعد جهد النهار وتعبه الى منزله حيث يعانق أنجاله الاحباء المنتظرين مقدمه بفروغ صبر ولهم كما تعلمون مطاليبهم اليومية والتي لولاها لما سعى احد من الناس وما عمل ولا اشتغل ! وبهذا حافز للاب لينشط ويجاهد في سبيل العيش الكريم وبذلك لذة ما بعدها لذة ومتعة ما بعدها متعة ! ومها أعطيتهم مما طلبوا تجد نفسك بخيلاً مهاكنت كريماً معهم واعطيتهم روحكَ وقلبكَ !

وصدق الشاعر بقوله :

ما بال قلبي كلما أعطيتهم
أضعاف ما طلبوا أظلُّ بخيلا
لولاهم ما كان ضعفيَ قوةً
والعسر يسراً والمشيب جميلا...

تعريف عن الكتب

BERNARD DE VAULX: *Les Missions. Leur Histoire.* Coll. Je sais-Je crois. Librairie Arthème Fayard, Paris, 1960.

استلمت الكنيسة من مؤسسها الامر بالذهاب الى البشر وبتعميدهم . وهذا الامر جعل حياة الكنيسة حياة رسالة مستمرة . إنما عصرنا يشعر بما في تلك الرسالة من دعوة الى العمل بوجهها في عصر كعصرنا .

وهناك ثلاثة فصول في هذه المجموعة ستتكلم على الرسالة : الاول ومؤلفه برنارد ده ڤو ينطلق من العنصرة حتى اوائل الحرب الكونية الاولى . فيه ثلاث نقط : من موت المسيح الى اكتشاف العالم الجديد : وهذا ما ندعوه بعودة العالم المتوسطي الى المسيح . ومن اكتشاف العالم الجديد الى غريغوريوس السادس عشر ، وهو عصر المدّ والجزر ، عصر الاضطرابات ، عصر البطولات والمواقف السلبية المخجلة ، يتعاطى رسالة اليسوعيين في الشرق الاقصى والرسالة على حدّ السيف في اميركا ومولد الرسالات الخارجية كما ويتكلم على عدم فعالية الثروة والبذخ . واخيراً من غريغوريوس السادس عشر الى بندكتوس الخامس عشر : وهو عصر التجديد في القرن التاسع عشر وهذا العصر وان كان تافهاً ففيه كرم واعطاء .

من حسنات هذا المؤلف انه توصل لرسم صورة كافية حية في صفحات معدودة لقرون عمل ومعركة دون ان ينكمش على نفسه في ايجاز مؤسف .

ا. ع. خ

SUZANNE CITA-MALARD: *Un million de Religieuses.* — Coll. Je sais-Je crois. — Librairie Arthème Fayard, Paris, 1960. 128 pp.

كتاب يروق القارئ بما فيه من دراية وذكاء وانس . توصل المؤلف الى جمع ما استطاع عن تاريخ الرهبنات وعددهم في العالم . فلقد اراد بادئ ذي بدء ان يستخلص المبادئ المشتركة اساس الحياة الرهبانية واساس كرامة هؤلاء النساء اللواتي خصصن انفسهن للرب. فما هي الراهبة ؟ وكيف في تاريخ الكنيسة البشري والالهي تكونت «عرائس المسيح» وما هي النذور الرهبانية . وبعدما

يجيب المؤلف على هذه السؤالات الاساسية يجعلنا نروح معه في طرق تبعتها الرهبنات من تأملية او ارسالية او عملية . ولكن هناك مشكلة أخرى : كيف تستطيع امرأة اليوم ان تـدخل في قوالب عتيقة . نجد بعض النور في الروحيات والتاريخ والحق القانوني على سؤالنا هذا . انما المؤلف يعود الى تحاليل نفسانية معاصرينا فيدلنا على الانقلاب الجذري الذي يصيب ارادة وحرية وعاطفة وعقل راهبة اليوم .

وما علينا بعد ذلك الّا ان نتحرى مسؤليتنا على صعيد الدعوات الرهبانية . ففي جسد المسيح السري الذي لا نجد اعضاء مستقلين عن الاخرى . كلنا مسؤولون . وهل موقفنا مسيحي تجاه الراهبات ؟ فالجواب يتطلب تفكيرًا وتفكيرًا .

وفي الجزء الاخير من الكتاب يدرس المؤلف تطبيق الحياة الرهبانية على حياة اليوم من لباس وتوقيت عمل وشغل ومن تطبيق المؤسسات نفسها كتلك التي تتألف من علمانيين .

فلا يتعثر القارئ في قراءته هذه بفهرس ناشف لا حياة فيه . فنظرة المؤلف على الحياة الرهبانية عميقة ، وحب الفكاهة يبدو في كل صفحة ومحبة صادقة نحو الراهبات ، كل ذلك يجعلنا نشعر ما في قلب المؤلف من تيارات عجب ولطف ومحبة نحو المؤسسات تلك .

ا. ع. خ

حتى القطرة الاخيرة

بقلم فارس زرزور

دار الفكر بدمشق — ١٩٦١ — ١١٢ صفحة

قصة تحمل بين طياتها شيئاً من مأساة فلسطين وتحلل نفسانية سكان القرى المتاخمة لتلك البلاد التي اضطر الاهلون ان يتركوها . ولا تتغير الاحوال بتغير البلد . فما نراه هنا رأيناه وقرأناه عند محمد ديب . انما القصة هنا تظل بعيدة عن التعمق الذي وصل اليه ديب . ولكن المؤلف جرب ونجح فاطلعنا على حالة سوء دون ان يسير غور الاعماق التي فيها تتكون المأساة وتشتعل .

اسلوب القصة سلس بسيط لا تصنّع فيه ولا مراوغة .

ا. ع. خ

فلسفة الميثاق الوطني

بقلم كمال يوسف الحاج

بحث فلسفي لاهوتي سياسي حول الطائفية في لبنان على ضوء الميثاق الوطني

بيروت ١٩٦١ — ٢٦٨ صفحة

إن ما يوقف القارئ في هذا الكتاب صراحة المؤلف وقوة التحليل الفلسفي الذي أخذ على عاتقه ان يضعه في متناول الجدل. فلقد درس المؤلف الطائفية من الوجهة الفلسفية واللاهوتية والسياسية وفي هذه المراحل الثلاث تبدو العودة الدائمة الى الاسس التفكيرية التي لولا اتبعها السياسيون لوجدوا ان الفوارق تضمحل وأن العقبات في سبيل التفاهم تزول . ولقد افلست تجارب هؤلاء وحنكة اولئك ليقربوا بين وجهة نظر من في يدهم السلطان فخابوا وعادوا بخفي حنين اذ ان المفاهيم ضمّت المعاني المختلفة المغايرة التي لم تُبقِ سبيلاً للتفاهم. والمطلوب أن يرفع كل وطني مدمك القومية الصحيحة .

واذا ما كان لي ان أقف عند فصل من فصول هذا الكتاب الصافي فاني أذكر ما قاله المؤلف عن الالحاد الغير الممكن . ففيه من دقة التحليل ونفاذ البصيرة ما يشجع كل قارئ على سبر غور الفكر الفلسفي يرتوي منه ويعيش ، دون ان يستسلم الى كلمات جوفاء. يقف عندها ، مغذياً النفس وعائداً عن بعض المواقف الموروثة المتداولة التي لا تجدي نفعاً فتتجدد الفكرة ويدخل القارئ في آفاق جديدة يشعر فيها بأن للكلمة معنى وللجملة هدفاً وبأن على المفكر ألا يسير في طرق معبد قبل ان يجدد قوة التمثل بمن سبق .

نوهنا بهذا الفصل وكان باستطاعتنا أن نذكر هذا او ذاك من سائر فصول هذا الكتاب الذي تتكاثر فيه الدروس الدقيقة : مثلا الطائفية من الجهة السياسية . انا نرى ان ما ميز الفصل السابق يميز هذا. وكم نُقرّ المؤلف على تحديداته الواضحة وعلى جرأته الفكرية في وضع الحق في نصابه : فيميز بين الحكومة والدولة ، وبين الطائفية والتعصب الى ان يصل الى التدقيق في الميثاق وقوته فيرى فيه فلسفة وعقيدة : ولذا فان التعايش السلمي لمن نتائج الدين والطائفية ، ولذا فان الراهب والكاهن يحق لهما التزام السياسة اي ان يقولا كلمتها «في شؤون الدولة

التي هي شؤون انسانية وهذا لا يعني تدخلاً في ادارة الحكومة» (١٩٥)، ولذا «فان الغاء الطائفية في لبنان يجر معه الغاء للكيان السياسي الراهن الذي يكفل وحده لرجل الدين مزاولة معطياته الجسدية والنفسية والروحية بشكل استقلالي تام ناجز» (١٩٦).

وهذا بعض من الكثير الذي حوته دفتا هذا الكتاب الناضج. واذا ما نوهنا ايضاً بلغة المؤلف وبثروتها الكلامية وبقوة تعابيرها وبصدق لهجتها زدنا على ما قلنا في ما سبق تأكيداً لقيمة مؤلف وددنا لو قرأه الكبار والصغار وتفهموا معانيه فصاروا الى تفاهم وتكاتف.

اغناطيوس عبده خليفه اليسوعي

يوحنا الثالث والعشرون – حياته، شخصيته

بقلم اندره لزاريني

نقله الى العربية الخوري اسعد باسيل

المطبعة الكاثوليكية – بيروت ١٩٦٠ – ٧٩ – حجم وسط

حياة ملأى بالمغامرات الرسولية في خدمة الله والكنيسة. ففي هذا الكتيب تبدو صورة قداسة البابا في بساطتها وعمق مراميها، من مهد العائلة الى قمة المجد الروحي يسير الولد والشاب والكاهن والاسقف والكردينال والبابا على وتيرة واحدة وكأن الامور والوظائف لا تبدل فيه شيئاً: فطرة وذكاء وقاد وغيرة هياجة وروح صلاة وعبادة ومحبة لا يثنيها شيء، كل ذلك في خدمة بشرية متألمة. فتوصل الى ان يقرب النفوس من شخصه اولاً وبهذه الواسطة من الله فكان أين حلّ تحل معه المحبة والإلفة. ولذا فان وجه البابا الحالي يبدو من خلال هذا الكتيب، المترجم عن اللغة الطليانية باسلوب شيّق، يفوق هنات العالم ويسمو في عالم الحق الذي يدخله منذ اليوم الرجال الذين يؤثرون على سير التاريخ.

يُطلب هذا الكتاب من المكتبة الشرقية – ساحة النجمة – بيروت

ا. ع. خ

مشاهد من الانجيل — جزآن

بقلم الخوري يوحنا الكوكباني

المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩٥٩ ، ٤٨ و ٥٠ صفحه — حجم وسط

بين مشاكل اليوم الملحة ان لا ينسى المسيحيون انجيلهم وخوفاً من ان يروا فيه الكتاب القديم في فصوله وآياته — وهو كتاب لا يشيخ اذ هو كلمة الله للانسان — يأخذ بعض المؤلفين على عاتقهم بايصال كنه تلك الكلمة الى اذان الشعب ويستلهمون في ذلك الروايات او ما شاكلها من اسلوب حيّ يحياه القارئ ويتنبه بشغف ويستقي من ثروته . وهذا الكتاب الذي نحن بصدده ، في احدى عشرة لوحة ، يصور لنا سر الخبز وسر الخمر وسر الاسرار وسر الالم وسر المجد ، آخذاً بحياة المسيح الاله في مراحلها المختلفة دون ان يأتي على المراحل كلها — ولم يكن هذا هدف المؤلف — وساردا باسلوب بسيط متين صوراً يقف عندها القارئ ويتأمل ويجني فائدة .

يطلب هذا الكتاب من المكتبة الشرقية — ساحة النجمة — بيروت

ا. ع. خ

أقصوصة الميلاد

بقلم كرم البستاني

المطبعة الكاثوليكية — بيروت ١٩٥٩ ، ٣٩ صفحة — حجم وسط

استلهم الكاتب ما ذكره الكتاب المقدس عن المسيح الاله وميلاده وعن مريم ومولدها فاكب يعطينا باسلوب قصصي تلك الحقيقة التي تؤثر دائماً في قلب القارئ وتستجلبه الى التأمل والصلاة .

ففي لوحات ثلاث حلل المؤلف ميلاد المخلص في التاريخ وقص حكاية الميلاد وصور شجرة الميلاد فاعطانا ما نرنو اليه في ايام الميلاد من عودة الى حقيقة التاريخ والى ما علق عليها من قصص تعبّر عن شعور الشعوب في اختلاف تقاليدها . فأتى هذا الكتيب صافي الاديم متزناً نقرأه فنسير به الى النهاية ،

ونغلقه فننشر بكآبة لأنه انتهى . ولذا فالى المؤلف نقول : هات ما عندك من هذه الدرر .

يطلب من المكتبة الشرقية – ساحة النجمة – بيروت

ا. ع. خ

تاريخ الوزارات العراقية

بقلم عبد الرزاق الحسيني

مطبعة العرفان – صيدا – ١٩٦٠ – الجزء التاسع ، ٢٦٨ صفحة ، والجزء العاشر ٢٧٤ صفحة

لهذين الجزئين من تاريخ الوزارات العراقية وهما الاخيران من هذا التاريخ الكبير ميزات ما سبقها من اجزاء . صدق في نقل الوثائق وخضوع لطريقة علمية في مقابلة المصادر . فيسير القارئ صحبة المؤلف وهو يعلم ان اقدامه راسخة لا يزحزحها شيء ، وانه يجد في كل صفحة من صفحات هذا الكتاب ما يحمل العقل يستوعب الأسباب والبراهين لتقلبات سياسية او لتوجيهات عملية صادقة . والجزآن يستوعبان كل ماجريات الأمور من الوزارة الخمسين الى الوزارة الستين.

فهذان الجزآن يعود اليهما المنقب كلما تحدث عن سياسة العراق وكلما طلب ان يفهما في تاريخها وفي تطلعها الى المستقبل. ا.ع.خ

دراسات في تاريخ الفلسفة العربية الاسلامية وآثار رجالها

بقلم عبده الشمالي

الطبعة الثالثة – بيروت ١٩٦٠ – ٤٧٦ صفحة

اختبار سنين تدريس ضمّنه المؤلف هذا الكتاب الذي حوى في حجمه الصغير الكثير عن الفلسفة العربية في المؤلفين وآثارهم آراء . شخصية مما يجعل لهذه الصفحات قيمه تُذكر في علم تواريخ الفلسفة التي يستعملها الطلاب للإطلاع على ما عليهم ان يعرفوه للنجاح في الشهادات المدرسية .

اشبع المؤلف موضوعه درساً . وراح يستقي من الفلسفة اليونانية وارباها ما تأثر به الفلاسفة العرب ، فعرض الآراء ، وتقصّى نتائجها وعاد فاطمانا على فضل

السريان والنساطرة واليعاقبة والصابئة وسواهم وما في كل هذا من جديد. وتتبع بعد ذلك تسلسل الآراء وتطورها ، فأخذ ينقب عن كتب الفلاسفة فيحللها ويعرضها بصورة مدرسية واضحة صافية ويُرى من خلال السطور ايضاً كل ما هو به مدين لمن سبقه من مؤرخي الفلسفة وان لم يضع في الحواشي المصادر . ولذا فأتى هذا الكتاب مليئاً ثروة يفيد الطلاب منها .

انما نأخذ على المؤلف امرًا وهو عدم تطرقه الى درس صوفية ابن خلدون. فلقد اكتفى بالمؤرخ وبفيلسوف الاقتصاد الى ما هناك من الامور التي تعودنا على تردادها. ولقد كان من الضروري ، خاصة بعد نشر كتاب « شفاء السائل لتهذيب المسائل » لابن خلدون ، ان لا يغيب عنه التلميح الى صوفية كما عبّر عنها المؤرخ . وهناك ايضاً امر في درس الغزالي لم يأتِ المؤرخ على ذكره وهو المجادل الديني ، وقد نشرت كتب تدلّ دلالة واضحة على المحاورات الدينية التي كتبها الغزالي . وفي هذه المناسبة كان يوسع المؤلف ان يحكم الحكم الصائب على طريقة الغزالي في مجادلاته ، الى غير ذلك من النقط التي لو بحثها المؤلف لجاءت وافية كاملة .

هذا مع العلم أن هذا الكتاب هو كتاب مدرسي ولا يصح أن تثقل صفحاته بامور تكبر الطلاب وتتجاوز شخصيتهم الفتية. ا.ع.خ

نحن وروما والفاتيكان

بقلم الدكتور اسد رستم

منشورات النور – بيروت ١٩٥٩ – ٧٨ صفحة

ألقى المؤلف نظرة شاملة في كتابه هذا على محور الكثلكة ، روما والفاتيكان ، وراح يعيد ما قد قاله في تاريخ انطاكية عارضاً النصوص ومفسرًا الآيات حسب فكرة الأرثوذكسية وناظرًا الى رومة واسقفها نظرة الناقد غير آبه لما في السلطة الكنسية من ايعاز الهي حتى ولو كانت النصوص واضحة غير محرّفة ، حتى ولو كانت نصوص متى لا يشوبها شائب ولا يعلوها ريب في تطبيقها على بطرس . انما وان كانت الكنيسة الرومانية قد خلفت الامبرطورية الرومانية واخذت عنها بعض تنظيماتها أوَ يكفي هذا لكي يقال انها احبت ان

تمتد سلطتها على العالم باسره كما كانت حالة الامبراطورية الرومانية . اذاك نفرغ النصوص من معناها وننظر الى الكنيسة نظرة بشرية انسانية وان رددنا انّنا في ورع لدى الله وفي خوف من احكامه . ولذا وان كان على المؤلف ان يعرض الامور حسب ما تعلمه اياها الكنيسة الا.ثوذكسية ، كان عليه ايضاً أن يحتفظ بشيء من الاجلال لتلك الكنيسة الرومانية غير موجه اليها لذعات وقوارص لا ترضي الّا النقد والنقد لا يرضي الّا الضعف. هناك نصوص وآيات، هناك اناجيل ورسائل ، هناك تقليد كنسي حي حفظته الاجيال ووصل الينا صافياً ، علينا ان نعود الى هذا كله فنفهم ان الكنيسة الكاثوليكية لم تفرض سلطة اعتباطية بل كانت دوماً عمود الحقيقة وصخرة الايمان هي ورئيسها المعصوم الذي اليه ، كما يقول ايريناوس ، يجب ان نرجع كلنا فتشنا عن الحقيقة .

يطول الكلام لو اردنا ان نجادل المؤلف على كل نص بمفرده وهناك كتب ومكتبات ولن تزيد شيئاً عما قيل . ا. ع. خ.

اربعون عاماً

بقلم ايغار سبكتور

بيروت ١٩٦١ ÷ دار غندور – ٢٠٦ صفحات

في هذا المؤلف عرض تاريخي علمي للعلاقات السياسية والاجتماعية بين الاتحاد السوفياتي وبلدان الشرق الاوسط من سنة ١٩١٧ الى سنة ١٩٥٨. وهو اول بحث من نوعه يصدر باللغة العربية. يشتمل على تحليل لتلك العلاقات ويبين كيف لم يكن هدف الاتحاد السوفياتي يوماً الّا فرض رقابة قاسية على الدولة التي كان يعلن انه يريد تحريرها . وفي تحليل المؤلف دقة وعودة الى الوثائق مما يجعلنا نحترم افكاره وآراءه.

يُقرأ هذا الكتاب بشغف، وفيه لا يحلّل تأثير فرد على فرد آخر، ولكن تأثير دولة على دول مع ما في ذلك من مدّ وجزر، مع ما في ذلك من انتصار وانكسار . فترى الدول تترصّد العلاقات مع الاتحاد السوفياتي ومع روسيا القياصرة بدقة وارتباك ، ولكنها تصل نهائياً إلى قبول ما يُفرض عليها وهي ضعيفة هزيلة . انما النفوذ لا يُطاق فيحمل الدولة القوية أن تهبّ وان

تقف بوجه الاتحاد وقفة جبارة يتراجع امامها عن مطالب تستعبد الضعفاء تحت ستار خلاصهم وتحريرهم.

ولذا فالاسلوب الذي اتبعه المؤلف اسلوب شيّق يعيد عن التعقد والترجمة وإن كانت بحاجة الى اصلاحات لغوية قليلة فهي تجذبنا بسلاستها.

كتاب على العالم ان يقرأه وعلى الطالب ايضاً ان يطالعه. ففيه علم وتاريخ وطريقة ثابتة للتأويل والتفسير. أ.ع.خ

البورجوازى النبيل

بقلم موليير

ترجمة بهجة قنصة – راجعة بدر الدين قاسم – تقديم ابراهيم كيلاني
دار الفكر، دمشق – ١٩٦١ – ١٣٠ صفحة

ليس من السهل ان تترجم مسرحيات موليير الى العربية، وقد تُرجمت في القرن الماضي مسرحية البخيل ونالت استحساناً. وها اليوم مسرحية اخرى انكبّ على ترجمتها ومراجعتها مؤلفان لهما من اللغة والدقة في التعبير والصدق في نقل الروحية النفسانية المختبئة وراء كلمات موليير ما اهلها الى اعطائنا ترجمة وافية كان لها بعد ان يُعطياها ما يجعلها تتفوّق على نقد النقّاد: ونعني بذلك أنه كان على المترجم والمُراجع أن يعمدا الى سلاسة اكبر في التعبير. ولكن هذا لا يُنقص شيئاً من قيمة الترجمة. ولقد قدّم لها الدكتور ابراهيم كيلاني بكلمة وجيزة ضمنها ما اتصف به عصر المؤلف وسرد حياة المؤلف وما اتصف به هو نفسه من عبقرية وعظمه مخيّلة وانكباب على درس وتحليل النفس البشرية مما جعله لا يشيخ كلما تقدمت الايام وعبرت السنين. ا.ع.خ

الحريق

بقلم محمد ديب

ترجمة سامي الدروبي – راجعة جميل صليبا
وزارة الثقافة والارشاد القومي – الاقليم السوري – مديرية التأليف والترجمة
٢٠ سلسلة الادب الجزائري – ١٩٦١ – ٣٢٢ صحفة

مأساة طالت مدتها يجرب المؤلف ان يرسم في قصة مؤثرة للغاية مراحل

تطويرها باسلوب بسيط ومتقطع فيوصلنا الى ان نشاركه الدمعة والتأثر ولسان حالنا يردد : اما لهذا الليل من نهاية . دماء ودماء . تهرق من الجهتين نود لو يحقن لاعمال خيرة في سبيل التقدم والتطوير .

مأساة الجزائر تترك بعدها ذكريات مرّة للجانبين المتحاربين : والبؤس واليأس يلحقان بالفريقين . وهذه القصه التي يرويها علينا المؤلف تحمل بين جوانبها كل ما تنتجه الحروب من جزع وفقر وألم وموت . ا. ع. خ

النول

بقلم محمد ديب

ترجمة سامي الدروبي – مراجعة بديع الكسم

مكتبة اطلس – دمشق ١٩٦١ – ٢٥٣ صفحة

تصف كتب المؤلف، كما وتصف الادب الجزائري – بوضعية تقرب من القارئ حوادث يسردها ويحللها وهي تنقضي في عالم غريب عنه . ولكن قوة النظر والبحث، ودقة التنقيب وبساطة الوصف تجعل من المؤلف ذلك الكاتب البارع الذي لا تفوته شاردة الا وحللها ولا تعيقه واردة الا واعطاها معنى وفك رمزها .

قصة النول . مراحلها في الجزائر يتبعها القارئ ويمر من شخص الى آخر ومن حادث الى آخر فيرى نفسه وكأنه يعيش القصة وهذا ما يعد اصدق تعبير عن قوة المؤلف الحالية والوضعية معاً . وما ذلك الا درس اجتماعي عن حياة الجزائريين في بعض مناطقهم ينتفع منه القارئ ويتوهم انه يجد بعض الملامح في وطنه وبلده .

اليوم وقد تزايد الاهتمام بحالة الشعوب المختلفة فان هـذا الكتاب يساعد القارئ النبيه على استلهامه لدروس مشابهة تقرب بين وجهات النظر لصالح العلم . ا. ع. خ

صيف افريقي

بقلم محمد ديب

ترجمة جورج سالم وعبد المسيح بربار – مراجعة بدر الدين قاسم

مكتبة اطلس – دمشق ١٩٦١ – ٢٠٤ صفحات

في كتب محمد ديب نزعة الى كسب عطف القارئ من وراء تحليل حالة

الجزائريين في حربهم الطويلة . وفي هذا المؤلف يصف نتائج المعارك وما تتركه بعدها من فقر ومرض ومن بؤس وقلق . وهو يدقق في كل حادث ويصفه بعناية بالغة ويستحث القارئ الى الشعور فالعمل في سبيل ما انزلته الحرب من مصائب في الشعب وابنائه .

لهذا المؤلف الصفات المميزة ذاتها التي حللناها في كتب محمد ديب الاخرى ولا سبيل هنا لترددها : نظر ثاقب عقل نقاد شواعر مرهفة . ا. ع. خ

ثورة الشيخ صالح العلي

بقلم عبد اللطيف اليونس

دار اليقظة العربية بدمشق – ١٩٦١ – ٢٣٤ صفحة

فصول ملأى ثورة وصخباً . تعدد لنا في سيرة الشيخ صالح العلي كل ما قام به من اعمال مناوئة للمحتلين وقوة براسه في متابعة العدو بانضباط وحزم . فكان ان قاد زمرة من المؤمنين بقوته وعزمه ان التفوا حوله فقادهم الى الانتصار الوقتي فالموت .

ككل كتاب يتكلم على الثورة لا بد من ان يجد بين كلماته وجمله ما يتجاوز الكلام الموزون ويجعل القارئ يتمنى لو عاد المؤلف عن المبالغة والشتم. ولكن هي طرق اخاذة بمجامع القارئ . ا. ع. خ

ابناؤنا : وسائل العناية بهم صحياً وتربوياً

بقلم حسن ملا عثمان

دار الفكر – دمشق ١٩٦١ – ١٠٣ صفحات

لا بدّ من اطلاع الاهل عمّا ترتكز اليه مسؤولية تربية اطفالهم اذ هم عن تحملها بعيدون. اشياء واشياء يجهلونها عن الحمل وعن تربية الطفل ولا يفقهون ألّا لغة الضرب واللكم والصراخ القوي . فيقوم المؤلف ويلح بوجوب تربية الطفل قبل ان يظهر للنور وقبل ان يعطي إشارات الذكاء في حياته العملية . ويعطي المؤلف نصائح حسنة بعد ان يكون صوّر ما وجب تصويره لكي يُقنع الاهل عن ضرورة واجبهم.

نثني على المؤلف. ولكننا وان شعرنا من النصائح التربوية التي يعطيها ان له روحية عميقة، فان له من التعابير ما يخدع ويوهم. فهو يقول مثلاً (ص ١٢): « ان كل هذا (العصب والنفس) يرجع الى الكروموسومات ». فإنه خلط بين العصب والنفس. وهناك ايضاً بعض السهو يعطّل على الكتاب ما فيه من حسنات جلّى فعلى كل مسؤول أن يقرأه ليجد فيه طعاماً ومادة للتفكير.

ا.ع.خ

يحدثونك من القلب

بقلم قدري العمر

دار الفكر – دمشق ١٩٦١ – ١٦٣ صفحة

مجموعة عشر قصص يصوّر فيها المؤلف حال اللاجئين الفلسطينيين، وقد آل على نفسه أن ينقل ما رآه لتراه وان نعيش ما عاشه من بؤس وقنوط وأمل.

يصوّر لنا في الاولى كيف ينضب معين الفن عندما يعظم المصاب، وفي الثانية آلام البطالة، وبعد ذلك صراعاً مريراً مع الصهاينة ومغامرة الفلسطينيين في الرجوع الى أمه وأبيه والعناء الشاق في ترميم الحياة، وجانباً من شمس فلسطين وكيف يتحوّل اليهودي وغيره في ايام الحرب الى جزّار وعجائب هذا الاسر ولوعة الام اذ يفارقها ولداها بغتة.

وفي هذه القصص كلها شعور قوي وعواطف هياجة وروح الاخوة الواعية. لا بدّ من مبالغة في سرد او في تصوير الحوادث ولكن المأساة اثقل على من يعايشها منها على القارئ.

ا.ع.خ

Charles Pichon: *Le Vatican*. — Librairie Arthème Fayard. — Paris, 1960 — 260 pp.

ها هوذا كتاب قراءته ضرورية لفهم الكنيسة والعالم الحديث. فان الفاتيكان متسلط على ما يقارب الخمسمائة مليون نسمة. وهو قوة يتكلم عليها الناس، ولكن الكثيرين يجهلون ماهيتها، طريقة نموها ونظاماتها وشرائعها وروحها. ولقد ألفت الكتب وحبّرت المقالات عن هذه الدولة وفيها كلّها

اغلاط واغلاط اذ ان المؤلفين لم يروا منها سوى الظواهر وقد غابت عنهم النية الداخلية .

اما المؤلف الذي نحن بصدده فان هو الا درس اساسه الاختبار ، وقد قضى المؤلف السنين الطويلة في البحث والتنقيب في الوثائق الاولية واوضحها ، فاتانا بهذا الكتاب الفريد..

ليس المؤلف بالعالم فحسب ، انما هو كاتب يستعمل الاسلوب الخيالي الوضعي فاصاب هدفه . فبعد ان وصف جغرافية الفاتيكان واصطحبنا في متاحف تلك الدولة الصغيرة وآثارها المدهشة ، اخذ يحلل المؤسسة نفسها ، فمن اجتماع كرادلة الى انتخاب البابا الى تسنمه العرش الى الموت. وينتقل بعد ذلك فيدرس العائلة البابوية ومجمع الكرادلة مع ما لهم من صلاحيات وواجبات . وينتقل اخيراً الى المحاكم الرسولية ويقف عند الوزارة الخارجية في الفاتيكان ويعطينا عنها الامور العديدة التي تروق القارئ.

كتاب كهذا لا نشعر فيه بيبوسة. فان المؤلف عرف كيف يحيي صفحاته بقصص ونكت تجعله كتاب قراءة لذيذة امينة . وهو حقاً كتاب فيه روح تنطق عن روح المدينة الازلية روما وعن محور المسيحية فيها الفاتيكان .

ا.ع.خ

Syed Abdul Latif: *Bases of islamic Culture*. — Institute of Indo-Middle East Cultural studies. — Hyderabad, India, 1959, 234 pp.

يحتوي هذا المؤلف على اثني عشر فصلاً ويُقسم فيه كلّ فصل إلى أجزاء. توخى فيها الكاتب عرض اسس الثقافة الاسلامية فمن المقابلة بين الايمان والعمل الى وحدة الله الى دور الانسان في هذه الحياة الى الايمان بالوحي الى ما تبقى من الفصول ، نرى المؤلف وكأنه درس المنطق والفلسفة على علماء الكلام في العصور الوسطى يأتينا بقضية يعرضها ويفهمنا ما فيها من مشاكل ويعود ليجد لها براهين كتبية وفي الحديث وكأنه يريد ان ترتكز القضايا كلها على هذه الأسس المتينة . فحسناً فعل ولذا فان نطلب من الكتاب اكثر مما وضع فيه مؤلفه . ولكننا نأخذ عليه ما نقص من الحواشي الواضحة والدقيقة . يذكر المؤلفين واسماءهم ولا يعطينا المصادر الدقيقة . انما توصل ببضعة اسطر ان يعرض

علينا الفكرة الاصلية وان يميزها عن غيرها بايجاز فنجح . ا.ع.خ

GRÉGOIRE DE NAREK : *Le Livre de prières.* — Intr. trad. de l'arménien, par Isaac Kéchichian, s.j., avec une préface de Jean Mécérian. — Ed. du Cerf — Paris, 1961, 549 pp.

فرح العالم بان يخدم الثقافة باطلاع القارئ على كنوز جديدة طمرها الزمان وانتصرت عليه فأتت حية تزيد في ثروة العقل. وهذا الكتاب الذي نحن بصدده من تلك المؤلفات التربية التي تحمل علاوة عن اللغة والافكار موسيقى ووزناً والحاناً وعواطف تجرح الفؤاد وتعطيه نشوة الامل والصلاة.

لقد عاد المؤلف في ٩٥ صلاة على كل ما يعتري القلب البشري في ابتهالاته لله من قلق وجزع، من فرح وامل من انكسار ونشوة، واستقى من الكتاب المقدس زبدة ما قال وسرد من اختباراته ما يجعلنا نتحسس معه كل تلك المواقف الصلاتية التي يعبرها رجل الله عندما ينحني الى الباطن ويشعر بزوال العالم وبأبدية الله. ولذا فإن هذه الصلوات ليرتشف منها المؤمن ما استطاع، ويجد فيها كلما عاد اليها طعاماً لذيذاً وغذاء ناضجاً وكأن فيها التعبير الصادق عن حالات نفسانية يختبرها هو. ويصعب علينا هنا ان نحلل كل صلاة بمفردها، انما المطلوب ان يعلم القارئ التائق الى كنز روحي انه يجده هنا.

ومع الافكار العالية يشعر ورنة موسيقية جعلها المترجم والناشر تسير بين مقاطع هذه الصلوات فتسهل القراءة. وعندما نقرأ مقدمة الاب مصريان نرى ان المترجم تغلب في فهم اللغة الارمنية القديمة التي استعملها المؤلف على صعوبات شتى، وتوصل إلى ان يترك للنص تموجاته الشعرية ولقد أحسن في هذا.

انما نريد ان نمدح الناشر والمترجم على ما اعطانا اياه في هـذه النشرة من طريقة علمية في التنقيب عن وطن المؤلف وعن حياته ومؤلفاته وعن هذا المؤلف الذي نحن بصدده ونسخه وعن شاعريته وعما ترجم من هذا المؤلف وفُسِّر منه وفي كل هذا روح نقد وبصيرة ودراية يُشكر المترجم عليها.

اما التمهيد الذي كتبه الاب مصريان فهو ملي. على صغر حجمه من تاريخ ولاهوت وتحليل نفسانية. ولا نستغرب هذا من المؤلف، اذ عوّدنا في كتاباته كلها على فيض غزير من العلم الصحيح. ا.ع.خ

ROBERT GUELLY : *Vie de Foi et tâches terrestres*. — Ed. Casterman, 2e éd. — Tournai 1961 — 208 pp.

ليس من ينكر ان للعلمانيين دوراً في بناء العالم والكنيسة ولذا فان هذه السنين الأخيرة قد اوضحت هذا الدور وراح اللاهوتيون — وهذا اختصاصهم — يدرسون المشكل ويستوضحون النصوص الكتابية وخاصة تعليم الكنيسة في هذا المضمار وقد يتضح للمفكر كل يوم تطوير تاريخ العالم وضرورة اتساع ملكوت الله على الارض . ومؤلفنا هذا ليس سوى جواب طافح بالدرس والتنقيب على مشكل بات ضرورياً يوضح فيه موقف العلماني من العالم ومن دعوته الالهية . أعليه أن يترك الواحدة ليلتحق بالثانية أو بمقدوره ان يقوم بواجبات الاثنين جاعلاً من الواحدة قوة لتتميم الثانية .

ولذا فعلى مسيحي اليوم ان يطالعوا هذا الكتاب مرة ومرتين ويستقوا منه نوراً لعقلهم وقوة لارادتهم فهو يطلعهم على ان لا خلاف بين العالم والملكوت اذا عرفوا ان ينيروا الواحد بنور الثاني ، فهو يطلعهم ايضاً على ان سر الكنيسة لا يناقض ما يجب ان يعمله المسيحي من خدمة نصوح للعالم : فهو يطلعهم اخيراً على منفعة وفائدة الألم والانكسار لخلاص العالم .

هناك لاهوتيون طلبوا من المسيحي ان يعيش في هذا العالم ويتجسد فيه ومنهم من طلبوا اليه ان يعبره فهو زائل ويتوق الى العالم الآتي . انما مؤلفنا هذا يعرض علينا وجهة نظر العقيدة الكاثوليكية الصرف في شمولها وكمالها .

ا. ع. ح.

ROBERT GUELLY: *A l'écoute de Dieu*.— Ed. Casterman. — Tournai 1961. — 224 pp.

نحن بحاجة لكتب تلقي نظرة على العالم كما هو اليوم وتطبق عليه المبادئ النظرية والعقيدية المسيحية . فالعقيدة ليست كلاماً فقط . العقيدة حياة ، ولذا فالكتاب الذى نحن بصدده ليوجه القارئ نحو الشاطئ الامين بعد ان يكون قد دربه على فهم مشاكل الساعة بنور الهي .

ألف هذا الكتاب لاهوتي اخضع نفسه لمتطلبات علمه ولكنه تفوق على الكلمات والجمل التقليدية ليوصلنا الى مكالمة شخصية مع الله الحي . وما نراه

بين طيات المؤلَّف أن القارئ يعيش من اوله الى آخره في جوّ ايمان حيّ، في جوّ ايمان نيّر، في جوّ عبادة صادقة وصلاة. وما نجاح هذا المؤلَّف سوى لأن المؤلِّف جمع افكاره كلها حول فكرة الاله الخفي الحاضر الذي يعطي المشاكل صفاءها الاول وينير الوضع القائم بقوة. ولذا فترى ان للتعبير عن تلك الحقائق نكهة شخصية ضمن اطار تقليدي فان معاصرينا لفي حاجة قصوى الى الله، الى ذلك الاله كما هو: محبة ومعين محبة. فاذا ما قرأوا هذا الكتاب وجدوا فيه الحل لمشاكلهم وواجهوا الاله الحي ويخلص عالمنا اليوم. ا. ع. خ.

٦.

GATHIER ÉMILE : *La Pensée Hindoue*, éd. du Seuil, Paris, 1960, 219 pp.

في مقدّمة يربو عدد صفحاتها على المئة والاثنتين والعشرين يسهّل المؤلف طريق التعارف بين القارئ والفكر الهندي. فيبدأ بالڤيدا ويشرح باقتضاب تعاليم البرهمان والاوبانيشاد. وبعد ذلك يأتي على سرد فلسفات الهند واليوغا، وينتهي الى تصوير بعض المفاهيم الهندية الحديثة.

اما في القسم الثاني فيعطينا المؤلف صفحات ملؤها روحانية الهند، وفي الاخير ثبت لكلمات ومفردات أتى على ذكرها في الكتاب، وثبت للكتب التي طالعها وتكلّم على الموضوع الذي تتطرّق له.

ففي كلام المؤلف وضوح وفي احكامه حكمة وعلم، ولا نرى عنده ما نرى عند الكثيرين ممن يعتنون بهذه المواضيع من اوهام ومقابلات عفوية لا اساس لها ومن خفق وهذيان. فعلى هذا يُشكر المؤلف.

ا. ب. اليسوعي

CLÉMENT OLIVIER : *Transfigurer le temps.* — Notes sur le temps à la lumière de la tradition orthodoxe. — Neuchâtel 1959 — Délachaux et Nestlé.

ان اللاهوت اليوم يفقه تماماً ان المسيحية بدأت دون هوادة مفهوم الزمن. فعند الاقدمين كان الزمن يعني العودة الدورية. ففي هذه العودة كانوا يرون قوة الاله ومقدرته؛ قوة ثابتة وفوق الزمن. وكان على الانسان ان يعلو على الزمن بواسطة طقسيات وان يتحد هكذا باستقرار الاله وان يمحو الزمن.

كانت العودة تعني ايضاً زوال كل شيء. كل شيء باطل والانسان محصور في دائرة تلك العودة الجهنمية.

اما عند اليهود وفي المسيحية فان الله كائن شخصي ذاتي يعمل بحرية ويتكلم في تاريخ ويكون كلامه تاريخ الخلاص. وبهذا يقيّم الزمن ويبدّله. وهو بواسطة الطقسيات الالهية قد صار شفافاً من وجود العزة الالهية. واذاك فلا مانع من ان تتبنى الفكرة المسيحية مفهوم الزمن الدوري وتعطيها قيمة جديدة. ويأتي المؤلف هنا على سرد نصوص عديدة من الطقسيات الشرقية حيث التعبير الصافي عن ذلك التبديل.

انا نعتبر ان هذا المؤلف كانت زادت اهميته لو كان المؤلف قد حلل تركيب الزمن. فلا سهولة في ذاك. ولكنه كان توصل الى القول إن زمن العجرفة السيئ ليس الا ذوبان المادة الزمني. والرجل الذي يفتش عن معنى حياته في الامور الخارجية والمادية يشترك بالزمن الزائل، بينا الرجل الذي ينحني على الامور الروحية يعيش في زمن الروح الذي يحتفظ بما يجابهه. هنا مبدأ التاريخ.

ولذا فتبديل الزمن هو تبديل الانسان وتبديل العالم الذي فيه يعيش. اذ ان الزمن فكرة مطلقة. والمؤلف لا يسرّ ابدًا بهذا التبديل: «عبثاً يحاول الانسان ان يناضل لتأسيس مدنيّة مسيحيّة»، فليست سوى ثياب الكنيسة، تلك الثياب التي ترك المسيح الجند يقتسمونها تحت الصليب. ليس النضال باسم المسيح ولكن بوسائل العالم هذا لتأسيس سياسات واجتماعيات فيها بدت حرارة الشعب المسيحي. انما المسيحي يوقظ حوله وفيه ذلك الايمان الخلاق كي يلبس الله، حيثما يريد، الكنيسة رداء. التمدن الذي صار مسيحياً. (ص ٢١٠).
وفي هذا القول طعن في الاعمال التي تعمل لتكوين عالم متفتح على المتطلبات المسيحية. وهذا التمدن الذي صار مسيحياً أيخلقه الله توّاً باعجوبة ام يخلقه بعمل الانسان الذي يعمل بالنعمة؟

واننا نأسف ايضاً اذ ان المؤلف لا يصوّر غالباً الامور الكاثوليكية تصويرًا صحيحاً: فانه يعتبر ان «الانبثاق من الابن» يعني ان الروح القدس اقلّ درجة وقيمة من الابن. وهذا ما لا يمت بصلة البتة بالعقيدة الكاثوليكية. فلو كان الروح اقل قوة وقدرة من الابن لكان في الموقف عينه تجاه الآب. اما نكران

الانبثاق من الابن فيوصلنا الى الصورة التالية : الاب—الابن ، الاب—الروح ، وهذا ما يدينه المؤلف ، ويحق.

إن المؤلف يرفض تطوّر العقيدة. ولكن يغالط نفسه في صفحات قليلة بعد ذلك فيقول: « يجب ان لا نكتفي بترديد الكتاب ولا ان نقف عند التعابير اللاهوتية التي نشأت في الماضي . يجب ان نفتش عن تعابير جديدة عن الحقيقة، يجب ان نُعطي الانسان ، وفي لغته ، الكلام الذي يحوّل الكتاب الى حياة. » (ص ١٩٢)

وكان على المؤلف اذ يرفض تطوّر العقيدة ان يرفض قيمة المجامع الاولى في الكنيسة والتي ترضي بها الكنائس الشرقية. ا. بروز اليسوعي

Evdokimov Paul : *L'Orthodoxie.* (135 pp.) — Neuchâtel 1959 — Delachaux et Nestlé.

مؤلف يطلعنا على حياة وعقيدة الكنيسة الارثوذكسية. ففي مقدّمة تريخية يتكلّم المؤلف على مفهوم الانسان وعلى الكنيسة ، على الايمان وعلى صلاة الكنيسة وما سيحدث في الايام الاخيرة . وهذا كله بحرارة ايمان نحو كنيسته ولكنه يرى غالباً المثل الاعلى اكثر مّا يرى الحقيقة. انا لا يعاتبه في ذلك احد. ولكنه لا يتوقف مرّات عند هذا الحدّ . فانه يقول ان الكنيسة الارثوذكسية لم تعرف الهرطقة ابدًا ، لم تعرف ابدًا تأثير الاباطرة (وعلى هذه النقطة فأن الاوكرنيين والبولونيين لن يشاطروه رأيه). وغالباً ما يذكر الاباء اليونان كأنهم من حصة كنيسته لا غير . ومرات يأول العقيدة الكاثوليكية بغير ما هي عليه: وذلك في تفسير الحرية والحبل بلا دنس والعصمة البابابوية التي هي شخصية في اصلها . وانه يوازي بين الخالق والسبب الاول وكان هذين المفهومين لا يتوحدان في المعنى نفسه . ولكي يتحاشى الانبثاق من الابن يقول ان الآب يعطي الابن قوة بها يؤثر لا على اصل الروح ولكن على ظهوره (ص ١٤٠ حاشية ٦١) وكان ارسال الروح ليس موازياً للولادة وللانبثاق الثالوثي . فيذكر كلمة الفم الذهبي (ص ١٤٧) : ان الابن هو صورة الاب والروح هو صورة الابن ، دون ان يفقه ان هذه الكلمات تعلمنا انبثاق الروح من الآب بواسطة الابن . — وبعد ذلك يتخلص من اولية بطرس وخلفائه فيقول : « إن المسيح اسس الكنيسة

على القديس بطرس كاول اسقف ترأس المائدة السيدية وبهذا اظهر لأول مرة أساس الاسقفية الرسولية العام . ولذا فكل اسقف على اورشليم والاسكندرية والقسطنطينية وكل ابرشية ، هو خليفة بطرس المباشر ، خليفة السلطان الرسولي الذي يخوّل تقديم الذبيحة . (ص ١٣٤) . وهذا ، والله ، تفسير عجيب لنصوص واضحة ! — يرفض المؤلف تطوير العقيدة عندما تقبل بها الكنيسة الكاثوليكية (ص ١٧٧) . يرضى بها في الكنيسة الارثوذكسية انما يعبر عنها بكلام مغاير (ص ١٨٠) .

اما ما يتضح من هذا المؤلف فهو : ان الكنيسة الارثوذكسية توقف نظرها عند الحياة في السماء التي تبداؤها ههنا . فيتكلم المؤلف على اسس التأليه الاصلية (ص ٩٤) . فان هي الا طقوس ترفع المؤمن فوق العالم وتفصله عن العالم ، فإن هي الا رهبانية . فالحياة الرهبانية هي وحدها الحياة المسيحية . لا تفتش عن تبديل العالم لتجعله شبيهاً بملكوت الله . المسيح لا يبدو بادئ ذي بدء . الّا المنتصر على الموت ولا تدرس حياته الارضية . وان المؤلف لا يرضى — وذلك علاوة على نص فيلبي ٢/٥ وغيره من النصوص الكتابية — بالاقتداء بالمسيح الذي يعتبره بصورة ضيقة . يعود ويعود الى الكلام على السر ، وينتهي المؤلف بالقول ان الرؤيا في السماء ليست من الممكنات ، وذلك علاوةً على نص الرسالة الى اهل كورنتس الفصل ١٣ .

في بعض نقاط لا اتفاق ابدًا مع الكنيسة الكاثوليكية . انما هناك غالباً مواقف لا تناقض بل تتوحد فتغني الحياة الروحية في الكنيسة وتؤهلها للنضال . ولكن للوصول إلى وحدة كهذه انما الشرط الاول هو التعارف الذي يمحي كل حكم جائر ، خاصة اذا كانت تلك الاحكام مترسخة الاقدام منذ اجيال .

ا . بروز اليسوعي

JEAN FRISQUE: *Oscar Cullmann .Une théologie de l'histoire du salut.* Tournai 1960. —Castermann.

بين اللاهوتيين البروتستانت يبدو اوسكار كولمان على اتفاق ، في بعض المسائل التاريخية ، كملكوت القديس بطرس في رونا ، وكأولته المعطاة من المسيح نفسه ، مع اللاهوت الكاثوليكي . وهذا الاتفاق قاد البعض من

الكاثوليك الى القول بان موقف كولمان يقربه من الايمان الكاثوليكي ولربما قاده يوماً ذلك التقرب الى العودة الى الكنيسة. ولكن الدرس العلمي الواضح اذا ما نقّب التنقيب الكافي في مؤلفات كولمان ليوصلنا الى القول بان كولمان لا يستلهم في مؤلفاته تلك سوى الموقف البروتستنتي. وهذا ما يقوله الاب فريسك في الكتاب الذي نحن بصدده وبكلام واضح ومقنع .

يلحّ كولمان، وبحق، على طابع الوحي التاريخي وبهذا يعادي موقف اللاهوت العقلاني والوجودي. ففي تاريخ العالم يتمّ تاريخ الخلاص الذي سببه واصله الله، وهذا التاريخ ليس عودة دورية كما تصورتها بعض الاديان الوثنية، انما هو تطوّر سرّي . ولكنه يختلف عن موقف الدين اليهودي بقوله ان ليس بدؤه البعيد الاصول ولا كماله النهائي بعطيانه قوته وقيمته . فمحوره وسط الخط السويّ وهو موت المسيح الخلاصي. وكل ما يحدث في هذا التاريخ الخلاصي لا قيمة له الّا بصلته الزمنية بهذا المحور . فكل ما سبقه هيأه، وكل ما تبعه حققه . على هذا كله ليس للاهوت الكاثوليكي ما يأخذه مبكتاً . انما يقول كولمان ان الاحداث الزمنية تختلف عن بعضها وقيمة الواحد لا تُعطى للآخر، ويعتقد ان هذه الفكرة ضرورية للسهر على ميزة الوحي التاريخية . اما من جهة اخرى فيترجب على المسيحي ان يفهم معنى كل فترة من الزمن. ولكن كيف يفهمه الم يصفه بصفاته الخاصة . يرضى كولمان بان هـذا المعنى معطىً لنا في قانون الايمان الذي يعود عهده الى ايام الرسل . فان للفترة الرسولية قيمة خصوصية، وهذه الميزات لا تُعطى للكنيسة في الفترة الثانية . لان هذا يعني حقيقة فوق الزمن وخارجة عن التاريخ . فالكنيسة هي جسم المسيح . فبالكلمة واسرار العماد والقربان يكوّن المسيح بعمل الروح القدس جسمه كي يقوم الملكوت منذ اليوم، ولذا فللكنيسة في تاريخ الخلاص دور تجاه هـذا العالم ولكن يبقى انها ليست من الفترة الرسولية. نعم كان بطرس اساس الكنيسة ولكن هذه الوظيفة لا تنقل الى الكنيسة كما ولا تنقل العصمة من الغلط. والاساقفة ليسوا خلفاء الرسل. فالتقليد التابع للفترة الرسولية لا يتصف بميزة الفترة الرسولية الوحيدة من نوعها، وبهذا يستطيع كولمان، وبدون صعوبة، بما يتعلق بقبول تفسير العهد الجديد وتاريخ الكنيسة القديمة، ان يرضى بالتفكير الكاثوليكي؛ اما فيما يتعلق

بكنيسة اليوم فانه يستطيع وبدون قلق ان يظلّ على موقفه البروتستانتي.

إن أساس هذا الموقف يعود الى مفهوم فلسفة كانت(Kant) في التاريخ وهذا المفهوم نجده بوضوح متزايد في اللاهوت البروتستانتي : فان التاريخ لا يستطيع ان يعرف توّاً الّا الحدث الخارجي والحِسّي. وكل ما تجاوز هذا الحدث ليس الّا نتيجة تفسيره وهذا التفسير يتعلق بموقف المؤرخ : والمؤرخ من كان له إلمام بالاحداث، واللاهوتي من كان له قوّة على ربطها ببعضها وبتوجيه معين (ص ٥٥) . ولذا فعمل كولمان على وجود مبدإ للتفسير يحمي اللاهوتي من كل تأويل فردي ؛ ولكن هذا العمل مآله الإخفاق اذا اراد كولمان ان يظل اميناً لمفهوم التاريخ الذي صوّره له . فإن الايمان الذي يعطي التفسير ، ليس بخارج عن التاريخ وليس له صلة اصلية به . الايمان لا اساس له . ولذا فانه من الممكن ان يماكن تاريخ الخلاص التاريخ الخارجي : الحقيقة مزدوجة الاطراف .

إن الأب فريسك يلاحظ بحكمة ان المعطى الكتابي لا يعود فقط الى تطور تاريخي في الزمن . فانه يتطلّب اندفاعاً إلى فوق (ص ٢٢٥) . ولكن المعطى الكتابي لا يتطلّب ذلك الا لأن هناك الوحي . ولكن التاريخ ، كل تاريخ ، خارجي وخلاصي وهو تفسير نص كتابي ، هو اصلاً فهم معناه الانساني والروحي ، من خلال معطى النصّ الحسّي ، كما نجده في المعاطات بين الناس . فإن الانسان لا يعود بكلّيته الى الحدث الخارجي اذ إن له معنى إنسانياً . وفي هذا ليس لنا ان ننظر الى التاريخ ولكن الى العلم . وعلاوة على ذلك فإن الزمن التاريخي يفتره كولمان حسب طبقات الزمن الخارجي . وبهذا يكون قد شعر بتوصل الازمنة في التاريخ وهذا ما يجعل تاريخ الخلا من غير ممكن . ان زمن الحدث التاريخي اساسه زمن الشخص البشري ، ويفوق زمن الحدث المادي . وهذا الحدث المادي ليس له من بقا . داخلي ويعود الى ذكر القبل والبعد . ففي هذه الفلسفة الكانتية الغير المصرّح بها — وكولمان لا يقبل بأية فلسفة لتأويل الوحي — نرى المماكسة الاسية بين اللاهوت الكاثوليكي ولاهوته وهذا ما اوضحه الاب فريسك في كتابه بحكمة تامّة .

ا. بروز اليسوعي

القدسُ قد طابت سكنى تجلُّ ارضُ الاقداسِ
لكن اذا اشكو حزنا فلا مؤاسي
لبنان سهلًا او حزنا انسي وموحي ايناسي
والقوم قومي ان أكنى وخيرُ ناس

∴

مرفرفُ الهدبين معقفُ الجفنين
اذا انتفى مضناك لا ينتفى
ان تأسف على شهيد البين

قصيدة الاب نعمة الله ابو ناضر

هزار دوحي صاح ونورُ صبحي لاح
قلبي صفا والهمُّ عني انتفى
منذ روّح روحي زنات طريحٍ ناح

∴

هزّتني ذاتُ الالحانِ وراع قلبي نواها
اذ هيّج مني اشجاني ذكرى هواها
هيهات أهند تنساني وراح عمري فداها
ما نوحُ حمائم لبنانِ الّا صداها

∴

يا عاشق الشوقين يا شائق المتنين
دم في الهنا يا صاحب العنا
واسلمْ وتحكّم في الصبّ قرير العين

∴

قد هلّت دمعة اجفاني تزيلُ غلّ الصدورِ
فأفوز بلقيا اخداني ابناء صيد
وامتّع في العمر الثاني بحسن دور جديد

فيشنف مني آذاني صوتُ الرشيدِ

∴

يا اجور العينين واكحل الجفنين
جُد بهواك وارحم حشا مضناك
وافرح وترنح يهنيك ، عداك البين

الخامس عشر: قصيدة أخرى

نظمها شاكر ابو ناضر بالحروف المهملة على غرار القصيدة التي مرّت(١)

أسلمى روح حال الدهر طرًا عروس حسام حول حماك حورُ
هواك كسكر مسحورُ مولىً ودلّ على مواسمك السحورُ
ألا هو طوع امركِ ما علاهُ سماكٌ دارَ وهو لهُ مدورُ
وكم امسى لمسعاه حسودٌ وها هو للهوى اسدٌ هصورُ
وما أحلى كلامًا حلّ عمدًا ولاح الطرس أسطرهُ الصدورُ
سلوك دموعك الحرّى صحاحٌ ومالك ، دم لدى سلمى كسورُ
سلوها هل لمعهدها حلولٌ وهل حلّ الورودُ أم الصدورُ
دواء الهائم المكلوم وصلٌ لما الاوهام سلمى والامورُ
وصار حماك كالاسماك لما أحاطك للملاح سهىً وسورُ
ودرُّ الوصل لاح على كؤوس وكلٌّ ملامح الراح السرورُ
ودلّ على حماكِ دموعُ هاوٍ وعطّرهُ صلاحكِ والطهورُ
أسلمى لا دهاكِ الدهرَ عسرٌ ودام هواكِ ما كرَّ الدهورُ

---

١) نقلتها عن الاصل الذي هو بيدي

السادس عشر : تأريخ

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر لدير الكحلونية

في رئاسة عام قدس الاباتي اجناديوس سركيس على الرهبانية اللبنانية عين بالاتفاق مع الزائرين الرسوليين دير مار الياس الكحلونية للاصلاح في عهد رئيسه الاب يوسف عازار فنظم الاب ابو ناضر بهذه المناسبة التأريخ الآتي :

بنيان هذا الدير شيد على التقى متجددًا بعناية الفتاح
في عهد يوسف عازار الرأس الذي وقف الحياة على تقى وصلاح
ورئيسنا العام التقي اجناديوس سركيس من هو نخبة الصلاح
وبسعي زوار رسوليين صار م نظامه متكللا بنجاح
قد سبح الله المؤرخ ساجدًا اذ تم فيه مبتدا الاطلاح

١٩١٣

السابع عشر : تاريخ كنيسة دير مار انطونيوس حوب

من نظم الاب نعمة الله ابو ناضر

قد رمَّ لله ميخائيل[١] خادمهُ كنيسةً نحوها العبادُ تبتكرُ
وذاك في عصر مار الياس بطركنا[٢] الملفان من فضلهُ في الشرق مشتهرُ
وحوب ان سألت عن فخر بيعتها التاريخ قال بها الايام تفتخرُ

سنة ١٩٠٣

الثامن عشر : قصيدة ترحيب

بالمرحوم الاب برنردس غيره رئيس الرهبانية الانطونية العام الذي شرّف دير سيدة المعونات مركز رئيس عام الرهبانية اللبنانية ، وذلك سنة ١٩١٤
وكان على خلاف مع ابناء رهبانيته الانطونية
فنظم الاستاذ الاب نعمة الله ابو ناضر هذه القصيدة
الذي لم يبق منها في الذاكرة سوى هذه الابيات الآتية وهي :

اهلاً بمن قد كان اهلاً ان يُقلَّ على اليدين
اهلاً بزائر دار صنو لم تعزَّ بغير ذين

---

١) الاب ميخائيل غوش التنوري الذي رمم هذه الكنيسة .
٢) البطريرك الياس الحويك .

ومنها :

اشرْ فكتك بيننا في «قلمة» او في «الحصين»[1]

ومنها :

يا ليت ليت لنا على رغم العدى برتودسين

في ولادة الاب نعمة الله ابو ناضر ودراسته وترهبه وسيامته كاهناً

وُلد الاب نعمة الله عبد الله ابو ناضر في بسكنتا سنة ١٨٦٢ وأُطلق عليه اسم شاكر[2]. درس في كليّة القديس في بيروت ستّ سنوات كان فيها مثال الاجتهاد والنشاط ودرس فيها ايضاً وفي مدرسة الارمن الكاثوليك في حلب ؛ سافر وجال واكتشف واطلع وجمع ووعى ما هو اشرف واغلى من المال ، ودافع ورافع في الدعاوى وتعرّف بكبار القوم ، وكتب في صحف الآستانة المقالات الشائقة والقصائد الرنانة وما زال القلم سميره والكتاب جليسه حتى ذهب في سبيل كل حيّ . انضمّ الى الرهبانية اللبنانية المارونية . ابتدأ في دير كفيفان وكان يخدم المرضى والشيوخ العجزة ويتعاطى الخدم الحقيرة اذلالاً للنفس ورغبةً في كسب الاجر والثواب . ونذر في هذا الدير النذور الاحتفالية عن يد رئيسه السيد الذكر الاب اغناطيوس داغر التنّوري وذلك في ٢٣ شباط سنة ١٩٠٣ . ولما سيم كاهناً سنة ١٩٠٦ هنّأه احد الادباء من اصحابه العارفين بسطة علمه وسامي مداركه بهذه الابيات الجميلة وهي :

يا حبّذا مجدُ رهبانية سعدت بكاهن فيه قد قرّت نواظرها

---

١) يريد به دير القلمة في بيت مري مركز الرئيس العام في الصيف ، ودير مار روكس الحصين في الدكوانه مركزه في الشتاء .

٢) وورد عنه ما يلي :

« هو شاكر بن عبد الله بن ساسين بن الياس بن نعمان بن يوسف بن مخايل بن الياس ابو ناضر . وهو الثالث باسم نعمة الله ؛ درس في كلية الآباء اليسوعيين (بيروت) اكليركياً علمانياً حتى الفلسفة فاللاهوت . ترك المدرسة وتعلّم الفقه على اخيه طانيوس بك ابو ناضر الشهير واتقنه وزاوله . — سافر الى الاستانة وانتظم في سلك جمعية تركيا الفتاة ؛ وكان فيها من رجال النهضة والقلم . — بقي في اسطنبول تسع سنوات وكان على عهد جمال الدين الافغاني اكبر الثوار على سلطنة عبد الحميد واكبر داعية لتحرير العرب . كتب في صحف الاستانة وفي صحف بيروت ولبنان . ثم هرب من استنبول ماشياً على قدميه (ويرفقته سعيد بك حماده الذي أُلقي القبض عليه في الاناضول وقُتل) .

وبعد ان قامت حكومة عبد الحميد الثاني على جمعية تركيا الفتاة وناهضتها وطاردت

مهذَبٍ شفتاه العلم قد وَعَتَا … والشريعة من فيهِ جواهرهــا
قد لاحظ النفس والتعليم عن صغرٍ … فطابت النفسُ بل طابت ازاهرها
ومال عن زخرف الدنيا وما فتنت … كنوزهــا بنهُ لبًّا او ذخائرها
مسدَّد الرأي محمود الخصال لهُ … في العلم منزلةٌ عزَّت نظائرهــا
هي الفضيلةُ قد تاهت بهِ طَرَبًا … وروضة الدير قد فاحت ازاهرها
وبلبلُ البشرِ بالتاريخ صاح بها … بنعمة الله يزهو اليوم ناضرها
١ ٩٩ ٧ ٦٢٨ ٢٨ ٨٧ ١٠٥٧

١٩٠٦

٦.

حفلة تكريمية للاستاذ الاب نعمة الله ابو ناضر

في نهاية السنة المدرسية في دير سيدة المعونات – جبيل ، في احدى سنيّ الحرب الكبرى، اقام الاخوة الرهبان التلامذة حفلة تكريمية شائقة لاستاذهم الاب نعمةالله ابو ناضر ، تباروا بمدحه في اظهار عواطفهم وعرفانهم الجميل بخطب وقصائد ، وكان من جملتهم كاتب هذه

اعضاءها فالتجأ في حلب الى مدرسة الارمن الكاثوليك ودرَّس فيها بزيّ راهب . ثم جاء بيروت ، فأُقيمت عليه وعلى اخيه طانيوس بك الدعوى انهما من حزب تركيا الفتاة . وتفاصيل تلك الدعوى مذكورة في ترجمة اخيه . وقبل ترهبه درَّس في كلية القديس يوسف في بيروت صفُ البيان وانشأ جريدة «روضة المعارف» هو والشيخ محمد الانسي فعاشت سنتين . ولما تبرأت ساحتها زهد المترجم ودخل الرهبانية اللبنانية في دير كفيفان (بلاد البترون) ثم اتى المدرسة اللبنانية (قرنة شهوان) فدرَّس فيها وهو اخ . وهناك رقاه الى درجة المطران بطرس الزغبي .

عين كاتبًا للرئاسة العامة في عهد الرئيسين العامّين اجناديوس مركيس واغناطيوس داغر التنوري .

درَّس في المدرسة اللبنانية ، ثم الاخوة الرهبان الدارسين في اديار مار قبريانوس كفيفان وسيدة نسبيه غوسطا وسيدة ميفوق وسيدة المعونـات – جبيل – ومار سركيس قرطبا ، فاشتهر بمهابته ومحبة تلاميذه له . وانشأ من بعض الرهبان فطاحل باللغة العربية خاصةً واحياها في الرهبانية بعد فرحات .

كان منشئًا قديرًا وشاعرًا كبيرًا في العربية والتركية ، بليغًا ومحدثًا مفكرًا موزون التعبير قوي الحجة – وكان يجيد من اللغات: العربية ببلاغة والفرنسية واللاتينية والتركية .

وقد خلَّف آثارًا كتابية منها منشورة ومنها غير منشورة . مات في ٣٠ ايلول سنة ١٩٢٣ » ، (راجع صفحة ٨٥ و ١٢٠ من كتاب « تاريخ بسكنتا وأُسرها » للخوراسقف بطرس حبيقة ، المطبعة الكاثوليكية ، بيروت ١٩٦٦ في ٣٠٧ صفحات بقطع كبير)

السطور الاب انطونيوس شبلي اذ كان اخًا تلميذا للاب المومأ اليه. وقد حضر هذه الحفلة الرئيس العام الطيب الاثر الاباتي اغناطيوس داغر التنوري والاباء المدبرون والمعلمون وجمهور الدير . وبعد ان تكلم الاب شبلي في دوره عن منافع العلم ومضار الجهل استطرد الى كلمته في استاذه نثرًا وشعرًا وها اننا نثبتها هنا نقلًا عن دفاتر فروضنا المدرسية كما هي مدوّنة من سنة ١٩١٨ تذكارًا لايام المدرسة الجميلة . قال :

ما ذكرت العلم والعلماء الّا عددتُ استاذي الاب! نعمة الله ابو ناضر من اربابه وحملة مشاعلهِ . فاسمح لي ان اوجّه اليك هذا الكلام فاقول :

لي في مديحك ، دمتَ وقفةُ شاعرٍ والشعر في ربّ الفصاحة ساحرُ
عفتُ القوافي من بسنين وقد نسيتُ م النظم ، لا حاشاي ، اني ذاكرُ
وسئمتُ مدح الناس في ايامنا وسكتُ لكن في السكوت مرائرُ
نظمُ القريض بهم عصى متمردًا لكنَّه في نظم مدحك صاغرُ
من روض فضلك ضاع عرفُ فضيلة عَبَقت فأفشت ما حوتهُ سرائرُ
عزَّزتَ مدرسةً بحزمك ازهرت زهرًا عليها كم تغنّى طائرُ
كم من تلامذة بفضلك اصبحوا كالجوّ منه همى سحابٌ ماطرُ
اديارنا بك قد زهت ارجاؤها صرح العلوم بها بجدّك عامرُ
فلأنت للآداب ركنٌ ثابت شهدت لك بهِ طلّبٌ ومحابرُ
كم قد سهرت بجنبها متجهّدًا والليلُ خلو النور داجٍ عاكرُ
وسميرك القرطاس والقلم الذي للبطل يخزي للصواب يناصرُ
انك في القريض قصائدٌ رنَّانةٌ صدعت وقالت انت وحدك شاعرُ
منها انجلى عقلٌ توقّد بالذكا ما فاتهُ بالامس يومهُ حاضرُ
فالعلم ناخ برحب صدرك ركبهُ وعلى ضياك مشى الغريبُ السائرُ
في أربع اسطنبول صيتك شائعٌ في العالم العربيّ فضلك زاهرُ
ابقيت في «نسيه» ذكرًا عاطرًا رغمًا اقرَّ بهِ الأعقُّ الناكرُ
وكذاك في «ميفوق» اسمك لم يزل كالطيب منهُ بدا شذاهُ عاطرُ
أنّى يُصدَّق ان ذكرك ينطوي والعلمُ عزَّ بهِ وقام يجاهرُ
كم ذقتَ من نَصَبٍ بعلم شبيبةٍ ونهاك يقظانٌ وطرفك ساهرُ
وكفى لرهبنةٍ بمثالك جهبذًا هو رافعٌ عَلَمَ العلوم وناشرُ

لا تحجبيني في مديحك شاعرًا ان الفؤاد بصدق حبك شاعرُ
بالامس شعري كان غصناً ذابلاً واليوم في روض الثنا هو ناضرُ
طوّقت جيدي بالقلائد منعماً فعرفتُ ذا وانا وليدُ شاكرُ
ان كنتُ قد قصّرتُ في مدحٍ فما شعرُ الفرزدق في مديحك قاصر
لا زالَ في صدر المعارف مشرقاً توقيك من رشق الحسود مخافرُ

واذا ذُكرت مآثر الرجال فانت اولى بالذكر والثناء :

« انت الجديرُ بكل فضلٍ نلتهُ وحويتهُ وبكل مكرمةٍ حَرِي »

واذا ما اتيت على تعداد فضائلك وصفاتك الغراء فاني انطق بالحق والصدق. فاني اصدق اذا ما قلت عنك انك كاتبٌ بليغ وشاعر مجيد :

فاذا نظمتَ فانت ابلغُ شاعرٍ واذا نثرت فانت افصحُ خاطبِ

بالحقيقة انك كاتب بليغ وشاعر مجيد وصحافي قدير ومحام لامع تعد بين حملة الاقلام، قد عرفتك الصحف والمحاكم والمجالس والمحابر والمكاتب بانك فرد من افرادها ؛ فان مكتب الرئاسة العامة على الرهبانية اللبنانية الذي تسمرت عدة سنين عليه وتصببت عرق المشقة وسهرت الليالي الطوال جالساً اليه تسامر القلم والقرطاس ولم تزل الى الآن، سيحفظ لك ذكرًا جميلاً يتناقله الخلف عن السلف . فان جميع ذلك يحدثنا عن وفرة معارفك وسعة اطلاعك ومقدرتك في كل علم تعلمته . وها ان جرائد استنبول التي رصّعتَ صفحاتها بالامس بنفثات قلمك الساحر تشهد انك بانك من العلماء المحققين والكتبة المبرزين.

فان لك ايها الاب العالم في الحزن رنة وفي البشر طنة فاذا تكلمت رثاء ادميت القلوب وان كانت صلبة كالجلمود . واذا خطبت او قلت شعراً لعبت بالعقول بسحر بيانك لعب المعتقة بالرؤوس . واني لا اغالي اذا قلت ان لك شعرًا قويًا متيناً — (ويا له من شعر من الصخر امتنُ) — ودليلاً على ذلك اورد بعض ابيات من قصيدة عارضت بها قصيدة امرؤ القيس قد انشدتها للمثلث الرحمة المطران بطرس البستاني بعد عودته من رومية والقدس تقلّه دارعة فرنسية خاصة فقلت مشبهاً الدارعة :

أطيرٌ يشقُّ السافياتِ ويرفلُ ام العيسُ في سهلٍ من الارض ترحلُ

أجلودُ صخرٍ حطَّهُ السيلُ من علٍ إم الصلُّ ما بين الزهور يغلغلُ
تراها كخودٍ قد اطالت برقصها على ربوةٍ خضراء تعلو وتسفلُ
نعم هي تطفو فوق امواج مزبدٍ تبطَّنها شيخٌ لـهُ القلبُ منزلُ
هو السيِّدُ الحبرُ المفدَّى بأنفسٍ غوالٍ لهُ المجد الشريفُ المؤثَّلُ

فمن خلال هذه الاشعار وغيرها يتبين لنا رسوخ قدمك في اللغة العربية ، فان القوافي والبديع والمعاني والبيان والتشابيه والكنايات والاستعارات تخضع لك خضوع العبد لسيده وتقف على بابك قائلة :

« على الباب عبد من عبيدك واقف »

وقد جمعت ايها الاب الفاضل العالم الى ما في صدرك من العلم ، جمال الفضيلة الراجحة والمرؤة والتجرّد والشهامة والوداعة والتواضع ، لا تعرف الارتفاع ولا الانتفاخ وانك بين اخوانك الرهبان كالحمامة البيضاء . ويشهد على تواضعك واماتتك مـا كنت تأتيه من ضروب الخدمة الحقيرة للرهبان العجزة الشيوخ في اديار كفيفان وميفوق ونسبيه — غسطا — والعظمة في الخدمة المتواضعة — وقد عاشرتك سنتين كنت خلالهما اتردّد عليك واتقلب بين يديك كالولد بين يدي ابيه ، وكنت تقبلني بوجه باش وصدر رحب ، ففي اثناء هاتين السنتين قد طبعت على صفحات قلبي اثراً لا يمحى وحباً لك لا يفنى . . .

وفاة الاب نعمة الله ابو ناضر في دير مار الياس الكحلونية

جاء في رزنامة هذا الدير ما هو بالحرف الواحد .

« قد انتقل الى ربه القس نعمة الله ابو ناضر ليلة الاربعاء في ٣٠ ايلول سنة ١٩٢٢ (١) . والمرحوم دخل الرهبنة في شباط سنة ١٩٠١ في دير مار قبريانوس كفيفان . ولما ألبس الاسكيم الملائكي حاول رؤساؤه ان يقنعوه بالاستعداد للكهنوت فانتسى لتواضعه ان يتركوه أخاً طول حياته لانه كان يعدّ نفسه غير اهل لتلك الدرجة الملائكية . وهكذا لبث اربع سنوات فبعد الجهد خضع وقبل الدرجة المقدسة ثم اخذت أمه الرهبانية تستخدمه في تعليم ناشئتها ، فدرّس في دير كفيفان ودير نسبيه — غسطا ودير ميفوق ودير قرطبا ودير سيدة المعونات في جبيل وابدى في هذا العمل الهام غيرة عظيمة متفانياً في تهذيب اخوته

---

(١) ورد تحت رسمه انه توفي سنة ١٩٢٣ والصواب ١٩٢٢ .

الرهبان الادبي والروحي . وفي رئاسة قدس الاب اجنادبوس سركيس العامة عُين كاتب سرّ له . وكان رئيس معاملة لاديار المتن والقاطع لما عاجلته المنية . وقد كان رحمه الله راهباً قانونياً متجرداً شديد التقشف محافظاً في حياته كل المحافظة على حفظ نذور الرهبانية المقدسة ولا سيما نذر الطاعة . وقد احتفل بجنازته يوم الخميس ٢١ الجاري ودفن في مدفن الدير بعد ان أبّنه قدس الاب العام اغناطيوس التنوري (الذي كان موجوداً في دير الكحلونية) بالفاظ استنزفت الدموع من عيون الجميع . رحمه الله ومتعه برؤيته السعيدة في النعيم الخالد».

كاتبه
القس يوسف سركيس الشبابيّة
رئيس دير الكحلونية

رثاء

فقيد الرهبانية اللبنانية المارونية العالم العامل
المرحوم الاب نعمة الله ابو ناضر

ما انتشر نعي الاب ابوناضر حتى بكته الرهبانية بدموع حرّى ولاسيما تلاميذه الذين أثرت فيهم وفاته فتفجعوا عليه ما شاء الله ان يتفجعوا ، منهم تلميذه حضرة الاب بطرس الكفوني الذي خلفه في تدريس المعاني والبيان لاخوته الرهبان في دير سيدة المعونات — جبيل . وقد رثاه بقصيدة رقيقة تنبض بالأسى والاسف والعاطفة والشعور وصدَّرها بهذا العنوان المذكور رأينا ان نختم بها هذه الصفحات وهي :

كادت بفقدك أعظمي تبرى ... وغدا فراقك للورى مُرّا
والقلبُ أدماهُ تقرّحهُ ... وعليه اصنافُ البلى جرّا
والسُّهدُ زاول أعيناً هطلت ... وهمّت عليك دموعها الحرّى
وغدا الفراش لاضلعي ضَرَماً ... والنومُ عن عينيَّ قد فرّا
لم ألقَ مثلك راحلاً رحلت ... معهُ المروءةُ والحجى طُرّا
لم ألقَ مثلك مائتاً عبقت ... حسناتهُ بين الورى نشرا
لم ألقَ مثلك عالماً ملأت ... اعماله البيداءَ والبحرا
لم ألقَ مثلك جهبذاً عذبت ... اقواله حتى غدت خمرا
فخري واستاذي وخيرَ أبٍ ... ومعلّمٍ نلنا بهِ فخرا
مَن لي بمنطقهِ فأرثيهُ ... واقولُ فيهِ الشعرَ والنثرا

مَن لي بدمعٍ لا يغيضُ لكي ابكي الفصاحةَ والنُهى الدهرا
رجلَ الفضيلةِ والحصافةِ مَن برقينا قد أنفدَ العمرا
وسقى رياضَ عقولنا فنمت فلذاك نوقفُها لـهُ نذرا
ان الألى اغتنموا فوائدهُ سخُّوا عليـهِ دموعهم حُمرا
وخدودهم لحدًا لهُ جعلوا وقلوبهم لرفاقـهِ قبرا
وحشاهمُ كفنًا وأضلعهم نعشًا لمـن رقّاهم الشعرى
يا ناضرًا أذواكَ دهرٌ خنى لا يغفرُ المولى لـهُ وزرا

∴

تبكيكَ رهبانيةٌ فُجعت بأعزِّ من شدَّت بـهِ أزرا
وزعيمها أروى الضريحَ وقد أبكت سيولُ دموعهِ الصخرا
لُغةُ البلاد بكت عليك دماً إذ كنتَ في عليائها بدرا
أنفقتَ وقتك في مغالقها مستخرجاً من بحرهـا دُرًّا
نضرت بناضرها وقد ذبلت لمّا ذبلتَ وحشرجت ذعرا
تبكيهِ أنديةُ الكرام لِمَا حلَّت بدُرِّ كلامهِ نحرا
يبكيهِ علمُ بلاغةٍ تخذت في رأسهِ لكعابها خِدرا
وشبيبةُ الرهبان قد خسرت فيـهِ إماماً حاذقاً حبرا
يبكيهِ طول حياتهِ ولـدُ درس البيانَ عليـهِ والشِعرا
آثارهُ الغرّا تهيـجُ بنا الاحزانَ عند تجدُّد الذكرى
فعليـهِ الفُ تحيّةٍ وسلا مٍ يزدري الريحانَ والعطرا
ولهُ من الابناء خيرُ دُعـا وعليهِ رحمـاتُ السما تترى
وأحلَّهُ ربّي الجنانَ لِقـا اتعابـهِ وأنالهُ الأجرا

مقدمة

الآثار التاريخية في المكتبة النخلية

يقول كاتب هذه السطور الاب انطونيوس شبلي اللبناني : انه في شهر نيسان من سنة ١٩٤٥ زرت بيت الوجيه الكريم الاديب الكبير امين بك نخله في بيروت ، وأطلعت على مكتبته العامرة التي اسسها المرحوم عباس بك نخله ووصفت الكتب المطبّة فيها مستطرداً الى الكلام عن الكتب المطبوعة النادرة وجمعتها في نبذة مستقلة تحت عنوان : «الآثار التاريخية في المكتبة النخلية» ووضعت لها هذه المقدمه وهي :

لا يندُّ عن الاذهان ان ديارنا الشرقية ظلّت قروناً طويلةً خاليةً من المطابع، وان ايدي النسّاخ هي التي قامت مقامها في نشر وحفظ نتاج ثمرات ومولّدات أدمغة العلماء والمفكّرين الكبيرة الضاربة في بيداء كلّ علمٍ وفنٍ تقتله درساً وتفكيراً ، فبرهن اصحابها للملا على انهم من المجلّين في مضمار الاختراعات والعلوم والفنون . فانتهى الينا قسم من ذلك النتاج الفكري الدقيق العميق يتهادى بوشيه الناصع وحليه الرائع فكان متنزّل الوحي ومتجلّى الحكمة والالهام يصدعُ بما لاولئك العلماء الفطاحل من الآراء الصائبة الدالّة على خصب فِكرهم المولدة المسرعة ، والعقول الثاقبة التي خلّقت المُلَح النوادر والجواهر البواهر البالغة باربابها الى أعلى درجات قمة المجد ونباهة الذكر .

وكانت هذه الآثار مورداً عذباً للعطاش ونجعةً للروّاد ومُعافراً للطلّاب يعتضدون بآراء ذويها في معضلات المشاكل ومبهمات المسائل ، وحجّةً قاطعةً ناطقةً بما خصّ الله علماء العرب من العبقرية والنبوغ ، فكان لهم فضل التقدّم في ميدان التأليف والترصيف . ولا يستطيع اصحاب الدعوى العريضة وأولي المكابرة الجامحة والمعاندة الجانحة الى مرامي الادّعاء والاستغوا ، نكران هذه الحقيقة الساطعة في جنانهم والمستترة تحت طيّ لسانهم خجلاً واستحياء .

واما القسم الآخر من تلك الذخائر النفائس فقد عفّى آثارها تراخي الايام وكرور الاعوام ونسجت عليها عناكب الاغفال والنسيان ، فلم يصل الينا شيءٌ من اخبارها بل بقيت دفينةً في صدر الزمان .

وان بعض تلك الكتب قادها سوء الطالع الى ايدي نسّاخ جهلة نسخوها فمسخوها فتبدّل حالها وشوّه الكلفُ جمالها فبرزت الينا من دياميس العصور الغابرة

تتلبّس ثوباً شاعت في تضاعيفه الخروق وكثرت فيه الرُقع كأنها عجوزٌ دميمة وجه فشت في قسماته اخاديد وغضونٌ تخبّأت تحتها لمحاتٌ لذلك الحسن الضائع والبهاء اللامع تنبئ انها كانت في سالف الزمن من ربّات الحجال الموسومات بميسم الظرف والجمال.

ولو لم يكن لتلك المخلّفات الروائع وزنها وقيمتها لدى ذوي البحث والتنقيب لما رأينا المستشرقين يبالغون في التفتيش عنها ولسانُ حال كلٍّ منهم يقول:

طال احتجابُكِ طاب لي ان تسفري حتى أُمتّعَ في بهائكِ ناظري

حتى اذا ظفروا بأثرٍ منها بدروا الى استفراغ الجهد في الكشف عن محاسنه والاسراع الى نشره، رافعين الحجاب عن مطلع شمسه ومنبع درّه يدلّون به مستكبرين مفاخرين.

***

وليس من يجهلُ أنّ طائفةً منهم طافت البلاد المشرقية بالطول والعرض متجشّمة عناء الاسفار غاشيةً اهول المخاطر للتنقيب والاستهداء الى مكامن تلك الآثار المحتجبة عن النواظر، باذلين النفس والنفيس للظفر بها والحصول عليها. وقد رأينا الملك لويس الرابع عشر يبعثُ الى الشرق احد علماء النمسا باذلًا له المال عن سخاء لمشترى كتب العرب، فجال في مدنه وقراه وظفر بما ابتغاه وعاد الى مخدومه حاملًا عددًا وفيرًا من تلك النفائس الصابرة على غير الايام. وان الشيخ بلنصر الخازن ذكرَ اسماء الكتب التي عثر عليها العالمُ النمسوي على ما ستقرأ في هذه اللمحة التاريخية، واننا ما عرفنا منه غير اسماء بعضها. فهل لمحبي الآثار التاريخية الشرقية ان يبحثوا عنها ويرفعوا عن وجهها النقاب ويتحفوا بها العالم العربي؟

والنابغةُ السمعانيُّ الكبير قد سافر الى كلّ انحاء المشرق حتى تخطّى الى أبعد حدوده طلباً لهذه الآثار فوقع على قسمٍ منها فاشتراه وقفل راجعاً الى المدينة الابدية يعكف على درس تلك الاسفار ويكسرُ الصدَفَ بما عُرف به من العلم الراسخ والعقل الراجح، عن دررها الغوالي ويرسلها الى العالم الغربي مجلوّةً كالحسنا. حاملةً البرهان القاطع والدليل اللامع على نبوغ العقل الشرقي.

وقد طرّس على منواله المطران جرمانس فرحات المتأنق الشهرة في علم العربية والحامي حماها ، فذهب وهو راهب الى اسبانيا للاطلاع على آثار العرب في خزائن مكاتبها . ولم يقفل راجعاً منها الى الشرق بغير جدوى . وبالرغم مما اعترضهُ من الصعاب ومن شواغله المتراكمة ومهامه المترابكة تركت لنا يدهُ الكريمة نحو مئة وستين مخطوطاً في خلال اثنين وستين عاماً ، أودعها طرائف القرائح وطرّق في بعضها افضل المواضع وأظهر المباحث التي توسّع المدارك ونُطلق المعارف .

وعلى ما بدا لنا بعد الاختبار والاستقراء ، ان الذين صانوا لنا هاتيك الكنوز من الاندثار والتلاشي ، معظمهم من المتخوفين والمتنسكين الذين خلعوا الدنيا ولم يخطر لهم يوماً ببال الاسفاف الى سفاسف الحياة للتلهي بها ، الراغبين في إحياء روح العلم والادب والتاريخ ، فصبروا وثابروا على اقلامهم في نقل التآليف التي انفق اهلها العمرَ بين صرير الاقلام ومداد المحابر صوناً لها من الاغفال والضياع .

ولم يفتنا الاهتداء الى بعضها ، وكنا وما زلنا ننشّ عنها ونتقصّى اخبارها وما سمعنا بمخطوط الّا قصدناه . وبلغنا اخيراً ان في دار فقيد لبنان الغالي وشاعره العالي رشيد بك نخله ، مكتبة جليلة القدر جديرة بالذكر ، فلم نتردد عن الذهاب اليها في بيروت . وما ظلّلتنا سماء تلك الدار النخلية المنزلة عن ضوضاء المدينة والهادئة المستلقية بين أذرع السكينة ، حتى لاح لنا الإباء والشمم اللبناني متجلياً فيها بعظمته وروعته ، واحسسنا بذكريات « الرشيد » تستفيق في حافظتنا وتثير بنا هزّة ارتعاش لفقده ولذّة انتعاش بذكره ، وعرفنا كيف يخلدُ الرجل بالذكر الى يوم البعث والنشر ، فردّدنا فيه قول القائل :

لطفتْ عليك وجوهها الحسناتُ والمكرماتُ الغرُّ والهنّاتُ

∴

ومَن من الناس يجهل « الرشيد » الذي رفعَ « النشيد » عالياً فاهتزَّ لوقعهِ وتوقيعهِ لبنان من اقصاه الى اقصاه ، حتى تحرّكَ العظم الرميم في ثراه .

دمعت عيننا على شاعرٍ ملهمٍ عبقريٍّ أطرب لبنان نيفاً وخمسين سنةً بمقاطع واشعار سارت مضرب المثل على كلّ شفةٍ ولسان ، فكانت طُرفةً من طُرف الخواطر وقطعةً من روائع السحر والبيان.

وكأنَّ سما. لبنان الرائقة ، ومناظر جباله الفاتنـة ، ومطلع الشمس فوق روابيه العالية ، ومسبح القمر والنجوم في لياليه الصافية ، وجلال نَبعي الصفا والباروك خلعت عليه وشاح العبقرية الفذّة ، فنفح لبنان بالبديع المعجز والبيان المطرب.

ذكرنا «الرشيد» فمُثل لذهننا رجلٌ عصاميٌّ عظاميٌّ جمع بين السيف والقلم وتمثّل عند رؤيتهِ عجز قلمهِ عن بلوغ مرامهِ بالقول المأثور:

« ويفعلُ السيفُ ما لا يفعلُ القلمُ »

ذكرناه على ظهر جواده الادهم كعالية الرمح يردّد شعر المتنبي:

الخيلُ والليلُ والبيداء تعرفني والسيفُ والرمحُ والقرطاسُ والقلمُ

وما ذُكرَ «الرشيد» ذُكر الاخلاص والوفاء والسعي لاستقلال لبنان . ففي احرج اوقاته وفي ايام محنهِ وأناته تحت ثقـل الملمّات والنكبات التي تواردت عليه وهو في « المنفى » كانت تثورُ بين اضلعهِ محبة لبنان فتغنى بما ترى:

« جبلٌ على الدنيا أطلَّ بمجدهِ ولغير ربّك ليس يُحني المنكبا »

ولم يتحوّل في جميع مناحي حياتهِ عن وفائه للبنانه ، ولا عن الجهر بوجوب استقلاله ، ولم يزحزحه شيء عن الثبات في عقيدته الوطنية . ولم تفتر فيه همة ، ولا نبا له حسام ، ولا كبا بهِ جواد ، ولا كلّ له يراع ، ولا خمدت له قريحة ، ولا شاخت له مروءة في جهاده هذا ، فشاب شعره ولم يشِب شعره ، ولا حزمه ، ولا عزمه ، ولا خُلقه ، ولا دينه ، ولا كرمه . وكأنه في كل ذلك يقول :

« ما شاب عزمي ولا حزمي ولا خُلقي ولا وفائي ولا ديني ولا كرمي »
« وانما اعتاد رأسي غير صبغتهِ والشيبُ في الرأس غيرُ الشيب في الهممِ »

اجل ! ان الموت طوى «الرشيد» ولكنه لم يطوِ ذكره ولم يطمس أثره .

« لقد طوت شخصهُ الايام غادرةً وما طوت منه ذكرًا طيّبَ الأثرِ »

الافخارستيا في القرض الماروني

بقلم الخوري فرنسيس نعمه البيسري

همّ البقاء دفع الموارنة الى جبل لبنان والظلم حدا بهم على أن يتخلوا عن السهول الخصبة وان يلجأوا الى هذه الجبال العصية والاودية السحيقة يعملون في صخورها نحتاً وتفتيتاً فاذا هي « حفافي متدرجة ، وجنات غناء ، وبساتين جوية ، وكروم من التوت ، وساقيل من الدوالي واذا هي رائعة من الروائع »[1] واذا بها تصبح مع الزمن موارد رزق وحياة « لهذه الامة الصغيرة المحتشمة التي عمرت اكثر مما عمرت امبراطورية القسطنطينية التي اضطهدتها »[2] . لكن لا يخطرن على بالنا ان همّ البقاء كان الدافع الأوحد لتوطن الموارنة لبنان ، وان موارد رزقه الشحيحة هي التي حملتهم على الاستقرار في هذا الجبل. هناك دواع دينية دعتهم الى التوطن فيه وهذا ما يثبته فرارهم من وجه النساطرة وهذا ما يتره احدث ابحاث الجغرافية البشرية ؛ وفيه يقول العالم دي فوماس « انه ليس على وجه الدنيا جبل تضاهي نسبة سكانه مع ضيق رقعته نسبة سكان لبنان. وليس غنى الارض او ما تحت الارض هو ما اقرّ سكانه فيه . ولو كان الانسان يعيش من الهواء الطيب لقلنا : الفضل للهواء . ولكن الحق انه ينبغي رفع النظر الى ما فوق الهواء . فما اقرّ الموارنة في لبنان الّا اعتقادهم بأن الانسان ليس بالخبز وحده يحيا »[3]. نعم لقد عاش الماروني في هذه الجبال منقطعاً اكثر ايامه عن رومة والكثلكة مجبرا على الانزواء عن العالم وقطع المواصلات معه . انما لم يعش ابداً بعيداً عن معتقدات الكنيسة كل معتقداتها بل عاشها فأحبه ، وقدّسها فقدسته ، واحترمها فحفظته ، واضرم جذوتها بحرارة ايمانه

(١) تارو « طريق دمشق » ، ص ٤١–٤٢ .

(٢) EDWARD GIBBON, *The History of the Decline and Fall of the Roman Empire*. Ed. J. B. Bury, vol. V (London 1898), pp. 156-157.

(٣) ذكر النص سيادة المطران ميخائيل ضوميط في مقاله : الموارنة والبطريركية المارونية رابطة الاخويات ، تموز – آب ١٩٥٥ ، العدد ٣١ ، ص ١٥٧ .

نشعت في كل حركة من حركاته واحسَّ بجاراتها كل من اقترب من هذا الشعب المؤمن . فقال احد سيّاح الفرنج في بطاركته واساقفته : « اساقفة عصيهم من خشب امّا هم فمن ذهب »[١] . وقال احد قصّاد البابا عن البطريرك سركيس الرزي : « ان فيه الصفات النادرة الواجب والممكن وجودها في خليقة ممتازة بالقداسة بحيث خيل اليَّ بأنني بين آباء الكنيسة الاولين »[٢] . وفي كنف هؤلاء الرعاة القديسين عاش شعب قديس وصفه دنديني عند منصرم القرن السادس عشر فقال : « انه كان مجتمعاً لا أثر فيه للدعارة ولا يسمع فيه احد شيئاً عن الزنا او الجرائم الجنسية وأن النساء على كثير من الدمائة والاحتشام » . ويزيد دنديني قائلاً : « وهذه نعمة خاصة من الله »[٣] . وربَّ معترض يقول انه لا اثر في المكتبات للمجلدات والمؤلفات المارونية التي تبرهن عن عيش هذه المعتقدات فنجيب : « ان الموارنة ، وقد تعرضوا لملاحقة العرب والمماليك وغيرهم لاقوا ما لاقوا من صعاب على ارض قاسية وعرة المسالك ، لم ينفتح لهم مجال للانصراف الى الادب والفن »[٤] .

نعم ليس للموارنة في عصورهم الاولى كتابات يتبع فيها المنطق الفلسفي او الاسلوب اللاهوتي ولكن جليّ ما في الامر صلوات اتت معبرة عن نفسية شعب بكامله ومبرهنة عن صحة اعتقاد امة ومحافظتها شديد المحافظة على وديعة الايمان التي تسلمت .

فهذا الشعب الذي عاش — كما قلنا — في هذه الجبال عرضة للاضطهاد ما استطاع ان يبقى على الدين القويم ، وما قوي على الصمود مفضلاً سفك دمائه والاستشهاد على التنكر لدينه المسيحي ، لو لم يكن المسيح معه ولو لم يسكن في كنائسه المتواضعة البسيطة . ولقد ثبتت « هذه الوردة بين الاشواك » نامية تنمو وتكبر متحدية الاعاصير لانها بجسد المسيح تغذت ، ومن دمائه شربت .

(١) نقلاً عن رابطة الاخويات ، تموز — آب ١٩٥٥ ؛ العدد ٣١ ، ص ١٧٦ .

(٢) ذكر ذلك في رابطة الاخويات ، تموز — آب ١٩٥٥ ؛ العدد ٣١ ؛ ص ١٨٠ .

(٣) «*Voyage du Mont Liban*» par J. Dandini, traduit par A. S. P., ch. XIX, p. 94.

(٤) الرجي : (في الطقس الماروني ؛) نقلاً عن رابطة الاخويات ، تموز — آب ١٩٥٥ العدد ٣١ ، ص ١٧٦ .

ولقد صمدت لا بقوتها بل بقوة « الجمرة اللذيذة الشديدة الاضطرام التي الهبتها كما الهبت الشهداء. فتسارعوا الى مجابهة اللهيب »[١] كما جاء في الفرض الالهي.

وكما ان الماروني لم يكتب ويؤلف في موضوع من المواضيع كذلك ايضاً لم يكتب شيئاً في القربان. انما ظهرت حياته القربانية الداخلية في صلوات تنم عن حب شديد للقربان. ولقد تضمن فرضهم الالهي معظم هذه الصلوات التي ترجع في اصلها الى العهود الاولى للكنيسة حسب قول الأب بريدي مستنداً في قوله هذا الى « حقيقة الفرض الماروني الجماعية الشعبية »[٢]. وفي هذا قوله ايضاً: « ان فرضنا الالهي هو صلاة الشعب المؤمن الذي اجتمع ليشترك اشتراكاً فعلياً بالصلاة تحت رئاسة الكهنة »[٣]. ولا عجب من ذلك فالصفة الجماعية هي صفة ملازمة للطقوس المارونية[٤].

الصلاة الجمهورية في العصور الاولى للكنيسة

وهذه الصفة الجماعية هي صورة حية لما كانت عليه الصلاة في اوائل عهد المسيحية. فمنذ العصور الاولى للكنيسة وحتى في ايام الرسل كان المسيحيون يصلون صلاة جماعية يشترك فيها الشعب والكهنة معاً.

ولقد كانت تقتصر اجتماعاتهم على الصلاة الطقسية والقيام بذبيحة القداس. فالقربان كان محور اجتماعاتهم الاسبوعية. ولقد اثرت الاجتماعات اليهودية في هذا المجال كمثال يحتذى به فقط.

فأعمال الرسل يعلمنا ان صلاة الجماعة المسيحية الاولى كانت تدور حول كسر الخبز والاحتفال بالافخارستيا: « وكان الذين تعمدوا مواظبين على تعاليم الرسل والشركة في كسر الخبز والصلوات. ويلازمون الهيكل كل يوم بنفس واحدة ويكسرون الخبز في البيوت ويتناولون الطعام بابتهاج ونقاوة قلب »[٥].

---

(١) ليل الخميس القومة الثانية حدها — الفرض الماروني.

(٢) ميشال بريدي: الفرض الالهي الماروني: ص ٦٠، حاشية عدد ١.

(٣) ميشال بريدي: الفرض الالهي الماروني: صفحة ٣٢/٢٠

(٤) يتحلق الأولاد والشباب والكهول في قرية كفرصغاب، شمالي لبنان، في كل مساء حول قرايتين لمساعدة الكهنة في الصلاة الطقسية.

(٥) اعمال ٢/٤٢؛ ٤٦–٤٧.

ولقد جاء في حاشية للأب ميشال بريدي: « ان الصلاة في العهد الرسولي كانت اسبوعية يترأسها الكهنة لان الافخارستيا هو محور الاجتماعات المسيحية »[1].

والتاريخ يعلمنا ان كنائس فلسطين وكيليكيا وكابودكيا وغيرها قد اتفقت جميعها في العصور الاولى لتكريس يوم من ايام الاسبوع يجتمعون فيه ليقيموا الصلاة الطقسية وليكسروا الخبز حيث كان الكهنة المحتفون يصلون مع المؤمنين الى الله، متضرعين اليه، مرنمين بعض فقرات من المزامير، شاكرين المسيح الههم لا بكلمات منتقاة من العهد العتيق بل بأخرى املتها تعاليم الرسل واوحاها تقى المؤمنين. وعلى هذا كانوا يزيدون قراءة مقاطع من الكتاب المقدس وغالباً من اعمال الرسل ورسائل بولس[2].

وهكذا سميت هذه الصلاة الطقسية صلاة قربانية مسيحية جماعية وذلك لان اجتماع المسيحيين كان ليشكروا الله ويشتركوا بتذكار عشائه السري وقيامته المجيدة. وهكذا فان فعل الشكر الذي كان يشتمل قبل ظهور المسيح على شكر الله نعمه وعنايته الالهية واهتمامه بالبشر، غدا غنياً بالمعاني المسيحية بعد ظهور الكلمة المتأنس. لان الاعمال الرسولية وفرت له مادة كافية ليأتي مثقلا بهذه المعطيات الجديدة.

الطقس الالهي والقربان

فمّا تقدم تظهر لنا صلة الطقس بالقربان او قل بذبيحة القداس. فالاجتماعات كانت تدور حول كسر الخبز. فتحيط صلاة الساعات بسر القربان المقدس في الكنائس الغربية والشرقية[3]. حتى ان الصلاة الكنسية الجمهورية ما كانت لتقام مرة واحدة الّا وتحيط من قريب او بعيد بالافخارستيا.

ولم يتوقف المسيحيون الاولون عند صلاة تقال حسب رغبتهم. انما استلهموا في ذلك تاريخ حياة السيد المسيح فعيّنوا منذ العصور الاولى نهار الاحد من

(١) ميشال بريدي الفرض الماروني - صفحة ٦ حاشية عدد ٣. راجع فهرس مجموعة النصوص القربانية الاولى - مدريد - الجزء الثاني ١٩٢٥-١٩٥٤ تحت كلمة طقسيات ص ٩٥١-٩٥٧.

(٢) بريدي ص ١٨ / ٤ والحاشية.

(٣) J. Gasper, *Ms. D.* 1950, nº 21, p. 82.

الاسبوع لاجتماعاتهم . وذلك لان المسيح يذكرهم بانتصار سيدهم ومعلمهم على الموت ويؤكد لهم انتصارهم على الموت وقيامهم قيامة ممجدة . فتعليم الرسل الاثني عشر يخبر«ان الرسل قرروا تكريس نهار الاحد للصلاة الطقسية ولقراءة الكتب المقدسة وللتقدمة – الافخارستيا – لان المسيح قام من بين الاموات وصعد الى ابيه السماوي نهار الاحد » [1].

ويثبت لنا من التقليد المسيحي ان الاحد هو نهار السيد المسيح وعيد قيامته الذي له علاقة وثيقة بالافخارستيا اذ بالقيامة والصعود بلغت الذبيحة الذروة . فالمسيح ذاته قد ربط القيامة والحياة الابدية بأكل جسده اذ قال في خطابه في كفرناحوم : « من يأكل جسدي ويشرب دمي فله الحياة الابدية وأنا اقيمه في اليوم الاخير . انا الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان اكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد » .

اما وقت الاحتفال بالصلاة كان على ما يظهر باكرًا اي في الربع الاخير من الليل يتبعه الاحتفال بالافخارستيا حتى انه لا يبزغ الفجر ويصيح الديك الا وانتهى كل شيء ؛ وعلى هذا المنوال كانت تقام حفلة نهار الاحد [2] . ويثبت هذا قول الحاكم « Pline le Jeune » في احدى رسائله الى الامبراطور «Trajan» . ولقد اتى فيها ان من عادة المسيحيين اجتماعهم في يوم معين قبل الفجر وترتيلهم مناوبة انشودة للمسيح » .

وهكذا يتبين ان هذه الاجتماعات الصبحية كانت تقام نهار الاحد وفي بقية الايام التي يحتفل بها « بكسر الخبز » . ولكن ما هي الصلوات التي كانت تؤلف الفرض الالهي آنذاك ؟ هل كانت مغايرة للصلوات القربانية ؟

ان اجتماعات اليهود للصلاة كانت تقتصر على سماع قراءات وترانيم مزامير مأخوذة من كتبهم المقدسة . وغالبًا ما انتهى الاجتماع بتفسير لاحد المقاطع المقروءة . وفي العصور الاولى للكنيسة حافظ المسيحيون الاولون على حضور احتفالات اليهود مع القيام بصلوات واجتماعات قربانية خاصة بهم كما قلنا سابقًا.

---

(١) F. Nau, *La Didascalie de douze Apôtres*, 1912, p. 225/7.

(٢) Jungmann, *Missarum Sollemnia*, t. I, p. 41.

وما تفرد المسيحيون بهذه الصلوات وحدها دون سواها الا لما حصل الانفصال الفعلي بين اليهود والمسيحيين وذلك حوالى السنة الرابعة والاربعين[1] . لكن المسيحيين تأثروا باليهود فأخذوا عنهم منهاج الصلاة زائدين على قراءة كتب الشريعة والانبياء، قراءة العهد الجديد واعمال الرسل وعظة مستوحاة من القراءة. فكانت هذه الاقسام الاربعة النواة التي كونت فرضنا الطقسي من جهة والقسم الاول من قداسنا من جهة ثانية وهو القسم الذي يدعى ما قبل الذبيحة[2] . ومنذ القرن الرابع ظهرت هذه القراآت في كنيسة انطاكية مضمومة الى القسم الذي يكوّن الذبيحة او النافور[3] .

ولقد كانت هذه الصلاة الاستعدادية مستقلة في بادئ الامر الاستقلال التام . فكانت تصلّى في كنيسة وتقام الذبيحة في كنيسة اخرى . وهذا ما كان يحصل في اورشليم وافريقيا حوالى اواخر القرن الرابع[4] . ويخبر عن دير القديس « Sabbas » في اورشليم حيث كان يسكن معاً رهبان ينتمون لجنسيات مختلفة ان هؤلاء كانوا يحتفلون بما قبل الذبيحة في كنائس مختلفة وكل بحسب لغة الطقسية : الغريغورية والسريانية واللاتينية . ثم كانوا يجتمعون للاحتفال سوية بذبيحة القداس وذلك باللغة الطقسية اليونانية[5] . ويخبر «Hanssens» انه حوالى السنة ٦٠٠ كانت بعض الاديار تهمل القراآت المقدسة لانهم كانوا يصلونها في غير وقت[6] . فيستنتج اذاً انهم كانوا يتركون ما قبل الذبيحة .

الفرض الماروني والقداس

ولا يستغرب ان تؤول الصلوات الجمهورية الى تأليف قسم ما قبل الذبيحة فيأتي نظام هذا القسم وترتيبه شبيهاً كل الشبه بنظام وترتيب فرضنا الالهي . وبالفعل فمن اقام المقابلة بين «الفرض» وبين « ما قبل الذبيحة » رأى ان اوجه

(١) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, t. I, p. 43.

(٢) DOM F.-J. MOREAU. *Liturgies eucharistiques*, 1924. pp. 40 31.

(٣) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, t. I, pp. 62.

(٤) ÉTHÉRIE, *Journal de voyage*, dans *Sources Xièmes* XXI. pp. 199 sq.

(٥) TYPICON DE S. SABBAS (*Hanssens Institutions*, t. II. p. 6 sq.).

(٦) HANSSENS, *Institutions*, t. II, p. 5 sq.

الشبه جلية بينهما . ومن اقام المقابلة بين الفرض الالهي الماروني والقداس وجد كيف ان الافكار التي تؤلف الناقور هي موجودة وان مشتتة في الفرض الالهي يقول «Jungmann» ما خلاصته[١] : « كما يؤلف جسد المسيح ودمه نواة الذبيحة هكذا تكون القراآت المقدسة الموضوع الاساسي لما قبل الذبيحة . فالذبيحة والكتاب المقدس هما كنزا الكنيسة اللذان عليهما يتوقف خلاص الجنس البشري . وكما ان المسيح بدأ رسالته بالتعليم قبل ان يؤسس مملكته هكذا وجب ان تملأ كلمته ارواحنا قبل ان نقتبل من جديد العهد الجديد . ولكن لمّا كان ما قبل الذبيحة مستقلاً عن الذبيحة نتساءل اذا كان هذا القسم قد تمدّى تأثيره القراآت وعمل عمله في تكوين القسم الذي يلي القراآت ؟ فيجيب «Jungmann» على سؤاله بأن القضية واضحة فيما يختص بالطقوس الشرقية فان صلوات كانت تتبع القراآت منتهية بصلاة المؤمنين او ما سمّاه بعضهم قداس المؤمنين » .

ولا بدّ لنا بعد هذا الّا ان نعطي الآن موجزاً عمّا تشتمل « ما قبل الذبيحة » . فهذه الرتبة الاستعدادية التي كان يحضرها المؤمنون والتائبون والموعوظون تشتمل على اناشيد وطلبات وقراآت تتضمن في قداسنا فرضين . يقول «Jungmann» ان من خواص « ما قبل الذبيحة الشرقي ادخال صلاة فرضية قديمة عليه »[٢] . فكل من هذين الفرضين يبدأ بالسجود للثالوث (قدوس الله قدوس القوي . . .) وتمجيده (المجد للآب والابن والروح القدس . . .) وبعد ذلك يدعو الشماس الشعب الى التوسل الى الله من اجل حاجات الكنيسة والشعب المسيحي (من اجل امان وسلام العالم كله . . .) ثم يتلو الكاهن صلاة الافتتاح طالباً له وللشعب حسن القيام بالخدمة المقدسة فينشدون معاً « مزمور — بالمعنى الشامل — المجد لله في العلى » في الفرض الاول و « ارحمني يا الله » في الفرض الثاني ويتلو الكاهن « الحساية » او صلاة الغفران التي تختلف باختلاف الايام والاعياد . انا احتفظ « للسيدة » بهذه الحساية في الفرض الاول وامّا في الفرض الثاني فهي لا تزال على ما كانت عليه مختلفة اختلاف الايام والاعياد

(١) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, t. II, pp. 153.

(٢) JUNGMANN, *Missarum Sollemnia*, t. II, p. 8.

وهي ما نسميه « افراميات » . وبعد صلاة الغفران يرتل الخادم نشيداً للسيدة في الفرض الاول وللثالوث «قدوس الله » في الفرض الثاني تليه « صلاة المطر » سرية في الفرضين الاول والثاني .

وبعد هذه الطلبات والنشائد كان يقرأ على المؤمنين فصولاً من الكتاب المقدس بعضها من العهد العتيق والبعض من العهد الجديد احتفظ منها بقراءة فصل من رسائل القديس بولس وبفصل من الانجيل .

والفرض الالهي في جميع ساعاته يتبع هذا الترتيب مما يجعلنا نتساءل اذا كان الموارنة يصلون الفرض الصباحي ويبدأون تواً بالنافور تاركين القسم الذي يؤلف « ما قبل الذبيحة » على جهة ام انهم كانوا يصلون صلوات الصباح وصلوات الرتبة الاستعدادية ثم النافور ? سؤال يصعب علينا الاجابة عليه لاننا نفتقر الى المراجع والمصادر التي تكاد تكون معدومة .

وتسهيلاً لاستنتاج اوجه الشبه بين الرتبة الاستعدادية من جهة وترتيب اية ساعة من ساعات الفرض الالهي وبين صلوات النافور القربانية من جهة ثانية وصلوات الشحيمة سنعرض ذلك في لوحتين .

ما قبل الذبيحة		الفرض الماروني
الفرض الأول	الفرض الثاني	مساء الاثنين
السجود للثالوث (قدوس الله قدوس القوي . . .)	السجود للثالوث (قدوس الله قدوس القوي . . .)	السجود للثالوث ([illegible])
تمجيده (المجد للآب . . .)	تمجيده (المجد للآب . . .)	تمجيده (المجد للآب . . .)
صلاة الافتتاح (اهلنا ايها الرب الاله . . .)	صلاة الافتتاح (اهلنا ايها الرب الاله . . .)	صلاة الافتتاح (اهلنا ايها الرب الاله)
مزمور (المجد لله)	مزمور (ارحمني يا الله)	مزمور (المجد لله)
صلاة الغفران (الحساي)	صلاة الغفران (الحساي افراميات)	صلاة الغفران (الحساي)
صلاة المطر (اننا نذكر)	صلاة المطر (ايها الرب القدوس)	صلاة المطر (اهلنا ايها الرب الاله ان نكون لك بخورات)
مزمور (في المنى العام)	مزمور (في المنى العام)	مزمور (في المنى العام)
		ثلاث قراآت من العهد العتيق
		قراءة من اخبار الرسل
قراءة الرسائل	قراءة الرسائل	قراءة الرسائل
قراءة الانجيل	قراءة الانجيل	قراءة الانجيل

النافور الصلوات القربانية	ما يقابلها في الفرض الماروني
استجبني يا رب ولتأت روحك القدوس ويحل علي وعلى هذا القربان .	الشكر للروح الذي حل على ذبائحهم (ليل الجمعة والاربعاء القومة الثالثة حدهاا).
اقبل ايها الحنون هذه الذبيحة التي نقدمها لك اولاً من اجل بيتك... والبابا والبطريرك والاسقف والموتى والشهداء ...	اقبل يا رب قربانا ترضية للاهوتك ولأجل بيتك وكهنتك ولذكر امك... ولأجل عظامنا الانبياء والشهداء... (ليل الاثنين القومة الرابعة هعوؤا) .
يا من قدم ذاته لأبيه فكان حملاً ذبيحاً وحبراً مقرباً .	يا حمل الله الحي الذي كسر جسده واطعم الشعوب (الثلاثاء الساعة السادسة فته ههمه).
يا أبا الحق .	يا ابا الحق (الخميس الساعة التاسعة حدهاا).
المجد للآب الذي قدس وللابن الذي غفر وللروح الذي حل .	المجد للآب ... والشكر للروح الذي حل (ليل الجمعة والاربعاء القومة الثالثة حدهاا).
بارك اللهم الكسر وبارك الأرض التي اخذت منها .	بارك يا رب رأس السنة واحفظ غلات الارض (ليل الاثنين القومة الرابعة هعوؤا).
اهل يا رب يدي ان تكسرا جسدك وتوزعاه بالايمان .	والكهنة يوزعون جسد ابن العذراء (صباح الاثنين ، النشيد الرابع ، البيت الثاني عشر) .
مبارك انت يا ربنا يسوع المسيح الخبز الحي .	منك يا مريم جاءنا خبز الحياة (صباح الاربعاء. النشيد الثاني) .
اشرك اللهم في ملكوتك السماوي كل مؤمن اشترك معنا في هذا القربان .	اجعل يا رب راحة سعيدة وقيامة مجيدة للمشتركين بشركة جسدك ودمك (ليل الاثنين القومة الرابعة هعوؤا).
وحدت يا رب لاهوتك وناسوتنا ...	امتزجنا بك وانت امتزجت بنا (المساء الخميس الصلاة الثانية) .

بعد كل ما بيّنّا لا غرابة اذا كان موضوعنا « القربان في الفرض الماروني » لا سيما بعد ما رأينا ما هنالك من شبه وقرابة بين القداس والفرض . اما غرضنا فهو ان ندرس كل ما ورد في الفرض وله علاقة في القربان . انما يجب ان نعلم ان ليس في الامر ناحية ندرسها وحدها . غايتنا هي ان نرى كل ما يقال حول القربان في فرضنا الاسبوعي « الشحيمة » .

اقول في فرضنا الاسبوعي « الشحيمة » كي انبه ان درسنا لا يشمل القربان في « الشحيم » كتاب الفرض الرهباني ولا كتاب الاعياد « المتعيّد » تاركين ناحية الفروض المختصة « بعيد الجسد »[1] و « قلب يسوع »[2] و « خميس الاسرار »[3] .

ويجب ان نعلم ايضاً ان ليس في الشحيمة درس لاهوتي في موضوع القربان بكل ما تحوي كلمة درس من معنى . لا منطق يوجد في القضية ولا اسلوب يتبع . هنالك صلوات اتت عفو الخاطر معبرة عن نفسية قربانية . هي نفثات تصعدها نفس شعب مع كل طلوع فجر ، وعند كل غروب شمس . ومتى طلب الله من الشعب ان يكون منطقياً في صلاته او ان يتبع اسلوباً ؟.

انا اذا جمعنا شتات ما يقال في القربان وجدنا انه من الممكن ترتيب هذه النصوص حسب تصميم نتبعه فنتكلم اولاً عن الذبيحة كلمة ومعنى وفاعلية . واذا كان لا بد من ذبيحة فنتكلم عن اقسامها : التقدمة والضحية . ثم عن ثمارها الناتجة عن المناولة ثمار تكفير وطلب سجود وشكر . واخيرا نرى كيف ان القربان هو ينبوع حياة في هذه الدنيا وفي الآخرة[4] .

الذبيحة

الانسان في طبيعته متدين . وما الدين الّا عبادة بها نخضع لله ونسلم

---

(١) صلاة عيد القربان المقدس للعلامة جرمانوس فرحات . نشرها الآباتي يوسف حبيقة بمناسبة المجمع القرباني في فلورنسا .

(٢) صلاة عيد قلب يسوع نشرها المطران اخرس بالمطبعة المارونية في حلب ١٩٢٤ .

(٣) راجع الكتاب المختص بأسبوع الآلام (كتاب الجاش) .

(٤) يجب ان نلفت النظر على ان المراجع في هذا الدرس تكاد تكون معدومة . لذا لجأنا الى قراءة بعض الكتب التي ذا صلة غير مباشرة بموضوعنا حتى على ضوئها نتمكن من فهم الموضوع وطرقه .

انفسنا لمشيئته . لانه هو خلقنا ومن فيض محبته اعطانا وما نحن وكل ما نملك الّا هبة من جوده ومحبته . لهذا لا يحق لنا ان نتصرف بانفسنا وبكل ما نملك الّا حسب امره ومشيئته القدوسة . وان فتشنا في التاريخ وجدنا أن خلاصة العبادة هي الذبيحة وذلك عند جميع الاديان . لقد كان الفينيقيون يجتمعون في وقت معين من السنة في « أفقا » حيث كان هيكل لآلهتهم . وكانوا يقدمون احد اولادهم للكاهن فيقدمه هذا ذبيحة لارضاء «بعل» الاله وذلك بأن يرمي الولد في جوف ثور نحاسي تضطرم فيه النار بينما يضج الشعب في الخارج لئلا يسمع الاله صراخ الولد فلا يعود يرضى بالذبيحة . وحصار صور وخرابها كان سببه ان الصوريين لم يرضوا ان يقدم الاسكندر ذبيحة لالههم « ملقارت ». وذلك لان الاسكندر ليس كاهناً لهذا الاله، وذبيحته التي يريد ان يقدم ليست باسم الشعب[١] . ويقال ان الله كان يرضى بالذبائح .

وبالفعل فقد رضي الله بذبائح العهد العتيق . رضي ذبيحة هابيل التي قدمها له من بواكير ارضه ومن تعب يديه وعرق جبينه ، وقبل ذبيحة ابرهيم وجعله اباً لامم كثيرة وكان قد طعن في السن ، ولذت له ذبيحة هارون فرفع الطاعون عن اسرائيل وهكذا يقول الكاهن في ابتداء القداس الماروني « يا من قبل قرابين هابيل في الحقل ونوح في السفينة وابرهيم على رأس الجبل ... اقبل هذه القرابين ... »[٢] .

ولكن الله لم يكن ليسرّ بدم الابرياء وبلحم الكباش والعجول فهذه يقدمها الانسان فداء عن نفسه معبرة عن استعداده لتضحية ذاته وكل ما يملك لله الخالق الوهاب . وظلت هذه الذبائح صورة وشكلاً حتى تلك الليلة العجيبة، ليلة الحب الذبيح ، ليلة العشاء السري حيث صارت الرموز حقيقة والصور حياة وهذا ما يريد ان يقوله الكاهن في صلاته هذه : « بك كانت العجائب المجيدة والمعجزات الباهرة يا مبطل جميع الذبائح »[٣] . ولكن ما معنى كلمة ذبيحة هنا ؟ .

(١) بليبل : تاريخ لبنان العام — الجزء الاول .
(٢) القداس الماروني — صمدة الاسرار .
(٣) الجمعة الساعة السادسة صعوًا

ان هذه الكلمة ترد مرارًا في الفرض الالهي واما معناها والمقصود منها فلا نفهمه الا اذا حددنا معنى الكلمة واصلها .

اما اصل الكلمة فيرجع الى فعل «זבח» العبراني والـذي معناه ضحّى ، وذبح، وكرس الشيء لله . و«ܕܒܚܬܐ» او«ܕܒܚܐ» معناها الذبيحة والضحية .

وكلمة ذبيحة في فرضنا الماروني لا تحمل معنى واحدًا في كل المواضع فهي: ذبيحة ، وتقدمة ، وقربان ، وضحية ، ونار وروح ؛ مع العلم ان تعدد الاسماء لا يغير شيئاً في الجوهر كما سنرى .

اما غاية التجسد فكان الصليب كما يبدو من احد النصوص حيث يقول الكاهن ما ترجمته : « ليته يأتي في المرة القادمة كما اتى ليصلب في المرة الأولى ، لانه جاء اولًا وكان ذبيحة عن الخطأة »[١] وكان الحمل الالهي الذي صار ذبيحة[٢] .

اذًا يتبين من هذا النص ان المسيح اتى وقدم نفسه «فكان الحمل والمقرّب، الحمل الذبيح والحمل المقبول »[٣] وهو الحمل السماوي صار نفسه ذبيحة وكاهناً »[٤] كما يقول القديس افرام . لهذا تشكره البيعة لانه قدم نفسه فداءً عنها ولنفران خطايا بنيها صارخة نهار قيامته : « مبـارك الذي ذبح نفسه عني ومنحني جسده مأكلًا ودمه مشرباً روحياً غفراناً لي ولبنيَّ »[٥] .

ولم يقدّم المسيح ذاته الا « ليبطل الذبائح القديمة كلها » التي لم تكن الا صورة وشكلًا ولكي يعطينا عوضها ذبيحة جديدة فيها تصير الرموز حقيقة والصور حياة « لقد كسر جسده ليبطل الظل ويعطينـا الحقيقة »[٦] أليس هو القائل بلسان كنارة روح قدسه « وعوض الذبيحة الزمنية التي يخدمها الانسان اكون انا مذبحاً وذبيحة وغفراناً »[٧] .

---

(١) مساء الجمعة البيت الثاني حده II
(٢) ليل السبت القومة الثانية حده II
(٣) لامي : اناشيد ومواعظ القديس افرام ، الجزء الأول ، صفحة ٦٠٣/١١
(٤) لامي : اناشيد ومواعظ القديس افرام ، الجزء الأول ، صفحة ٥٧٥
(٥) ستار الأحد ، النشيد البيت الاول .
(٦) لامي : الجزء الاول ، صفحة ٦٢٣ /٧
(٧) لامي : الجزء الاول ، صفحة ٣٧٩ /٢١

ولكن الربّ لم يكتفِ بهذا بل اراد ان تمثل ذبيحته هذه في الكنيسة بشكل سري وعلى مر الزمن حتى يتسنى لكل انسان ان يجني ثمارها الروحية. لكن من يقدم هذه الذبيحة ؟ يقدمها اولئك الذين اعطاهم السلطان وخولهم على اسراره بقوله لهم : « اصنعوا هٰذا لذكري » . يقدمُ الذبيحة « اولئك الكهنة الذين اختارهم ابن الله ليخدموه فتقدمه ايديهم ذبيحة كفّارة ، وتوزعه اصابعهم جسدًا ودماً حيًا ، ويزيحه فمهم نقيًا هاتفاً قدوس »[1] . وبهذا السلطان المعطى له يقف الكاهن كل يوم على المذبح يقدم الذبيحة غير الدموية التي مقدّمها وضحيتها يسوع المسيح ، ومقرّبها وقربانها يسوع المسيح . يقدّم الكاهن الذبيحة حاملًا ابن الله بين يديه ، مقدماً اياه لأبيه ذبيحة عن خطايانا ، محملًا اياه ذواتنا بكل ما فيها من افراح واتراح وكل ما تكنه قلوبنا من الم وابتهاج قائلًا : « يا ابا الحق هذا ابنك ذبيحة ترضيك فلَرضَ عنّا لأن التقدمة والذبيحة اعظم من الذنوب »[2].

وهكذا فالذبيحة المعنية هنا هي ذبيحة الابن الذي قدم ذاته لابيه ذبيحة عنا وكفّارة عن خطايانا . وهي ذبيحته مقدمة على ايدي الكهنة الذين سلمهم ان يخدموا اسراره .

ولكن مما تؤلف الذبيحة؟ هل يتكلم في الشحيمة عن التقدمة والضحية؟ واذا كان الجواب بالايجاب هل هما قسمان مستقلان عن بعضها ؟ ام يؤلفان قسماً واحدًا غير منقسم ؟ وبكلام اجلى هل من فرق بين الذبيحة كتقدمة والذبيحة كضحية ؟ .

الذبيحة : تقدمة وضحية

قبل ان نبدأ بالجواب لا بدّ لنا من نظرة لترى اذا كان هناك كلام يدل على التقدمة والضحية في الفرض الماروني. اننا نجد كلمتين: «ܩܘܪܒܢܐ» ومعناها التقدمة ، العطية، و«ܕܒܚܬܐ» ومعناها ايضاً العطية مع العلم ان كليها يعنيان الذبيحة ايضاً . ان « Brun » يترجم « ܩܘܪܒܢܐ par oblatio, donum, « Sacrificium, eucharistia ، ويترجم « ܕܒܚܬܐ » par oblatio, halocaustum.

(١) ليل الجمعة والاربعاء — القومة الثانية ܚܘܬܡܐ

(٢) الخميس الساعة التاسعة : يا ابا الحق .

فاذا رجعنا الى النصوص رأينا ان الكلمتين تدلان على التقدمة والعطاء .

« فأيدي الكهنة تقدم الذبائح »[١] بينما صوتهم يصرخ عالياً نحو الآب السماوي: « انظر يا الله الخطايا وانظر التقدمة عنها . فان التقدمة والذبيحة لاعظم من الذنوب » وهكذا كما كان كهنة الناموس يقدمون الذبائح لله باسم الشعب المختار كذلك لا يزال كهنة العهد الجديد، كهنة البيعة يقدمون لله الذبيحة الحقيقية باسم الشعب والكنيسة .

انما تظهر التقدمة جلية وبكل وضوح عندما تطلب الكنيسة من الله « ان يبارك السنة بنعمه ومراحمه وان يحفظ غلات الارض[٢] بكلمة نعمته فتقدم القرابين على مذابحه والبواكير في هيكله »[٢] . وهذا ما يقوله الكاهن في « صمدة الاسرار » عندما يأخذ الخبز بيديه قائلاً : اقبل ايها الاله العظيم العجيب ابداً قرابين عبيدك هؤلاء التي انتقوها وحملوها الى هيكلك حباً لك ولاسمك القدوس» .

وكما ان للتقدمة كلمة ونصوصاً مختصة بها دون سواها فالضحية لها ايضاً معناها بالسريانية ونصوصاً تتكلم عنها . امّا التعبير عنها بالسريانية فهو بالاسم الشامل «ܩܘܪܒܢܐ» و«ܕܒܚܬܐ» ومعناها كما قلنا الذبيحة والضحية. فعلى الصليب وفي القداس اعطانا ابن الله جسده ودمه وذبح نفسه وضحّى بهما في سبيل كنيسته »[٣] .

يقول الكاهن في القداس : « يا أبا الحق هذا ابنك ذبيحة مُات لاجلي»[٤] والكنيسة تهنئ نفسها لان العروس خطيبها قد اقام وليمة على شرف قداستها وايمانها . اعدّ لها فيها مذبحاً مقدساً طاهراً وضع عليه جسده ودمه[٥] وقدم لها مرعى خصباً دسماً ومشرباً لا يعطش شاربوه ومن شدة فرحها تنادي ذاتها قائلة :« تقدمي وكلي في الخبز ناراً واشربي في الخمر روحاً »[٦].

وهي تصلي متضرعة من اجل ابنائها طالبة من الحمل الالهي ان يصغي الى

---

(١) ليل الجمعة والاربعاء – القومة الثالثة ܚܘܬܡܐ

(٢) ليل الاثنين ، القومة الرابعة ܡܥܒܘܪܐ

(٣) ستار الاحد : النشيد ܡܥܠ

(٤) الخميس الساعة التاسعة ܚܘܬܡܐ

(٥) ستار الأحد : النشيد ܡܥܕܥܢܐ

(٦) ستار الاحد : النشيد ܐܘܢ

تضرعاتها ويستجيب ادعيتها فيخفف من آلامها ويزيد من افراحها ، يمحو آثامها ويبيّض قلوب بنيها ويطهرها مستحلفة اياه « بدمه الذي سفك على الجلجلة »[1] و « بحق الحربة التي ثغرت جنبه فوق الجلجلة على الصليب »[2] مذكرة اياه « انه هو حمل الله الحي الذي تكلم من على الصليب »[3] وهو يقدم ذاته لابيه كي يرضى عنا .

تقدمة وضحية . ذبيحة على الصليب ، وذبيحة على المذبح . الابن يُقدَّمُ على المذبح ، ودمه اهرق على الجلجلة . لزاء هذا كله لا بدّ لنا من التساؤل اولاً اذا كان هناك فرق بين التقدمة والضحية وثانياً اذا كان يوجد علاقة بين ذبيحة الصليب وذبيحة القداس ؟.

طبعاً لم يطرأ السؤال على بال مَن جَمَعَ نصوص « الشحيمة » . ولكن يخيل للقارئ « الشحيمة » ان التقدمة شيء والذبيحة شيء آخر . ألا يقول يقول الكاهن ان التقدمة والذبيحة لاعظم من الذنوب بما لا يحد ؟ هـذا في الظاهر اما الحقيقة هي ان الاثنين واحد . فالتقدمة هي رمز للذبيحة وصورة ، والتقدمة هي الآن ذبيحة بالقوة وقد تصبح بعد دقائق معدودات ذبيحة حقيقية حية بالفعل . وكثيراً ما يسمي الموارنة التقدمة ذبيحة ، والذبيحة تقدمة . ألا يقول الكاهن في بدء القداس : « اقبل يا رب هذه القرابين التي تقدم لك على يديَّ » وأيضاً « في كأس الخلاص هذا اصب الخمر رمز الدم الذي جرى لنا من جنب ابنك الحبيب » ، وايضاً في الفرض الاول من القداس: « اننا نذكر ربنا والهنا وكل سيرته الخلاصية لاجلنا على هذه التقدمة الموضوعة امامنا » . وفي الفرض الطقسي قبل ذكر الكلمتين — ذبيحة وتقدمة — في يا ابا الحق تصلي الكنيسة قائلة :« انظر يا ابا الحق الخطايا وانظر التقدمة عنها » . فهذه التقدمة ما هي الّا ابنه الحبيب الذي صار ذبيحة ليرضيه . وهذه التقدمة هي الحمل الذبيح الذي مات لاجل البيعة فيغفر لها به ولا يذكر خطايا ارتكبها ابناؤها امام عظمته . ففي قسم « ما قبل الذبيحة » يسمي الكاهن التقدمة

(١) الخميس الساعة التاسعة حدهلا
(٢) ستار الجمعة — النشيد — البيت الرابع .
(٣) الثلاثاء الساعة السادسة فزهحمم

« ذبيحة » . وفي النافور يسمي الذبيحة « تقدمة » . والشيء ذاته نجده في الفرض الالهي .

من هنا نستنتج ان التقدمة والذبيحة هما شيء واحد .

وكما بيان لقارئ « الشحيمة » ان لا علاقة بين التقدمة والذبيحة هكذا بيان له ايضاً ان لا علاقة بين ذبيحة القداس وذبيحة الصليب . وبالفعل كما قلنا سابقاً ليست الشحيمة سوى مجموعة صلوات لا يراد من ورائها تعليم لاهوتي ولكن من يجمع شتات الجمل التي تأتي على ذكر ذبيحة القداس والتي تأتي على ذكر ذبيحة الصليب يستنتج ان العلاقة بينهما اوثق مما يظهر . .

ففي صلاة يا أبا الحق التي شغلتنا في هذا القسم من دراستنا يقول الكاهن على المذبح وفي فرضه : « يا أبا الحق هذا ابنك ذبيحة » وهذه هي ذبيحة القداس . ولكنه يتبع هذا القول بقوله : « اليك دمه مسفوكاً على الجلجلة لخلاصي وهو يشفع لي اليك » وهذه هي ذبيحة الصليب .

ولكن هل هناك ذبيحتان ؟ كلا بل ذبيحة واحدة . فقدم ذبيحة القداس ومقربها هو يسوع المسيح لان الكاهن يقدس بقوة « من ذبح نفسه » لذا تقول الكنيسة «السجود للابن الذي علم كهنته واختارهم ليخدموا اسراره»[1]. وضحيتها وقربانها هو يسوع المسيح « يا ابا الحق هذا ابنك ذبيحة ترضيك . . . خذه قرباناً من يدي» .

ومقدم ذبيحة الصليب ومقربها هو المسيح «الذي كسر جسده على الصليب واطعم الشعوب[2] . والذي عصر اليهود خمره على اعلى الصليب »[3]. وضحيتها وقربانها هو المسيح « اذ ان الدم المسفوك على الجلجلة هو دم الابن الذبيح» .

اذاً ذبيحة واحدة لان الكاهن واحد والقربان واحد وان كانت على الصليب دموية وعلى المذبح غير دموية .

لقد شاهدت الكنيسة الشهداء يقدمون على الموت غير هيابين . قدموا نفوسهم ذبائح مرضية للحمل الالهي دون تردد . شاهدوا السيوف وما ارتعدوا[4]

(١) ليل الجمعة والاربعاء – القومة الثالثة حدهاا

(٢) الثلاثاء الساعة السادسة فنومصم

(٣) الجمعة الساعة السادسة فوصا

والنار المتقدة وما خافوا بل قدموا اعناقهم للذبح واعضاءهم للتقطيع وما ذلك الّا لانهم « شربوا من الخمرة التي اريقت على الصليب »[1].

فالشهداء المباركون لم يكونوا واقفين عند اقدام الصليب حتى يشربوا من الدم الذي اريق على الجلجلة ، ومن الخمرة التي عصرت على الصليب. انما هم تناولوا من ذبيحة القداس ، وشربوا من خمرة القداس من الخمرة التي قدموها ليسوع فسقاهم بدلها دمه . ولمّا كانت الذبيحة واحدة قالت الكنيسة انهم شربوا من الخمرة التي اريقت على الصليب والتي عصرها اليهود على الصليب .

انما كيف تحولت هذه الخمرة التي قدمها الشهداء للمسيح فسقاهم اياها دمه. والخبز الذي قدموه له كيف صار جسده ؟ كيف تحول ؟ هذا ما سنتكلم عنه وعن حضور المسيح حقيقة في القربان .

الاستحالة الجوهرية والحضور الحقيقي

كما قلنا ورددنا ليس في الامر دراسة لاهوتية . اننا لا نجد تحديدًا لمادة السر وصورته ولا كيف تصير الاستحالة او ماذا يبقى بعد الاستحالة . انه لم يخطر على ذهن المصلين كيف تقوم الاعراض بذاتها وقد تحول جوهرها حتى اننا لا نجد كلمة في الشحيمة تدل على الاستحالة . ولكن اذا كانت الكنيسة ما فكرت في ذلك تفكيرًا عقائديًا واذا كانت الظروف التي رافقت الشعب الماروني واحوال الزمان التي عاشها لم تحمله على هذا التفكير بالعقيدة فانه كان يحياها ، انه كان يعيشها .

نعم لم يفكر الموارنة اذا كانت الاستحالة سطحية ام جوهرية وبنوع عجائبي غريب ! ذلك لا يتبين من صلوات فرضهم . انما الذي يظهر هو ان الاستحالة الجوهرية موجودة ضمنًا في هذه الصلوات .

ففي الفرض الماروني نقرأ : « كسر جسده واطعمهم »[2] . اذا رجعنا الى معنى « كسر » بالسريانية رأينا ان الفعل يستعمل « لكسر الخبز » ومن ثمّ اخذت معنى كسر الجسد . « كسر جسده واطعمهم » هذا هو كلام السيد

(١) مساء الجمعة – النشيد الأول [illegible]
(٢) الثلاثاء الساعة السادسة [illegible]

المسيح ليلة العشاء السري[1]. فالكسر حصل على الخبز الذي استحال واصبح جسد المسيح بعد ان قال السيد: « هذا هو جسدي ». ألا يقول يعقوب السروجي بهذا المعنى في الميمر الثالث والستين عن آلام المسيح « ان ربنا قسّم جسده بيديه على المائدة فمن يجسر ان يقول الآن ان ذلك ليس جسده ».

اذاً الجوهر هو جسد المسيح واستعمل فعل « كسر » لان العوارض ثابتة نراها ونلمسها . الشكل شكل خبز ولكنه خبز حي . ألا تصلي الكنيسة لمريم العذراء، قائلة : « منك يا مريم جاءنا خبز الحياة واكله آدم وقام حياً من الموت »[2].

ان آدم هنا هو الانسان الذي افتداه المسيح بدمه . وقيامة آدم هنا حياً من الموت ليست مفعول الخبز بل هي تحدث لان هذا الخبز هو « خبز الحياة » هو جسد المسيح . له هيئة الخبز وشكله ولكنه في جوهره جسد المسيح بل هو المسيح الذي قال : من يأكل جسدي ويشرب دمي له الحياة الابدية. وايضاً انا الخبز الحي الذي نزل من السماء . ان أكل احد من هذا الخبز يحيا الى الابد» .

ولشدة ايماننا بقوة الكلام المحوّل «هذا هو جسدي» الذي يردده الكاهن على المذبح تؤدي الكنيسة « السجود للابن الذي علم كهنتهم ان يخدموا اسراره »[3] . فما معنى « خدم السر » بالسريانية وما هي هذه الاسرار ? . ان فعل «خدم» هو « ܟܗܢ » بالسريانية والذي معناه قدّس ايضاً . والاسرار هي بالسريانية «ܪ̈ܐܙܐ» بنوع شامل و « افخارستيا » بنوع خاص . فاذا كانت هذه الاسرار مقدسة فلماذا السلطان للكهنة حتى يقدسوها ? واذا لم تكن مقدسة فهي اذاً « خبز وخمر » والسلطان اعطي للكاهن فقدسها وغدت «جسد المسيح ودمه » جسد ودم وزعته اصابع الكهنة كما تنشد الكنيسة في ذات الطلبة .

وتظهر الاستحالة قوية في هذه الجملة التي يغبط بها الكاهن الكنيسة على

(١) ١ كور ١١/٢٥ ؛ لوقا ٢٢/١٩

(٢) صباح الأربعاء – النشيد الثاني ، البيت السابع .

(٣) ليل الجمعة والاربعاء – القومة الثالثة حسها

الوليمة التي اعدها لها العروس خطيبها مقدماً لها فيها مرعىً خصباً ودسماً ، مازجاً بحفلها مشرباً لا يعطش شاربوه وداعياً اياهـا : « تقدم وتأكل في الخبز ناراً وتشرب في الخمر روحاً » [١].

فالمأكل المقدم هو خبز فيه نار والمشرب هو خمر فيه روح . هل يمكننا ان نسمي هذا استحالة ؟ وما هي هذه الاستحالة الغريبـة ؟ امن الممكن ان يكون يسوع ناراً ؟ كيف تحول هذا الخبز الى النار والخمر الى الروح ؟

من الاسماء التي تطلق على الافخارستيا هي كلمة «الجمرة» «ܓܡܘܪܬܐ». يقول الكاهن في القداس الماروني قبل الرفعة الاولى : « لقد آمنا وقدّمنا هذا القربان واننا لنختم بهذه الجمرة السرية كأس الخلاص والشكران ». وفي نافور القديس يوحنا مارون يقول الكاهن : « انت هو الجمرة التي تبيد النار » وفي موضع آخر : « ليكون لهم جسدك ودمك جمرة تتلف جمر الخطيئـة وانا نجد هذه الكلمة عند آباء السريان الذين لفرضنا المـاروني علاقة بهم . فيقول يعقوب السروجي : ان الجمرة التي ادناها الملاك من فم اشعيا انمـا هي مثال للجوهرة الموضوعة هنا على المذبح . هـذه الجمرة لم يكن ممكناً اكلها ولا مسها ولكن بعد ان ظهرت متجسدة فتؤخذ من على المذبح وتؤكل »[٢]. فالجمرة التي نأكلها هي الكلمة التي تجسدت .

« كلي في الخبز ناراً » ان ما تأكله الكنيسـة وما تتناوله هو شكل الخبز فيه جسد المسيح . ولكن هل المراد ان جوهر الخبز يحوي جسد المسيح ؟ هل يوجد المسيح والخبز والمسيح والخمر سوية ؟

فبما تقدم رأينا ان القربان يدعى « جمرة » اذاً لقـد تحول الخبز الى جسد المسيح — الجمرة — ولكن قوله : « في الخبز ناراً » فـانما يريد ان يقول ان الاشكال باقية وهي خبز وخمر انما الاستحالة فقد حصلت فعلاً . فالقديس افرام يضع على لسان المسيح هذه الكلمات : « خذوا كلوا مؤمنـين ولا تترددوا لان هذا جسدي ومن اكله مؤمناً أكل به نار الروح الالهي » [٣].

(١) ستار الأحد ، البيت الثاني أمة

(٢) الأب لامي : الرسائل المسيحية ت ٢ و ك ١ ١٨٨١ العدد العاشر.

(٣) الرسائل المسيحية ، العدد العاشر ت ٢ و ك ١ ١٨٨١ ولامي الجزء الاول صفحة ١٧٤

والقديس افرام لا يكتفي بتسمية السيد المسيح ناراً وروحاً في القربان فقط بل هو بنظره تجسد ناراً وروحاً في احشاء والدته ، واعتمد وهو نار وروح ومن ذلك قوله : « احتجبت بخبزك روح لا تؤكل وحلت بخمرك نار لا تشرب فكانت في خبزك روح وفي خمرك نار ... هاالنار والروح في احشاء والدتك هاالنار والروح في النهر الذي اعتمدت فيه ... في الخبز والكأس نار وروح قدس »[١] .

فالنار والروح التي حلت في احشاء مريم العذراء هو يسوع المسيح . وهذه النار والروح هي ذاتها في الخبز والكأس . اذاً لقد استحال الخبز والخمر الى جسد المسيح ودمه ، الى النار والروح[٢] . وجوهر الخبز استحال الى جوهر جسد المسيح .

وهذه الاستحالة تبدو لنا جلية بعد تكلمنا عن الحضور الحقيقي في الشحيمة لان الاستحالة الجوهرية مرتبطة ارتباطاً وثيقاً بالحضور الحقيقي .

ان الكنيسة المارونية تؤمن ان المسيح موجود في سر القربان بلاهوته وناسوته تحت اشكال الخبز والخمر وذلك بنوع سري . وليس اكثر من الاستشهادات في هذا المجال .

فالمسيح لمّا اكل خروف الفصح مع تلاميذه قدّم لهم جسده ليأكلوه ودمه ليشربوه : « مبارك الذي ذبح نفسه عنهم ومنحهم جسده مأكلاً ودمه مشرباً »[٣] . ولمّا دعا الجموع اليه « كسر جسده واطعمهم وبدمه الحي غفر خطاياهم »[٤] .

فالمسيح لمّا قال : « خذوا فكلوا » اعطى جسده للاكل ودمه للشرب هذا الجسد الذي كان قبلاً خبزاً ولكنه الآن جسده والذي كان قبلاً خمراً وهو الآن دمه .

ولنا نحن الذين نأتي في عصر غير عصره « اعطانا جسده المقدس لغفران

(١) القديس افرام – العاشرة من قصائده في الايمان .
(٢) يدعى القربان «ناراً» عند القديس يوحنا الدمشقي «الايمان الارثوذكسي *I, IV, C.13*»
(٣) ستار الاحد ، النشيد ܡܘܚ
(٤) الثلاثاء الساعة السادسة ܦܢܩܝܬܐ

الذنوب ودمه الحي سقانا ليحفظنا »[1] وذلك بواسطة السلطان الذي اعطاه للكهنة . انهم يلفظون ذات الكلام على الخبز والخمر الموضوع امامهم على المذبح فستحيل الخبز والخمر الى جسد ودم ابن الله وعندما يوزعون الاسرار « فان اصابعهم توزع جسد ابن العذراء ودمه »[2].

والمؤمن اذا اراد طلباً من السيد المسيح ذكّره على انــه تناول جسده ودمه [3] ولشدة ايمانه بوجود المسيح تحت الاعراض يطلب منه ان يؤهله ليتناول جسده ودمه ويستفيد من مناولته هــذه . لان من كان غريباً عن ابن الله لا يستفاد من التقادم[4] .

وهكذا فالمسيح ليلة العشاء السري اعطى جسده مأكلاً ودمه مشرباً . والكاهن على المذبح يوزع جسد ابن العذراء ودمه والمؤمنون يعتقدون شديد الاعتقاد على انهم يتناولون تحت اعراض الخبز والخمر جسد ابن الله الحي ودمه الحي . فالمسيح اذاً موجود حقيقة بلاهوته لان الكهنة احتفلوا بجسد الله « وبناسوته » لانهم وزعوا جسد ابن العذراء .

القربان ذبيحة تكفير ودعوة لجميع الشعوب

لقد قلنا في مجرى حديثنا انه كان للموارنة منذ العصور الاولى حياة قربانية قوية كانت الدافع الاول لصمودهم في وجه الاضطهادات ولثباتهم في عقيدتهم وقلنا ان هذه الحياة القربانية الداخلية قد ظهرت في حياتهم الخارجية ولا سيما « الفرض الالهي » كتاب صلاة الكاهن والمؤمنين . وسيثبت لنا هذا جلياً اذا ما رأينا الاهمية التي تعطى للمناولة في «الفرض الماروني» والثمار المرتجاة من هذا السر سر الاتحاد بالله .

لقد رأينا التقدمة واستحالتها الى جسد المسيح ودمه وذلك عربون رضى المسيح عن القربان الذي قدم فلا يبقى امام المؤمن الا التقدم من التناول ليتحد

(١) صباح الخميس – النشيد الثالث – البيت الخامس .
(٢) صباح الاثنين – النشيد الرابع – البيت الثاني عشر .
(٣) ستار الاثنين – النشيد – البيت الرابع .
(٤) ليل الأحد – القومة الثالثة حدهلا
(٥) ليل الأربعاء – القومة الثالثة قدهلا

بالمسيح اتحاداً وثيقاً وعندئذ اية موهبة من مواهب الله تعوزه وفيه قد حلّ ينبوع المواهب وكنز العطايا الغني الذي لا يعرف الفقر والذراع الجبّار الذي لا يقهر!.

وعند الموارنة كما عند بعض الآباء الشرقيين ليست المناولة حلول القربان فينا ولكنه اتحاد وثيق بكل ما في الاتحاد من قوة. « فبالمناولة يمتزج المسيح بنا ونمتزج به »[1] وهذا ما يعبر عنه القديس افرام في الخامسة والثلاثين من قصائده في البتولية اذ يقول: « كهنة البيعة صافحتك راحاتهم يا خبز الحياة الذي تنازل الينا وامتزج بجوارحنا »[2] وفي السابعة والثلاثين من هذه القصائد: « اختلط جسده بأجسادنا اختلاطاً لم يسبق له نظير وجرى دمه الطاهر في عروقنا ... فامتزج كله بكلنا برأفته »[3] ويذهب القديس ماروتا[4] الى ابعد من هذا ويعبر عن هذا الاتحاد بنوع اجلى ووضوح اقوى: « حتى اننا كلما دنونا من جسد المسيح ودمه واخذناه على ايدينا نؤمن اننا نتناول جسد الرب ونصير لحماً من لحمه وعظماً من عظامه » وهذا ما علمتنا الكنيسة ان نتلوه في رتبة القداس بعد المناولة: « وحدت يا رب لاهوتك وناسوتنا، وناسوتنا ولاهوتك، حيويتك وميتوتنا، وميتوتنا وحيويتك، اخذت مالنا ووهبتنا مالك ».

بعد هذا الاتحاد الوثيق لا يبقى امام المؤمن الا ان يطلب حاجاته من الله عن يد الحمل السماوي.

فيطلب ان تكون الذبيحة ذبيحة تكفير كما ارادها السيد المسيح « ألم يرسم لنا الفصح الجديد جسداً يؤكل ودماً يهرق عنا وعن كثيرين لمغفرة الخطايا »؟ « ... الا وكان ذبيحة عن الخطأة »[5]. عندئذ كل مؤمن يتناوله يجني لنفسه ثمرة التكفير هذه ويرضى الله كفارته « ويصفح عن آثامه بحق ذبيحة الابن الذي مات لاجل كل انسان »[6].

---

(١) مساء الخميس – الصلاة التي تلي النشيد الأول.
(٢) لامي: الجزء الرابع – صفحة ٦١٧/٦
(٣) لامي: الجزء الرابع – صفحة ٦٤٢٣/٨
(٤) اسقف ميفرقين في اوائل القرن الخامس. مرجعاً لفرضنا مع القديس افرام ويعقوب واسحق الكبير.
(٥) مساء الجمعة حدها
(٦) الخميس الساعة التاسعة حدها

وليس يجني المؤمن هذه الثمرة لنفسه وحدها بل له ان يشرك فيها من شاء من نفوس الاحياء والموتى. فيمنح الله الاحياء نعمة التوبة، والموتى الراحة والنعيم. هو يطلب لنفسه ولنا نحن الاحياء حتى يمنحنا الله ان نسمع منه الصوت المملوء غفراناً ذاكراً جسده الذي اطعمناه ودمه الحي الذي اسقاناه راضياً بها »[1].

وعندما اقول نحن الاحياء. اريد التنويه الى ان صلاته هي شاملة شمول القربان — سر المحبة — فيشرك بثمار هذا القربان كلّ البيع والاديار والكهنة[2]. والمصلي في « الفرض الماروني » اذا ذكر الاحياء. فلا ينسى الاموات من كهنة وعلمانيين فهو يطلب من السيد المسيح ان يستفيد الكهنة الموتى من الذبائح التي قدموها عن الخطأة. هو يطلب لهم المغفرة وحينئذ « تصفق ايديهم فرحاً بين اجواق ممجدي المسيح » وتحمل اصابعهم اغصان المجد وتخرج للقائه » وترنمه افواههم النقية بترانيم المجد »[4] والموتى المؤمنون لهم القسم الاكبر في هذه الشركة. فهو يطلب ان يكون الجسد الذي اكلوه والدم الذي شربوه لغفران ذنوبهم ومسامحتهم. وهكذا انقياء طاهرين يدخلون الى السماء.

صلاة شاملة تشمل الكنيسة كلها بجميع ابنائها في قسميها : المجاهدة والمتألمة. وليس هذا بالامر الغريب. فالمسيح « في الفرض الماروني يريد خلاص البشرية جمعاء. اليس الصليب المقدس هو هادم كل ضلال ومانح العالم الخلاص »[4] اليس لهذا قد ذبح المسيح نفسه عن الجميع ؟ الم يركز صليبه في متوسط الارض منهل دم عظيم لينهل منه كل انسان دون تمييز او تفرقة ؟ فمن على الجلجلة « ارسل ابن الله العهد الجديد للشعوب التي خلصها بصليبه »[5]. وبينما هو معلق على الصليب في متوسط الكون تكلم وعلى صوته اللذيذ والشهي تجمعت الشعوب حوله وقد كانت متبددة في عبادة الاصنام كسر جسده واطعمهم وبدمه الحي غفر خطاياهم »[6]. فحب المسيح لا حدود له بل يتخطى الحدود

---

(١) صباح الأحد – النشيد الرابع ܚܘܣܝܐ

(٢) ليل الاثنين – القومة الرابعة ܥܢܝܢܐ

(٣) ليل الجمعة – القومة الثالثة ܒܥܘܬܐ

(٤) الجمعة الساعة السادسة ܥܢܝܢܐ

(٥) ليل الاثنين – القومة الرابعة – النشيد – البيت الخامس.

(٦) الثلاثاء الساعة السادسة ܦܪܘܡܝܘܢ

والميامرات لهذا ترفع له الكنيسة « التسبيح والشكر والسجود لمنهل دمه المظيم الذي فاض على الجلجلة في متوسط الارض »[1] .

فمن هنا يظهر لنا كيف ان القربان هو قوت الارواح وعنصر وحدة بين ابناء الكنيسة والشعوب . فعرى المحبة تتوثق بين المؤمن وسائر الشعوب بقوة الله الذي حلّ في قلبه . ألا نرى هنا صدى لما جاء في تعليم الاثني عشر[2] : كما ان هذا الخبز كان منثورًا في الجبال وصار واحدًا عندما التأمت اجزاؤه كذلك فلتكن كنيستك مجموعة من اقاصي الارض للدخول في ملكوتك » .

لا عجب اذا رأينا ان صلاة الشحيمة شاملة فهي صلاة كنسية بها يتحد الكاهن مع اخوته الكهنة في العالم اجمع فيصلي على نية الكنيسة لكي تزدهر وتنتشر ، وبها تصعد صلاة المؤمن مع صلاة جميع المؤمنين ذبيحة مرضية تقدم على مذبح العلي فيقبل هذه الصلاة كذبيحة رضى وعبادة .

انا في هذا كله لا ينسى المصلي ذاته . فاذا كانت نار محبة الابن قد توقدت في ذهنه واذا كانت الهبته[3] فأخرجته من نطاق شخصيته المحدودة الى نطاق اوسع اذ ليس للمحبة حدود . اذا كانت المحبة حملته على التفكير بأنه في صلاته يمثل الكنيسة الجامعة، وان العهد الجديد هو لجميع الشعوب التي كانت في الظلمات هذا لا يعني انها انسته نفسه بل بالعكس فان نار محبة الابن هذه ما اتقدت في ذهنه الا لتعلمه حقيقة ذاته؛ فرأى انه في الحقيقة عضو فاسد في جسد المسيح ولا يستحق ان يمزج معه اذا ظل على ما هو عليه من دنس خطيئة تلطخ صفحة نفسه ، وشهوة قبيحة تحرك اعماقه وتبلبل كيانه ، وشيطان مخاتل يريد ضرره ، وموت سارق يهدد مصيره .

لهذا فهو يطلب من المسيح طلبتين : طلبة تقتصر على حياته هذه واخرى تمد الى الحياة المنتظرة . فعلى مثال النبي داود يندم على خطيئته، ويعزم على الرجوع الى الله ابيه . ولكنه يريد ان يرجع الى بيت الآب طاهرًا نقيًا شيء . ليس باستطاعته ان يحصل عليه بقوته الشخصية لذا هو يصرخ نحو المسيح

(١) ليل السبت – القومة الثانية ܦܢܩܝܬܐ
(٢) تعليم الرسل الاثني عشر ٩/١١
(٣) مساء الجمعة – النشيد الأول ܫܚܝܡܐ

« مستحلفاً اياه بدمه الحي ان يغفر له وان يغسله من ادناس الخطيئة »[١]. واذا كان الله لا يرضى بقربانه، وامنيته الوحيدة هي هذا الرضى والقبول، فهو يتجه اليه قائلاً : اذا شئت يا الله اقبل قرباننا واغفر لنا وبيّض قلوبنا من وحل الخطيئة ولربما لاني خاطئ لا تحاو لك ذبيحتي هذه « فاليك دم ابنك مسفوكاً على الجلجلة لخلاصي وهو يشفع بي اليك فاقبل طلبتي بشفاعته »[٢]. واذا ما طهر من ادناسه فهو يسأل الحمل الذبيح « بحق ذبيحته عن الجميع ان يبعد الشيطان حتى لا يضره وان ينجيه من الشهوة القبيحة »[٣] وذلك يحصل عليه عندما يكون له من جسد المسيح الذي اكله ترساً يتقي به سهام الخبيث المتقدة[٤].

وكأنه حصل على ما طلب لان الايمان الذي يعمر به قلبه يجعله يتيقن من الحصول على ذلك. لذا فهو يقدم السجود والعبادة لله الآب لانه ارسل ابنه ليحررنا من عبودية الخطيئة «الشكر للآب الذي ارسل ابنه ليحررنا »[٥]. ويقدم السجود للابن الذي ركز صليبه وذبيحته منهل دم عظيم في متوسط العالم[٦] لتجني منها البشرية كلها الثمار الخيّرة. واخيراً السجود له لانه اعطى السلطان للكهنة حتى يجددوا ذبيحته عبر الاجيال « وعلمهم ان يخدموا اسراره »[٧].

فالشكر له على محبته لنا وموته لاجلنا، ومبارك لانه ذبح نفسه فداء عن كنيسته ومنحها جسده مأكلاً ودمه مشرباً. شكراً له ولابيه الذي أرسله ولروحه القدوس الذي به تمّ سرّ فدائنا.

والشكر واجب لان الاتحاد بالمسيح هو عربون الحياة الدائمة على حدّ ما قال السيد المسيح : « من يأكل جسدي ويشرب دمي له الحياة الابدية وأنا اقيمه في اليوم الاخير ». وعلى غرار ما علمنا الآباء القديسون اذ نعت اغناطيوس الانطاكي سر القربان « بدواء عدم الموت وسمّاه آباء نيقية : « بسر القيامة »

(١) صباح الجمعة – النشيد الأول – البيت الخامس.
(٢) يا أبا الحق.
(٣) ستار الأحد حدها
(٤) ستار الأحد حدها
(٥) يا أبا الحق.
(٦) ليل السبت – القومة الثانية
(٧) ليل الأربعاء – القومة الثالثة حدها

وقال فيه ايرونيموس : « ان اجسادنا التي تغذت بالقربان اخذت لها حالة عدم الفساد » .

والماروني بدوره يؤمن ان القربان مصدر حياة في هذه الدنيا وفي الآخرة. هو خبز الحياة الذي جاء من مريم أكله آدم وقام حياً من الموت . وهو « خشبة الحياة » التي هدمت كل ضلال ومنحت العالم الخلاص [1] . وهو الثدي الذي رضعت منه العوالم الحياة والنور. ومن تناول القربان كان له جسد المسيح ودمه بمثابة « راية حياة » [2] اذا رآها العدو هرب لانه يعلم ان القلب الذي اقتبل جسد الرب الطاهر لن ينزع الى حب غير مستقيم، واللسان الذي لمسه لن ينطق بكلمة سوء، والقوى التي كفى حاجتها واشبع جوعها لن تتوق اليه لتعيش معه وتحيا دون المسيح . نعم يهرب الشيطان لانه يرى ان الاجساد التي جرحت بسهامه المتقدة والانفس التي وقعت بشباكه الخفية قد شفيت وخاصت بقوة « دواء الحياة » [3] .

وهذا الثدي الذي رضعت منه العوالم كلها الحياة والنور هو في بادئ الامر غذاء للكنيسة ولابنائها . فالذبيحة هي وليمة اعدها العروس لخطيبته [4] التي « بدم جرى من جنبه شيَّدها [5] وبالمحبة كمَّلها وبالآلام اشتراها . والكهنة عندما يوزعون جسد المسيح ودمه فانما هم « يوردون قطيع المسيح كل يوم بالايمان موارد كأس الحياة والخلاص » [6] .

وهذه الكنيسة التي شيَّدها على الارض بدمه وآلامه وغذاها بجسده اتاح لها ان تنمو بالمحبة حتى السماء لان القربان كما رأينا ليس مصدر حياة فقط بل هو مصدر قوة باعثة .

فالمسيحي الذي تغذّى كل يوم بالحياة وشرب من مورد الخلاص بنوع ان صورة الله التي خلق على مثالها اخذت تنمو فيه وتكبر لا يمكن ان يبلى

(١) الجمعة الساعة السادسة ܥܒܪܘ.
(٢) صباح الخميس – النشيد الثالث – البيت الخامس .
(٣) صباح الخميس – الصلاة التي تسبق النشيد الثالث ܣܡܐ ܕܚܝܐ = «Christus»
(٤) ستار الأحد – النشيد ܡܘܟܠܐ
(٥) ليل الأحد – القومة الثانية ܡܘܟܠܐ
(٦) ليل الأربعاء – القومة الثالثة ܦܘܫܐ

بالجحيم « لان جسد الابن ودمه مكنونان فيه عربون خلاص»[١] وكما كانت هذه الحياة هنا راية تخيف العدو فيولي هارباً هي هناك تقي من النار : فجهنم وان ترقعت ان تعذبه فلن تقوى على ذلك والنار وان هددت اعضاءه فلن تتوصل ان تمسها بل ان النار تنطفئ وجهنم تبتعد «لان الاعضاء اختلطت بالجسد المحيي والدم الكريم قد امتزج بها »[٢].

عندئذٍ وقد خلص الموتى من الموت الابدي فلا يبقى لهم الا ان تنتفض اجسامهم من العفر وتنبعث اعضاؤهم من الرمم فيقومون مع ابن الله وقد اتشحوا بحلة المجد ، ويفرحون يوم ظهوره مرتلة افواههم التي تناولته « عربون الحياة الخالدة » ترتيلة المجد الابدية .

الكنيسة هي واحدة . ومن علامات الوحدة فيها هو التعليم الواحد للعقائد. فلرئيس الكنيسة والآباء القديسين يرجع هذا التعليم . نعم ان الروح يهب حيث يشاء. ولكنه يهب اولاً عند من يرجع اليه الحق في التعليم . فيعطي موهبة علمه وتدبيره الى الكنيسة المعلمة حتى هذه تسلمه بدورها الى الكنيسة المتعلمة «واذا رجعت انت فثبت اخوتك» . ولكن اذا ادّعى كل شخص انه معلم ومفسر لتعاليم المسيح ، اطاح التفسير بوحدة الكنيسة ، وهدد التعليم كيانها بالخراب « لان كل مملكة انقسمت على ذاتها خربت ».

انما هذا لا يمنع ان تكون الحياة الروحية موجودة عند الجميع تعيشها الطوائف كلها وتحياها . واذا كان التعليم منوطاً بالكنيسة المعلمة ذلك لا يمنع ان تسهم الكنيسة المتعلمة في بناء صرح العلوم الدينية والعقائد المسيحية . فيأتي الرأي والتعبير عمّا تحياه هذه الطوائف مناسباً لما تعلمه الكنيسة الجامعة دائماً هذا التعليم غير ماسّ بجوهر الدين ولا بشكل من الاشكال . فكثيراً ما تعتمد الكنيسة المعلمة وتستند في نشر عقيدة على ما تشهده وتلمسه في حياة وشهادة الشعب المسيحي الكاثوليكي .

---

(١) البيت الساعة الثالثة حدها .

(٢) مساء السبت – النشيد الأول – البيت السادس .

والكنيسة المارونية قد عاشت العقائد المسيحية وعبرت عنها بصلوات فطرية اتت عفو الخاطر بها ناجت ربها وحملتها الاجيال مرددة تلك المناجاة .

وفي موضوعنا هذا «القربان في القرض الماروني » لم تعبر الكنيسة المارونية عن حياتها القربانية الداخلية بطرق منطقية واساليب علمية بل بشذرات ذهبية ، مشتتة هنا وهناك في الشحيمة ، مزينة صفحاتها . اننا لا نعلم بالضبط الى متى يرجع عهد هذه الصلوات ولكن جلّ ما نعرفه هو انها وصلت الينا مثقلة بحياة عاشها جميع افراد الطائفة واستلمناها صلوات عابقة ببخورات ذكية ، قدمتها ايادي كهنة انقياء ، وترانيم شجية رتلها رهبان تدينون ، وروائح عطرية نفحتها فضيلة شعب طهور . صلوات مجبولة بعواطف ايمان ، ورجاء ، ومحبة للسر الذي « محا كل الذبائح والاسرار » .

المراجع

DOM F. J. MOREAU, *Les liturgies eucharistiques*, 1924.
S. SALAVILLE, *Liturgies orientales*, 1932.
S. SALAVILLE, *Liturgies orientales*, la messe 2t., 1942.
JOSEPH-ANDRÉ JUNGMANN, *Missarum Sollemnia* 3t., 1950.
A. HAMMAN, *Prières eucharistiques des Iers siècles*, 1957.
LAMY, *Hymnes et Sermons de St. Ephrem*, 1883.
M. BREIDY, *L'office divin de l'Eglise Syro-Maronite*, 1960.

الخوراسقف بطرس حبيقه ، الاوخارستيا والكنيسة السريانية المارونية ، ١٩٣٠ .
المطران يوسف الدبس ، الحضور الحقيقي والكنائس السريانية الكاثوليكية ، ١٨٩٣ .
الخوراسقف بطرس حبيقه ، ماري افرام السرياني والاوخارستيا ، الجزء الثاني ، ١٩٣٩ .
الخوراسقف بطرس حبيقه ، اناشيد الموارنة السريان في سر القربان ، ١٩٣٤ .

كتاب ختم الاولياء (تبع)

تأليف أبي عبدالله محمد بن علي بن الحسن الحكيم الترمذي

تحقيق عثمان اسماعيل يحيى

عالمية الازهر مع اجازة القضاء الشرعي
دبلوم الدولة للدراسات العليا من جامعة باريس
دكتوراه الدولة من السوربون

(السؤال السابع والستون) : وكيف مراتب الأوليـاء والأنبياء يوم الزيارة (١٠٧) ؟

---

١٠٧) «الجواب : ان كان يريد بالانبياء الرسل ، فمراتبهم المنابر الموضوعة في الصف الاول من الكثيب الابيض ، في وسط جنة عدن ، وهي جنة الزيادة (الصواب: الزيارة). وان كان يريد الانبياء دون الرسل ، فمراتبهم الاسرة — وهي في الصف الثاني — ؛ ثم الكرامي ، ثم المراتب». (الجواب المستقيم ورقة ٢٤٧ب — ٢٤٨ا).

«الجواب : ان الناس اذا جمعهم الله يوم الزيارة ، في جنة عدن ، على كثيب المسك الابيض ، نصب لهم منابر وأسرة وكرامي ومراتب.

فالانبياء على رتبتين : انبياء شرائع ، وانبياء أتباع . فأنبياء الشرائع في الرتبة الثانية من الرسل . والانبياء الاتباع في الرتبة الثالثة . والرتبة الثالثة تنقسم قسمين: قسم يسمى انبياء ، وقسم يسمى اولياء . والرتبة للأولياء بالاسم العام .

فاذا كان يوم الزيارة ، فكل نبي اخذ معرفة ربه من ربه ، ايمانًا لم يشبها بنظر فكري . فانه يشاهد ربه بعين ايمانه . والولي التابع له في ايمانه بربه ، يراه بمرآة نبيه . فان كان هذا الولي حصل معرفة ربه بنظره واتخذ ذلك قربة من حيث ايمانه ، فله يوم الزيارة رؤيتان : رؤية علم ورؤية ايمان :

فان كان الولي من أولياء الفترات ، ولم يحصل له في معرفته بربه من المعارف الالهية التي جاءت بها الرسل ، وكانت معرفتهم بربهم إما عن نظر وإما عن تجلٍّ إلاهي لقلبه ، أو كلاهما — فمثل هؤلاء يكونون بما هم اهل نظر في مرتبة اهل النظر في الرؤية . وان كانت معرفتهم عن كشف الاهي ، فان لهؤلاء صفًا على حدة يتميزون به عن سائر الخلق .

والجامع لهذا الباب ، ان الرؤية يوم الزيارة ، تابعة للاعتقادات في الدنيا . فمن اعتقد

(السؤال الثامن والستون) : وما حظوظ الانبياء من النظر اليه تعالى[١٠٨] ؟

(السؤال التاسع والستون) : وما حظوظ المحدثين من النظر إليه[١٠٩] ؟

(الاصل : تبطي) الالوهية حقها . وتكون ممن انصف ربه في العلم به . فان الله يتعالى أن يدخل تحت التقييد، أو تضبطه صورة دون غيرها . ومن هنا تعرف عموم السعادة لجميع خلق الله، واتساع الرحمة «التي وسعت كل شيء . . »

(فتوحات : ٢ : ٨٤ — ٨٥)

١٠٨) «ان حظ كل طائفة منهم منه بحسب معرفته واعتقاده لا غير . وكل من تجلى له في صورة عقده أنكره» . (الجواب المستقيم، ورقة $٢٤٨^١$ — يلاحظ ان ابن عربي هنا قد أجمل الاجابة على الاسئلة رقم ٦٨، ٦٩، ٧٠، ٧١ — في باب واحد) .

«الجواب : لا أدري، فاني لست نبي . فذوق الانبياء لا يعلمه سواهم . (هذا) ان اراد الانبيا الذين خصهم الله بالتشريع العام والخاص بهم . فان اراد انبياء الاولياء، فحظهم منه على قدر ما عندهم من وجوه الاعتقادات في الله . فان حصل على الجميع فحظه ما للجميع . فهو في النعيم التام . فيلتذ بلذة كل معتقد . فما اعظمها من لذة ! وان حصل على البعض، فلذاته بحسب ما حصل له . وان انفرد بأمر واحد، فحظه ما انفرد به من غير مزيد . فافهم ما ذكرناه ! »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

١٠٩) «الجواب : الحجاب الاقرب . فاذا شاهدوا (الاصل : شاهد) رجعوا (الاصل : ربه) حصل لهم في المشاهدة من الحظ مثلما يحصل لهم من الكلام . إلا ان المحدثين يتميزون في الرؤية عن سائر الخلق : بأن التجلي يتنوع عليهم في المشهد الواحد، وسائر الخلق ليس لهم هذا المقام فانه مخصوص بالمحدثين . »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

ء — ء : الى الله تعالى VF — ، F = ، + وما حظوظ العامة فان للحظوظ بينهم في هذه الزيارة من التفاوت ما لا يطيق له البشر وصفاً وكما ان للجنة درجات فكذلك يوم الزيارة لهم درجات وكم بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وبين حظ غيره من الانبياء عليهم السلام وفي الاخبار موجود VF .

ق — ق : — VF (وهذه الاسئلة ثابتة في الفتوحات ٢ : ٨٥ – ٨٦ وفي الجواب المستقيم انظر نسخة بايزيد رقم ٣٧٥٠ — $٢٤٨^١$) .

(السؤال الثامن والستون) : وما حظوظ الانبيا. من النظر اليـه ء تعالى ء [١٠٨] ؟

(السؤال التاسع والستون) : وما ق حظوظ المحدثين من النظر إليه [١٠٩] ؟

(الاصل : تعطى) الالوهية حقها . وتكون ممن انصف ربه في العلم به . فان الله يتعالى أن يدخل تحت التقييد ، أو تضبطه صورة دون غيرها . ومن هنـا نعرف عموم السعادة لجميع خلق الله ، واتساع الرحمة « التي وسعت كل شيء . »

(فتوحات : ٢ : ٨٤ — ٨٥)

١٠٨) « ان حظ كل طائفة منهم منه ، بحسب معرفته واعتقاده لا غير . وكل من تجلى له في صورة عقده أنكره » . (الجواب المستقيم ، ورقة $\frac{١}{٢٤٨}$ — يلاحظ ان ابن عربي هنا قد اجمل الاجابة على الاسئلة رقم ٦٨ ، ٦٩ ، ٧٠ ، ٧١ — في باب واحد) .

« الجواب : لا أدري ، فاني لست نبي . فذوق الانبياء لا يعلمه سواهم . (هذا) ان اراد الانبيا ء الذين خصهم الله بالتشريع العام والخاص بهم . فـان اراد انبياء الاوليا ، فحظهم منه على قدر ما عندهم من وجوه الاعتقادات في الله . فان حصل على الجميع فحظه ما للجميع . فهو في النعيم العام . فيلتذ بلذة كل معتقد . فما اعظمها من لذة ! وان حصل على البعض ، فلذاته بحسب ما حصل له . وان انفرد بأمر واحد ، فحظه ما انفرد به من غير مزيد . فافهم ما ذكرناه ! »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

١٠٩) « الجواب : الحجاب الاقرب . فاذا شاهدوا (الاصل : شاهد) رجعوا (الاصل : رجع) حصل لهم في المشاهدة من الحظ مثلا يحصل لهم من الكلام . إلا ان المحدثين يتميزون في الرؤية عن سائر الخلق : بأن التجلي يتنوع عليهم في المشهد الواحد ، وسائر الخلق ليس لهم هذا المقام فانه مخصوص بالمحدثين . »

(فتوحات : ٢ : ٨٥)

ء — ء الى الله تعالى V ، F = ، + وما حظوظ العامة فان للحظوظ بينهم في هذه الزيارة من التفاوت ما لا يطيق له البشر وصفاً وكما ان للجنة درجات فكذلك يوم الزيارة لهم درجات وكم بين حظ محمد صلى الله عليه وسلم وبين حظ غيره من الانبياء عليهم السلام وفي الاخبار موجود VF .

ق — ق : — VF (وهذه الاسئلة ثابتة في الفتوحات ٢ : ٨٥ – ٨٦ وفي الجواب المستقيم ، انظر نسخة بايزيد رقم ٣٧٥٠ — $\frac{١}{٢٤٨}$) .

(السؤال السبعون) : وما حظوظ سائر الأولياء من النظر اليه[١١٠] ؟

(السؤال الحادي والسبعون) : وما حظوظ العامة من النظر اليه[١١١] ؟ .

(السؤال الثاني والسبعون) : وقوله ق : « ان الرجل منهم ينصرف بحظه من ربه فيذهل ق اهل الجنان عن نعيمهم ، اشتغالا بالنظر اليه »[١١٢] ؟ .

---

١١٠) « الجواب : الاولياء على مراتب . فتختلف حظوظهم باختلاف مراتبهم . فولي حظه من النظر اليه لذة عقلية . وولي حظه من ذلك لذة نفسية . وولي حظه من ذلك لذة حسية . وولي حظه من ذلك لذة خيالية . وولي حظه من ذلك لذة مكيفة . وولي حظه من ذلك لذة غير مكيفة . وولي حظه من ذلك لذة يتقال تكييفها . وولي حظه من ذلك لذة لا يتقال تكييفها . — فهم درجات عند الله ، كما كانوا في الدنيا . كما قال تعالى : « هم درجات عند الله . والله بصير بما يعملون » .

(فتوحات : ٢ : ٨٥-٨٦)

١١١) « الجواب : حظوظ العامة من النظر اليه على قدر ما فهموه ممن قلدوه من العلماء على طبقاتهم . فمنهم من ألقى اليه عالمه ما عنده . ومنهم من ألقى اليه عالمه على قدر ما علم من عقله وقبوله . — فان الفطر مختلفة متفاضلة بحسب ما ألقى الله عندها . فانها أقسام اصلها المزاج الذي ركبه الله عليه . وهو السبب في اختلاف نظر العلماء بافكارهم في المعقولات . فيكون حظهم في لذة النظر حظهم فيما تخيل لهم . فالعامة حظوظهم خيالية ، لا يقدرون على التجريد عن المواد . ولهذا أكثر الشريعة جاءت على فهم العامة ، وتأتي فيها تلويحات للخاصة : مثل قوله تعالى « ليس كمثله شيء » و « سبحان ربك رب العزة عما يصفون » . (فتوحات : ٢ : ٨٦)

١١٢) « الجواب : ذلك للباسه صورة ما رأى ودخوله فيها من الانوار . كصور السوق التي في الجنة سواء ؛ الا ان الصفات تتفاضل . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٨ ا .)

« ذلك للباس الرائي صورة ما رأى . وسبب ذلك ان المقام عظيم في قلب كل طائفة ، وانه اعظم مما هم فيه من نعيم الاكوان في الجنان . فاذا دعوا الى الزيارة وبقي الازواج الجنانيون ، من الحور والولدان واشجار الجنان وانهارها وجميع ما فيها مما يتنعم به من الطيور والمراكب وغير ذلك ، والكل حيوان فانها الدار الحيوان — فاذا دعي صاحب المنزل ذكرا كان او انثى من الثقلين بقي اهل المنزل مترقبين ما يأتون به اليهم من الخلع

ق فذهل V .

(السؤال الثالث والسبعون) : وما المقام المحمود (١١٣) ؟

الإلهية التي أورثهم النظر اليه . وبأي صورة يرجعون اليهم من ذلك المقام الاعظم اذا كان ذلك مشاهدة الملك . فاذا وردوا عليهم من الزيارة ، اذا قال الجليل للملائكة : ردوهم الى قصورهم . وقد غشيهم من نور الرؤية ما غشيهم (الاصل : غشاهم) مما لا مناسبة بين ذلك وبين الجمال والبهاء الذي كانوا فيه قبل الزيارة ، مع تعظيم المقام ، الذي مشوا اليه ، في قلوب اهل المنزل .

ثم انهم اذا رجعوا اليهم بصفة ما يشاهدونه في الرؤية ، اشرق الجنان بأنوارهم على مقدارهم ، بصورة ما رأوه . فيجدون من الزيارة ما لم يكن عندهم ولا كانوا عليه . فهذا هو السبب في ذهولهم وحظ كل شخص من ربه ، على مقدار علمه وعقده في درجات العقائد واختلافاتها وكثرتها وقلتها ، كما قد تقرر قبل في هذه الفصول . فاعلم ذلك ! والله الهادي . — وفي سوق الجنة علم ما اشرنا اليه . »

(فتوحات : ٢ : ٨٦)

١١٣) « الجواب فتح باب الشفاعة ؛ وهو له خاصة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٨ أ) .

« الجواب : هو الذي يرجع اليه عواقب المقامات كلها ، واليه تنظر جميع الاسماء الالهية المختصة بالمقامات . وهو رسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ويظهر ذلك لعموم الخلق يوم القيامة . وبهذا صحت له السيادة على جميع الخلق يوم العرض .

قال صلى الله عليه وسلم : « انا سيد الناس يوم القيامة » . وكان قد أقيم فيه آدم ، صلى الله عليه وسلم ، لما سجدت له الملائكة . فان ذلك المقام اقتضى له ذلك في الدنيا . وهو لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، في الآخرة . وهو كمال الحضرة المحمدية . وانما يظهر به اولاً ابو البشر ، لكونه كان يتضمن جسده بشرية محمد صلى الله عليه وسلم . وهو الاب الاعظم في الجسمية ، والمقرب عند الله ، واول هذه النشأة الترابية الانسانية . فظهرت فيه المقامات كلها حتى المخالفة ، اذ كان جامعاً للقبضتين : قبضة الوفاق وقبضة الخلاف . فما تحرك من آدم لمخالفة النهي إلا النسمة المجبولة على المخالفة . فكانت مخالفته نهي الله من تحرك تلك النسمة التي كان يحملها في ظهره ، فان المقام يقتضي له ذلك .

وسألت شيخنا ابا العباس عن ذلك . فقال : ما عصى من آدم ، عليه السلام ، إلا ما كان من اولاده المخالفين في ظهره . — وكانت العاقبة لمحمد ، صلى الله عليه وسلم ، في الدار الآخرة . فظهر في المقام المحمود . ومنه يفتح باب الشفاعات . فأول شفاعة يشفعها عند الله تعالى في حق من له اهلية الشفاعة من ملك ورسول ونبيّ ووليّ ومؤمن وحيوان ونبات وجماد . فيشفع رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، عند ربه لهؤلاء ان يشفعوا . فكان

(السؤال الرابع والسبعون) : وبأي شيء ناله[١١٤] ؟

محمودًا بكل لسان وبكل كلام . فله اول الشفاعة ووسطها وآخرها .

يقول الله : « شفعت الملائكة وشفع النبيون وشفع المؤمنون ، وبقي ارحم الراحمين » . فيقتضي سياق الكلام ان يكون « ارحم الراحمين » يشفع ايضاً . فلا بد ممن يشفع عنده ، وما ثمّ الا الله . فاعلم ان الله يشفع من حيث اسماؤه . فيشفع اسمه « ارحم الراحمين » عند اسمه « القهار » و « الشديد العقاب » ، ليرفع عقوبته عن هؤلاء الطوائف ، فيخرج من النار من لم يعمل خيرًا قط .

وقد نبّه الله تعالى على هذا المقام فقال تعالى : « يوم نحشر المتقين الى الرحمن وفدًا » . فالمتقي انما هو جليس الاسم الالهي الذي يقع منه الخوف في قلوب العباد . فسمي جليسه متقياً منه فيحشره الله من هذا الاسم الى الاسم الإلهي الذي يعطيه الامان مما كان خائفاً منه وهو « الرحمن » . فقال : « يوم نحشر المتقين الى الرحمة وفدًا » اي يأمنون مما كانوا يخافون منه . ولهذا يقول في الشفاعة : « وبقى ارحم الراحمين » .

فبهذه النسبة تنسب الشفاعة الى الحق من الحق ، من حيث آثار أسمائه . وهذا هو مأخذ العارفين من الاولياء . فلا يجمع المحامد يوم القيامة كلها إلا محمد ، صلى الله عليه وسلم . فهذا الذي عبّر عنه بالمقام المحمود .

قال ، صلى الله عليه وسلم ، في هذا المقام : « فأحمده بمحامد لا أعلمها الآن » . وهذا يدلك ان علوم الانبياء والاولياء اذواق لا عن فكر ونظر . فإن الموطن يقتضي هنالك بآثار اسماء الاهية يحمد الله بها ما يقتضيه موطن الدنيا . فلهذا قال : « لا اعلمها الآن » .

وهذا المقام هو الوسيلة . لان منه يتوصل الى الله فيما نوجه فيه من فتح باب الشفاعة . وهو شفاعته في الجميع . ألا تراه ، صلى الله عليه وسلم ، يقول في الوسيلة : « إنها درجة في الجنة ، لا ينبغي ان تكون إلا لرجل واحد ، وارجو ان اكون أنا . فمن سأل لي الوسيلة حلت عليه الشفاعة . » فجعل الشفاعة ثواب السائل . ولهذا سمي المقام المحمود الوسيلة . وكان ثوابه في هذا السؤال ان يشفع . – وهذا هو منصب الاهي جامع من عين ملك الملك . – قال تعالى : « ألا الى الله تصير الامور » . وقال : « واليه يرجع الامر كله » . فكان المرجع اليه . فكذلك ترجع المقالات كلها والاسماء الى هذا المقام المحمود . – قال ، صلى الله عليه وسلم : « اوتيت جوامع الكلم » .

(فتوحات : ٣ : ٨٦–٨٧)

١١٤) « الجواب : بتأنيه واستقامة نظره : تخبّر ، فاختار الظهور في اليوم الذي يكون لله فيه الظهور ، الذي لا يمكن معه لاحد دعوى ؛ – وتربيته تخلقاً الاهياً . وعلى هذا المجرى اجرى الله خصايص عباده » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٨ أ) .

(السؤال الخامس والسبعون) : وكم [ك] بين [ك] حظ محمد، صلى الله عليه وسلم، وحظوظ [ل] سائر الانبياء، عليهم السلام [ل] [١١٥] ؟

« الجواب : قال، صلى الله عليه وسلم : لكل نبي دعوة مستجابة . فاستعجل كل نبي دعوته واني اختبأت دعوتي شفاعة لاهل الكبائر من أمتي ». لعله (الصواب : فعله) بمواطن الآخرة أكثر من علم غيره من الانبياء .

فاعلم انه لما كان المقام المحمود اليه ترجع المقامات كلها، وهو الجامع لها – لم يصح ان يكون صاحبه إلا « من أوتي جوامع الكلم » . لان المحامد من صفة الكلام . ولما كان بعثه عاماً كانت شريعته جامعة جميع الشرائع . فشريعته تتضمن جميع الاعمال كلها التي تصح ان تشرع .

واعلم ان جنات الاعمال ما بين الثمانين الى السبعين، لا تزيد ولا تنقص . « والايمان بضع وسبعون باباً، ادني ذلك إماطة الاذى عن الطريق، وارفعه قول لا اله الا الله » . – قال تعالى، في حق العاملين : « نتبوأ من الجنة حيث نشاء . فنعم اجر العاملين » . فلم يحجر هذا لمن عمل بكل عمل . فان الانسان في الدنيا، أي عمل عمله من الاعمال – أعمال الايمان – لا يحجر عليه اذا شاء عمله . فلما ظهر، صلى الله عليه وسلم، بجميع شعب الايمان كلها، التي هي بعدد الجنات العملية، إما بالفعل وإما بالدلالة عليها فانه الذي سنّها لأمته، فله أجر من عمل بها، ولا يخلو واحد من الامة ان يعمل بواحدة منها – فهي في ميزانه صلى الله عليه وسلم، من حيث العمل بها : فيتبوأ من الجنة حيث يشاء . وهذا لا يصلح الا لمحمد صلى الله عليه وسلم . فانه عنه ظهرت السنن الالهية . فبهذا نال المقام المحمود، وبجوامع الكلم، وبالبعثة العامة . فانه بالعناية الأخروية صحت له هذه المقامات في الدنيا، وباتصافه بهذه الاحوال في الدنيا نال تلك المقامات الآخروية . فهذا دور بديع، مختلف الوجوه حتى صح الوجود عنه ». (فتوحات : ٢ : ٨٧) .

١١٥) « الجواب : ما بين السيد والمسود » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٨/١) .

« الجواب : أما بينه وبين الجميع، فحظ واحد وهو عين الجمعية لما تفرق فيهم . وأما بينه وبين كل واحد منهم، فثمانية وسبعون خطاً ومقاماً، الا آدم فإنه ما بينه وبين رسول الله، صلى الله وسلم عليهما، إلا ما بين الظاهر والباطن . فكان في الدنيا محمد، صلى الله عليه وسلم، باطن آدم، عليه السلام ؛ وآدم، عليه السلام، ظاهر محمد، صلى الله عليه وسلم . ومهما كان الظاهر والباطن وهو في الآخرة، آدم، عليه السلام، باطن محمد، صلى الله عليه وسلم ؛ ومحمد، صلى الله عليه وسلم ؛ ظاهر آدم . وبها يكون الظاهر والباطن في الآخرة .

[ك] – [ك] : – ٧ . [ل] – [ل] : – ٧ .

(السؤال السادس والسبعون) : وما لواء الحمد[١١٦] ؟

فهذا بين حظ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبين حظوظ الانبياء ، عليهم السلام ! وأكثر اصحابنا يغنون معرفة التوقيت في ذلك ؛ وهو غلط منهم . وفي هذا الفصل تفصيل عظيم ، تبلغ فصول التفصيل فيه الى مائة الف تفصيل واربعة وعشرين الف تفصيل ، بعدد الأنبياء ، عليهم السلام ! لأنه يحتاج الى تعيين كل نبي ومعرفة ما بين حظ محمد ، صلى الله عليه وسلم ، وبين ذلك النبي .

والحظوظ محصورة ، من حيث الأعمال ، في تسعة وتسعين . وقد يكون للنبي من ذلك أمر واحد ، ولآخر أمران ، ولآخر عشر العدد وتسعه وثمنه وأقل من ذلك وأكثر . والمجموع لا يكون الا لرسول الله ، صلى الله عليه وسلم . ولهذا لم يبعث بعثاً عاماً سوى محمد ، صلى الله عليه وسلم . وما سواه فبعث خاص . — « لكل منكم جعلنا شرعة ومنهاجاً . ولو شاء الله لجعلكم امة واحدة . . » .

(فتوحات : ٢ : ٨٧ – ٨٨) .

١١٦) « الجواب : أن اراد الحكيم بالسؤال عن لواء الحمد ، من باب المراتب ، — فهو حمد الحق . وان اراد به اللواء الذي يكون بيد النبي ، عليه السلام (في الاصل : عليم) يوم القيامة — فهو لواء فيه جميع الالوان كلها ، وجميع ضروب الانوار كلها . ويمتد ظله على كل مؤمن . وتهب عليه ريح ، يقال لها : المنعشة ، تحركه ، فيجيء منه نفس لطيف ، يكشف عن المؤمنين الكرب الذي يجدونه . وبذلك النفس ترجح موازين السعداء من المؤمنين . فتحرك اغصانها تلك الريح . فتنثر عليهم المسك ، ويسمع لها نغمات ، يذوبون تحتها وجداً لله تعالى . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٨ آ — ٣٤٨ ب) .

« الجواب : لواء الحمد هو حمد الحمد ؛ وهو أتم المحامد واسناها وأعلاها رتبة . لما كان اللواء يجتمع اليه الناس ، لانه علامة على رتبة الملك ووجود الملك ، كذلك حمد المحامد تجتمع اليه المحامد كلها . فانه الحمد الصحيح ، الذي لا يدخله احتمال ولا يدخل فيه شك ولا ريب أنه حمد ؛ لانه لذاته يدل (على ذلك) ، فهو لواء نفسه . — ألا ترى لو قلت في شخص : إنه كريم ، او يقول عن نفسه ذلك الشخص : إنه كريم ، يمكن ان يصدق هذا الثناء ويمكن ان لا يصدق . فاذا وجد العطاء من ذلك الشخص بطريق الامتنان والاحسان ، شهد العطاء بذاته بكرم المعطى . فلا يدخل في ذلك احتمال . فهذا معنى حمد الحمد . فهو المعبر عنه بلواء الحمد . وسمّي لواء لانه يلتوي على جميع المحامد ، فلا يخرج عنه حمد : لأن به يقع الحمد من كل حامد ، وهو عاقبة الناقبة . فافهم ! ولما كان يجمع ألوان المحامد كلها ، لهذا عم ظله جميع الحامدين .

(السؤال السابع والسبعون) : وبأيِّ* شيء يثني على ربه، عز وجل ! حتى يستوجب لواء الحمد (١١٢) ؟

قال، صلى الله عليه وسلم : « آدم فمن دونه تحت لوائي » . وإنما قال : « فمن دونه » لان الحمد لا يكون الا بالأسماء، وآدم عالم بجميع الاسماء كلها، فلم يبق إلا ان يكون من هناك تحته ودونه في الرتبة، لانه لا بد أن يكون مثنياً باسم ما، من تلك الاسماء . (الاصل : + لما كانت) والدولة في الآخرة لمحمد، صلى الله عليه وسلم، المؤتى جوامع الكلم، وهو الاصل . فانه، صلى الله عليه وسلم، اعلم بمنامه، فعلمه، « وآدم بين الماء والطين »، لم يكن بعد . فكان آدم لما علمه الله الاسماء في المقام الثاني من مقام محمد، صلى الله عليه وسلم . فكان قد تقدم لمحمد صلى الله عليه وسلم، علمه بجوامع الكلم، والاسماء كلها من الكلم . ولم تكن، في الظاهر، لمحمد، صلى الله عليه وسلم، عين، فتظهر بالاسماء لانه صاحبها . فظهر ذلك في اول موجود من البشر، وهو آدم . فكان هو صاحب اللواء في الملائكة بحكم النيابة عن محمد، صلى الله عليه وسلم . لانه تقدم عليه بوجود الطينة . فمتى ظهر محمد، صلى الله عليه وسلم كان احق بولايته ولوائه . فيأخذ اللواء من آدم يوم القيامة بحكم الاصالة . « فيكون آدم فمن دونه تحت لوائه » . وقد كانت الملائكة تحت ذلك اللواء في زمان آدم . فهم في الآخرة تحته (= محمد، عليه السلام) . فتظهر في هذه المرتبة خلافة رسول الله، صلى الله عليه وسلم، على الجميع . »

(فتوحات : ٢ : ٨٨)

١١٢) « الجواب : بالنيابة عن حمد الحمد، الذي يوافي هو نفسه . وهو الحمد الخاص من جميع الوجوه، الكامل . وقلّ من رأيتُ ينبّه على هذا الحمد، الا اشارة من ابي الحكم بن بَرّجان في كتاب « ايضاح الحكمة » . رأيته قد اشار الى ما ذكرناه . » (الجواب المستقيم، ورقة ٢٦٨ ب) .

« الجواب : بالقرآن، وهو الجامع للمحامد كلها . ولهذا سمّي قرآناً، اي جامعاً . وهو قوله : « الحمد لله رب العالمين، الرحمن الرحيم، ملك يوم الدين » . وما انزلت على احد قبله، ولا ينبغي ان تنزل إلا على من له هذا المقام . فانه سبحانه لا ينبغي ان يحمد إلا بما يشرع ان يحمد به من حيث ما شرعه، لا من حيث ما تطلبه الصفة الحمدية من الكمال . فذلك هو الثناء الالهي . ولو حمد بما تعطيه الصفة، لكان حمداً عرفياً عقلياً . ولا ينبغي مثل هذا الحمد لجلاله . »

(فتوحات : ٢ : ٨٨)

---

* م . ولأي ٧ .

(السؤال الثامن والسبعون) : وماذا يقدّمͭ إلى ربه من العبوديةͮ [١١٨] ؟

(السؤال التاسع والسبعون) : وبأي شيء يختمهͯ حتى يناوله مفاتيح الكرم [١١٩] ؟

١١٨) « الجواب : بحسب الاسم الذي يدعوه منه ، سبحانه ! فيقدم اليه من العبودية الذلة . وان اثنى عليه بالغنى ، قدم اليه من العبودية الفقر . فليس يتقيد بوصف مخصوص ، بل هو على ما ذكرنا . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٨ ب) .

« الجواب : العبودة . وهو انتساب العبد إليه ، ثم بعد ذلك تكون العبودية وهو انتسابه الى المظهر الالهي . فالعبودة يمتثل الامر دون مخالفة . وهو اذا يقول له : « كن فيكون » ، من غير تردد . فانه ما ثمّ إلا العين الثابتة القابلة بذاتها للتكوين . فاذا حصلت مظهرًا وقيل لها : افعل او لا تفعل — فإن خالفت فمن كونها مظهرًا ، وان امتثلت ولم تترقف فمن حيث عينها . — « انما قولنا لشيء اذا اردناه ان نقول له : كن ، فيكون » .

فبهذه العبودية يتقدم الى الله في ذلك اليوم . الا تراه يسجد من غير ان يؤمر بالسجود؟ لكن السجود في ذلك اليوم هو المأمور بالتكوين . ولم يكن له محل الا عين محمد ، صلى الله عليه وسلم . فتكوّن السجود في ذاته لامر الحق له بتكوينه . فسجد به محمد ، صلى الله عليه وسلم ، من غير امر الاهي . ورد عليه بالسجود ، فيقال له : « ارفع رأسك ، سل تعط ، واشفع تشفع ! »

ثم بعد ذلك ، في موطن آخر يؤمر الخلق بالسجود ليتميز المخلص من غير المخلص . فذلك سجود العبودية . — فالعارفون بالله ، في هذه الدار ، يعبدون ربهم من حيث العبودة . فما لهم نسبة إلا إليه ، سبحانه . ومن سواهم فانهم ينسبون الى العبودية . فيقال : قد قاموا بين يديه في مقام العبودية . — فهذا الذي يقدّمه من العبودية الى ربه . وكل محقق بهذه المثابة ، يوم القيامة . »

(فتوحات ٢ : ٨٨)

١١٩) « الجواب : يختمه برد ما قدّم الله اليه : « الى ربك منتهاها » — وهنا اسرار يجب كتمها — وبذلك يستوجب مفاتيح الكرم . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٨ ب) .

« الجواب : يختمه بالعبودية وهو انتسابه الى العبودة ، كما قررنا . وهي الدرجة

ͭ تقدم V .

ͮ العبودة V ، + حتى يثنى عليه رب العزة ويشهد له بقدم الصدق VF .

ͯ يثنى V .

(السؤال الثانون) : وما مفاتيح الكرم[١٢٠] ؟

الثانية . فان هذا المقام ما هو سوى درجتين : درجة العبودة ، وهي العظمى ، المقدمة ودرجة العبودية ، وهي الختام . لانه ما امر بما يقتضيه امر العبودة الا بعد وجوده . فأمر ونهي بوساطة هذا التركيب . فأطاع وعصى وأناب وآمن وكفر ووحّد وأشرك وصدّق وكذّب . ولما وفى حق الدرجة الثانية بما تستحقه العبودية من امتثال أوامر سيده ونواهيه — ناوله مفاتح الكرم برد ما قدّم اليه . »

(فتوحات : ٢ : ٨٩)

١٢٠) « الجواب : سؤالات السائلين بحكم الافتقار . وهي دون مفاتيح الجود ؛ ودونها مفاتيح السخاء ؛ ودون ذلك مفاتيح الايثار . وما ثم مفاتيح للعطاء اكثر من هذه الاربعة ، لا غير . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٨ ب — ٣٤٩ أ) .

« الجواب : سؤالات السائلين منا ومنه وبنا وبه . فأما « منا » و « بنا » ، فسؤال ذاتي لا يمكن الانفكاك عنه . وصورة مفتاح الكرم في مثل هذا وقوفك على علمه بأنه بهذه المثابة ، وغيرك ، ممن هو مثلك ، يجهله ولا يعرفه . فتكرّم عليك ، بأن عرّفك كيف انت وما تستحقه ذاتك ان توفي به بما لا يمكن انفكاكها عنه .

وأما « منه » و « به » ، فان سؤال السائل بما هو عارض له ؛ أي عرض له ذلك بعد تكوينه . وذلك انه لما كان مظهرًا للحق ، وكان الحق منه هو الظاهر — فسأل من جعله مظهرًا بلسان الظاهر فيه . فهذا سؤال عارض ، عرض له بعد ان لم يكن . فعبّر عن مثل هذا السؤال بمفتاح الكرم . أي من كرم الله تعالى ان سأل نفسه بنفسه وأضاف ذلك الى عبده . فهو بمنزلة ما هو الامر عليه بأنه يخلق في عباده طاعته ويثني عليهم بأنهم أطاعوا الله ورسوله . وما بأيديهم من الطاعة شيء غير انهم محل لها .

سأل ابليس الاجتماع بمحمد ، صلى الله عليه وسلم . فقال له : يا محمد ، ان الله خلقك للهداية ، وما بيدك من الهداية شيء . وخلقني للغواية وما بيدي من الغواية شيء . فصدقه ، فصدّقه . — قال تعالى : « إنك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء » . وقال : « فألهمها فجورها وتقواها » . وقال : « كل من عند الله » . وقال : « وما من دابة إلا وهو آخذ بناصيتها » . ثم اثنى ، مع هذا ، عليهم فقال : « التائبون العابدون الحامدون السائحون الراكعون الساجدون الآمرون بالمعروف والناهون عن المنكر » . — يا ليت شعري ! ومن خلق التوبة فيهم والعبادة والحمد والسياحة والركوع والسجود والامر بالمعروف والنهي عن المنكر والحفظ لحدود الله ، إلا الله ؟ فمن كرمه أنه أثنى عليهم بخلق هذه

٦ و ٧ .

(السؤال الحادي والثمانون) : وعلى مَنْ توزع عطايا ربنا[121] ؟

الصفات والافعال فيهم ومنهم ثم أثنى عليهم بان اضاف ذلك كله اليهم ، إذ كانوا محلا لهذه الصفات المحمودة شرعاً . أليس هذا كله مفاتيح الكرم ؟ فانه يفتح بها من العطايا الإلهية « ما لا عين رأت ولا اذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » .

قال تعالى : « تتجافى جنوبهم عن المضاجع » . يا ليت شعري ! ومن أقامهم من المضاجع ، حين نوّم غيرهم إلا هو ؟ « يدعون ربهم خوفاً وطمعاً » يا ليت شعري ! ومن انطق ألسنتهم بالدعاء ؟ ومن خوّفهم وطمّعهم إلا هو ؟ أترى ذلك مَن نفوسهم ؟ لا ، والله ! إلا من مفاتيح كرمه ، فتح بها عليهم . - « ومما رزقناهم ينفقون » . فبما رزقهم التجافي عن المضاجع وعن دار الغرور . ومما رزقهم الدعاء والابتهال . ومما رزقهم الخوف منه والطمع فيه . فانفقوا ذلك كله عليه . فقبله منهم . « فلا تعلم نفس » عامة « ما اخفي لهم » اي لهؤلاء الذين هم بهذه المثابة « من قرة أعين جزاء بما كانوا يعملون » .

فكانت هذه الاعمال من مفاتيح الكرم لمشاهدة « ما اخفي لهم » فيهم وفي هذه الاعمال « من قرة أعين » . فكلما هو في خزائن الكرم فان مفاتيحه تتضمنه ، فهو فيها مجمل وهو في الخزائن مفصل . فاذا فتح بالاعمال تميزت الرتب وعرفت النسب وجاءت كل حقيقة تطلب حقها ، وكل علم يطلب معلومه . »

(فتوحات : ٢ : ٨٩)

١٢١) « الجواب : على الصالحين والموالي والراسخين في العلم والمتوكلين . وعلى من حسنت سيرته (في الاصل : حسن السيرة) من الولاة ، فيمن ولي عليهم خاصة . على هؤلاء توزع . وتوزع (في الاصل : يوزع) على جميع الناس ، من مراتب أخر . وهذه عطايا مخصوصة تقتضيها (الاصل : يقتضيها) احوال مخصوصة » . الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ أ) .

- « الجواب : على من (هو) حسن السيرة من الولاة . وكل شخص وال بالولاية العامة ، وهي تولية القلب على القوى المعنوية والحسية في نفسه . والولاية كل من له ولاية خارجة عن نفسه من اهل وولد ومماليك وملك . فتوزع العطايا على قدر الولاية وقدر ما عاملهم به من حسن السيرة فيهم .

فان كان الوالي من العلماء بالله ، الذين يكون الحق سمعهم وبصرهم ، فليس له حظ في هذه العطايا . فانها عطايا غني لفقراء . وانما يعطي من هذه صفته عطاء غنيّ لغنيّ ، ظاهر في مظهر فقير لما أعطى عن فقر ذاتي . فأخذ هذا المعطى له من الاسم « الله » لا من من الاسم « الرب » . فما اعظم الغفلة على قلوب العباد ! هيهات ! متى يبلغ (الاصل : لتبلغ) البشر

(السؤال الثاني والثمانون) : وكم اجزاء النبوة (١٢٢) ؟

درجة من « لا يوصف بالغفلة » ، وهم الملأ الاعلى ، « الذين يسبحون الليل والنهار لا يفترون » في غير ليل ولا نهار « يسبحون له بالليل والنهار » وهم لا يسأمون . – وكفى بالبشرية نقصا !

واعلم أن العطايا تختلف باختلاف المستحقين . فمنهم من يكون عطاؤه هو ، ومنهم من يكون عطاؤه معرفته بنفسه ، ومنهم من يكون عطاؤه ما هو منه . فان كان المستحق يقول بالاستحقاق الذاتي ، فلا يلزمه الا شكر ايجاد العين ، حيث كان مظهرًا له ، جل وتعالى ! وان كان يقول بالاستحقاق العرضي ، وهو يرى انه ، تعالى ، جعل له استحقاقا – فهذا يتضاعف عليه الشكر ، فانه دون الاول في المرتبة . وان كان المستحق يرى الاستحقاق للظاهر في مظهر ما ، من حيث ما هو ظاهر لذلك المظهر ، ولا يرى ان عينه تستحق شيئا – فهذا لا يجب عليه شكر ، إلا ان أوجبه على نفسه : كايجاب الحق على نفسه في مثل قوله : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » .

فتتوزع العطايا على مقادير من توزع عليهم : في العلم والعمل والحال والزمان والمكان والقصد وملازمة العمل ومغبته . – « قد علم كل الناس مشربهم » . – قال فرعون لموسى وهرون : « فمن ربكما ، يا موسى ؟ قال : ربنا الذي أعطى كل شيء خلقه » وهو الذي يستحقه . فالرب هو القاسم العطايا . »

(فتوحات : ٢ : ٨٩–٩٠)

١٢٢) « الجواب : مائة جزء وسبعة عشر جزءا (في الاصل : جزء ا) . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٩ ب) .

« الجواب : اجزاء النبوة على قدر آي الكتب المنزلة والصحف والاخبار الالهية ، من العدد الموضوع في العالم من آدم الى آخر نبي يموت ، مما وصل الينا ومما لم يصل ، على ان القرآن يجمع ذلك كله . فان النبي ، صلى الله عليه وسلم ، يقول ، فيمن حفظ القرآن : « ان النبوة ادرجت بين جنبيه » . فهي وان كانت مجموعة في القرآن ، فهي مفصلة معينة في آي الكتب المنزلة ، مقدرة في الصحف ، متميزة في الاخبار الالهية ، الخارجة عن قبيل الصحف والكتب .

ويجمع النبوة كلها « ام الكتاب » . ومفتاحها « بسم الله الرحمن الرحيم » . فالنبوة سارية الى يوم القيامة في الخلق . وان كان التشريع قد انقطع ، فالتشريع جزء من اجزاء النبوة . فانه يستحيل ان ينقطع خبر الله واخباره من العالم ، اذ لو انقطع لم يبق للعالم غذاء يتغذى به في بقاء وجوده . – « قل : لو كان البحر مدادًا لكلمات ربي لنفد البحر قبل

(السؤال الثالث والثمانون) : وما[٣١] النبوة[٢١] (١٢٢) ؟

ان تنفد كلمات ربي ، ولو جئنا بمثله مددًا » . — « ولو ان ما في الارض من شجرة اقلام والبحر يمده من بعده سبعة ابحر ما نفدت كلمات الله » . — وقد أخبر الله انه ما من شيء يريد ايجاده الا يقول له : « كن » . — فهذه كلمات الله لا تنقطع ؛ وهي الغذاء العام لجميع الموجودات . فهذا جزء واحد من اجزاء النبوة لا ينفد ، فأين أنت من باقي الأجزاء التي لها ؟ » . (فتوحات : ٢ : ٩٠)

١٢٣) « الجواب : الحال الذي يتحقق به النبي ، عند حصوله في الثاني عشر من المقامات . » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ أ) .

« الجواب : النبوة منزلة بينها « رفيع الدرجات ذو العرش » . فيترلها العبد باخلاق صالحة واعمال مشكورة حسنة في العامة ؛ تعرفها القلوب ولا تنكرها النفوس ؛ وتدل عليها العقول ؛ وتوافق الاغراض وتزيل الامراض . فاذا وصلوا إلى هذه المترلة ، فتلك منزلة الإنباء الالهي المطلق لكل من حصل في تلك المترلة من « رفيع الدرجات ذي العرش » .

فإن نظر الحق من هذا الواصل الى تلك المترلة نظر استنابة وخلافة ألقى الروح بالانباء من أمره على قلب ذلك الخليفة المتى به : فتلك نبوة التشريع . قال تعالى : « وكذلك اوحينا اليك روحًا من امرنا » . وقال : « ينزل الملائكة بالروح من أمره على من يشاء من عباده » — فهي عامة ، لان « من » نكرة — «أن انذروا انه لا اله الا انا فاتقون » . — نبوة خاصة ، نبوة تشريع : «يلقي الروح من امره على من يشاء من عباده » . مثل ذلك : « لينذر يوم التلاقي يوم هم (الاصل : يومهم) بارزون » . — نبوة تشريع لا نبوة عموم . — « نزل به الروح الامين على قلبك لتكون من المنذرين » . فالإنذار مقرون ابدًا بنبوة التشريع . ولهذه النبوة (الاصل : + هي) تلك الاجزاء التي سأل عنها (في السؤال السابق) والتي وردت في الاخبار .

واما النبوة العامة، فأجزاؤها لا تنحصر ولا يضبطها عدد ، فانها غير موقتة لها الاستمرار دائمًا ، دنيا وآخرة . وهذه مسألة أغفلها أهل طريقنا ؛ فلا أدري عن قصد منهم كان ذلك ، أو لم يوقفهم الله عليها ، أو ذكروها وما وصل ذلك الذكر إلينا ؟ والله اعلم بما هو الامر عليه !

ولقد حدثني ابو البدر التماشكي البغدادي ، رحمه الله ، عن الشيخ بشير ، من سادتنا بباب الازج ، عن امام العصر ، عبد القادر انه قال : « معاشر الانبياء ، أوتيتم اللقب وأوتينا ما لم تؤتوا » . فأما قوله : « أوتيتم اللقب » اي حجر علينا اطلاق لفظة النبي ، وان كانت النبوة

(السؤال الرابع والثمانون) : وكم اجزاء الصديقية[١٣٤] ؟

العامة سارية في أكابر الرجال . وأما قوله : « وأوتينا ما لم تؤتوا » (ف) هو معنى قول الخضر ، الذي شهد الله تعالى بعدالته وتقدمه في العلم، وأتعب الكليم المصطفى المقرب ، موسى عليه السلام ، في طلبه، مع العلم بان العلماء يرون ان موسى افضل من الخضر – فقال له : « يا موسى انا على علم علمنيه الله لا تعلمه انت . » فهذا عين معنى قوله : « أوتينا ما لم تؤتوا » . وان اراد ، رضي الله عنه ، بالانبياء هنا انبياء الاولياء ، اهل النبوة العامة ، فيكون قد صرح بهذا القول ان الله قد اعطاه ما لم يعطهم : فان الله قد جعلهم فاضلا ومفضولا . فمثل هذا لا ينكر . »

(فتوحات : ٢ : ٩٠–٩١)

١٣٤) الجواب : « بضع وسبعون جزءا من النور الاخضر » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : بضع وسبعون جزء ، على عدد شعب الايمان الذي يجب على الصديق التصديق بها . وليست الصديقية الا للاتباع . والانبياء ، أصحاب الشرائع ، صديقون ؛ بخلاف انبياء الاولياء ، الذين كانوا في الفترات : وانما كان الانبياء ، اصحاب الشرائع ، صديقين – لان اهل هذا المقام لا يأخذون التشريع الا عن الروح الذي يتنزل بها على قلوبهم . وهو تنزيل خبري ، لا تنزيل علمي . فلا يتلقونه إلا بصفة الايمان ، ولا يكشفونه إلا بنوره . فهم صديقون للارواح ، التي تتنزل عليهم بذلك .

وكذلك كل من يتلقى عن الله ما يتلقاه ، من كون الحق في ذلك الإلقاء مخبرا ، فانما يتلقاه من جانب الايمان ونوره لا من التجلي . فان التجلي ما يعطي الايمان بما يعطيه . وانما يعطي ذلك بنور العقل ، لا من حيث هو مؤمن .

فأجزاء الصديقية ، على ما ذكرناه ، لا تنحصر فانه ما يعلم ما يعطي الله في اخباراته لمن اخبرهم . فأجزاء الصديقية المحصورة هو ما وردت به الاخبار الالهية بأن اعتقاد ذلك الخبر قربة الى الله على التعيين . وهي متعلقة بالاسم الصادق ، لا بد من ذلك . فيتصور هنا من اصول طريق الله ، وانه ما ثم الا صادق ، فانه ما ثم مخبر إلا الله . فينبغي ان لايكذب بشيء من الاخبار .

قلنا : الصديق من لا يكذب بشيء من الاخبار ، إذا تلقى ذلك من الصادق . ولكن الصديق ، ان كان من العلم بالله بحيث انه يعلم انه ما ثم مخبر إلا الله – فيلزمه التصديق بكل خبر ، على حسب ما اخبر به المخبر . فاذا اخبر الصادق الحق بان قوما كذبوا في أمر أخبروا به – صدق الله في خبره انهم كذبوا في كل ما اخبر به انهم كذبوا فيه . وان

(السؤال الخامس والثمانون) : وما الصدّيقية(١٢٥) ؟

الكذب هي صفة بالنسبة اليهم لا بالنسبة الى المخبر . فان الخبر اذا نسبته الى الصادق كان صدقاً ، واذا نسبته الى الكاذب فيه كان كذباً ، واذا نسبته الى الكاذب لا فيه كان محتملاً . والذي يرى ان المخبر هو الله الصادق ؛ فان ذلك الخبر ، في ذلك الحال ، هو صدق والمؤمن به صدّيق . ثم أخبر الصادق الحق ان ذلك الخبر ، الذي نسبته اليّ بانه صدق انسبه الى الذي ظهر على لسانه نسبة كذب . فاعتقد انه كذب . فيعتقد فيه انه بالنسبة الى ذلك الشخص ، لكونه محلّا لظهور عين هذا الخبر ، كذب لان مدلوله العدم لا الوجود . فالصدق امر وجودي والكذب امر عدمي .

وصورة الصدق في الكذب ، ان المخبر الكاذب ما اخبر إلا بأمر وجودي ، صحيح العين في تخيله . اذ لو لم يتخيّله ، لحصول المنى عنده ، لما صح إن يخبر عنه بما أخبر . فهو صادق في خبره ذلك ؛ والمؤمن به صدّيق . ثم اخبر الحق عن ذلك الخبر أنه بالنسبة الى الحس كذب ؛ وما تعرض الى الخيال . كما لم يتعرض المخبر في خبره ذلك الى الحس . وانما السامع ليس له في اول سماعه الاخبار إلا أول رتبة ، وهي الحس . ثم بعد ذلك يرتقي في درجات القوي . فاعتقد بعد هذا ، باخبار الحق عنه ان ذلك كذب في الحس ، انه كذب في الحس . اي ليس في الحس منه صورة من حيث الحكم الظاهر . فهو صدّيق للخبر الحق . فما للوجود كذب ولا في العدم صدق . فان الصدق اصله الصادق ، وهو الوجود المحض الذي لا نسبة للعدم اليه . والكذب هو العدم المحض ، الذي لا نسبة للوجود اليه . واما الكذب النسبي ، بالنظر الى الخيال يكون صادقاً وبالنظر الى الظاهر ، على شرط مخصوص ، يكون كذباً . فالصديق يتعلق به من حيث نسبته الى ما هو موجود به . والعامّة تتعلق به من حيث إنه لا وجود له في المرتبة ، التي يطلبها فيه من يكذبه . فاعلم ذلك !

فان شئت قلت ، بعد هذا : ان للصديقية اجزاء منحصرة ؛ وان شئت قلت : لا تدخل تحت الحصر أجزاؤها . وان اردت بأجزاء الصديقية الصفة التي بها تحصل الصديقية للصدّيق — فهذا سؤال آخر يمكن ان يسأل عنه . فالجواب عن مثل هذا الوجه : ان من اجزائها : سلامة العقل ، والفكر الصحيح ، والخيال الصحيح ، والايمان بصدق المخبر وإن أحاله العقل ، الذي ليس بسليم عند اهل هذه الصفة . والقول باستحالات الامكان في الاعيان الممكنات بالنظر الى ما تقتضيه ذات الواجب الوجود لذاته أو الى سبق العلم منه عند من يقول بذلك . فاذا كان بهذه المثابة ، حصلت له الصدّيقية . ويكون هذا المجموع اجزاءها . لانها ليست بزائدة على عين المجموع . — وهذا هو النور الاخضر . »

(فتوحات : ٢ : ٩١)

١٢٥) « الجواب : مشاهدة علم المخبر ، من خلف حجاب الغيب ، بنور الكرم : يعني

قلب المؤمن » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ أ) .

« الجواب : نور أخضر بين نورين ، يحصل بذلك النور شهود عين ما جاء به المخبر من خلف حجاب الغيب بنور الكرم .

وذلك ان اسم « المؤمن » الذي تسمى الله لنا به في كتابه ، من حيث هو نور ، أعني الكتاب - فقال ، عز من قائل : « هو الله الذي لا اله الا هو الملك القدوس السلام المؤمن » . إلا ان المؤمن هنا له وجهان : معطي الامان ، ومصدق الصادقين من عباده عند من لم يثبت صدقهم عنده . ولهذا قال تعالى ، حكاية عما يقوله الصادق يوم القيامة لربه : « قال : رب ! احكم بالحق » ليثبت صدقي عند من أرسلتني اليهم فيما أرسلتني به . فجاء بلفظ يدل على انه وقع . وهو عند العامة ما وقع ، فانه يوم القيامة . وما اخبر الله إلا بالواقع .

فلا بد ان يكون ثم حضرة إلاهيـة ، فيها وقوع الاشياء دائما ، لا تتقيد بالماضي - فيقال : قد وقعت - ، ولا بالمستقبل - فيقال : تقع - ، ولكن متعلقها الحال الدائم . وبين القلوب وبين هذه الحضرة حجاب التقييد . فاذا كوشف العبد على خلوصه من التقييد ، وظهر بصورة حق في حضرة مطلقة (الاصل : مطلقه) - شهد ما يقال فيه يقع واقعا ، وشهد ما يقال فيه واقعا ؛ وشهد ما يقال فيه واقعا لم (الاصل : فلم) يزل واقعا ولا يزال واقعا . فمنه تقع الحكايات الالهية بانه يقع ، مثل قوله تعالى : « يوم تأتي كل نفس » فعلق بالمستقبل ؛ وقوله عز وجل : « أتى امر الله » فأتى بالحاضر . وكلا التقييدين يدل على العدم .

والحال له الوجود والعدم . لا يقع فيه شهود ولا تمييز . فلا بد أن يكون المخبر عنه بأنه كان كذا ، أو يكون كذا ، له حالة وجودية في حضرة إلاهية ، عنها تقع الاخبارات . والواقف فيها يسمى صديقا ؛ وهي بنفسها الصديقية . ولها اطلاع من خلف حجاب هذا الهيكل المظلم في حق شخص ، والهيكل المنور في حق شخص . فان وجدت عينا مفتوحة سليمة من الصدع ، أبصرت هذه العين ، بهذا النور من هذه الحضرة ، صدق المخبرين ، كانوا من كانوا . فيسمون صديقين بذلك . وتسمى هذه الحالة صديقية .

وللملأ الأعلى منها شرب ، وللرسل فيها شرب ، وللأنبياء فيها شرب ، وللأولياء فيها شرب ، وللمؤمنين فيها شرب ؛ ولغير المؤمنين ، من جميع اهل النحل والملل ، شرب . فيسعد بها قوم ، ويشقى بها قوم لشروط تتعلق بها ولوازم . بها يقال : مؤمن وكافر ومشرك وموحد ومعطل ومثبت ومقر وجاحد وصادق وكاذب .

فقد عمت الصديقية جميع الهياكل : المنورة والمظلمة والنورية والنارية والطبيعية والمنصرية (الاصل : المنصرية) . ولا يشعر بها إلا الأكابر من الرجال ؛ وهم العارفون بسريانها في الموجودات . فاذا نظرت أرباب هذه الهياكل أنفسها مجردة عن هياكلها - خرجت عن حضرة الصديقية وكانت من اهل المباينة . فصارت ترى من بعد ما كانت كأنها ترى .

(السؤال السادس والثلاثون) : وعلى كم سهم ثبتت العبودية؟ ب٢ (١٣٦) ؟

فالحق سبحانه ، من كونه مؤمناً ، له حضرة الصديقية . فيها يصدق الحق عباده المؤمنين بقوله : « وقضى ربك ألّا تعبدوا إلا إياه » . فصدّقهم في كونهم ما عبدوا سواه في الهياكل المسماة « شركاء » . قال تعالى : « قل : سمّوهم » . وقال : « ان هي إلا أسماء سميتموها ! » . - وبهذا يصدق العباد في الاخبار كلها من غير توقف . فلها حكم في الطرفين . فان في هذا الذي قلناه « آية لقوم يعقلون » . ما فيه « آية لقوم يتفكرون » ولا « لقوم يعلمون » . إلا بـ « يعلمون » « يعقلون » .

فالصديقية مستندها من الاسماء الالهية (الاسم) « المؤمن » . وكذلك أثرها في المخلوقات الايمان . وكذلك اسماؤهم المؤمنون الصديقون . لهم النور لصدقهم . اذ لولا النور لما عاينوا صدق المخبر وصدق الخبر من خلف حجاب هذا الهيكل . - « فطوبى لهم » ثم « طوبى وحسن مآب ! » .

(فتوحات : ٢ : ٩٢)

١٣٦) « الجواب : على أربعة أسهم » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : على تسعة وتسعين سهماً ، على عدد الاسماء الالهية « التي من أحصاها دخل الجنة » . لكل اسم الاهي عبودية تخصه ، بها يتعبد له من يتعبد من المخلوقين . ولهذا لا يعلم هذه الاسماء الالهية إلّا وليّ ، ثابت الولاية . فان رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، ما ثبت عندنا أنه عينها . وقد يحصيها بعض الناس ولا يعلم انها هي التي ورد فيها النص . كما يكون وليّاً ولا يعلم انه وليّ . ومن رجال الله من عرّفهم الله بها من أجل ما يطلبه كل اسم منها من عبودية هذا العبد . فيعين له هذا الوليّ العارف من العبودية بحسب الاسم ، الذي له الحكم عليه في وقته .

« فمن أحصى هذه الاسماء » الالهية ، دخل الجنة المعنوية والحسّيّة . فأمّا المعنوية فما تطلبه (الاصل: فماذا تطلبه) هذه الاسماء من العلم بالعبودية ، التي تليق بها . وأما الحسّيّة فما تطلبه (الأصل: فماذا تطلبه) هذه الأسماء من الاعمال التي تطلبه من العباد . فلا بد من تمييزها ، وكيف يعرف اسم العبودية من لا يعلم من الله ما يطلبه منه ؟ فبهذا النظر يكون للعبودية سهام ويكون عددها ما ذكرناه .

والعاملون بهذه العبودية رجلان . رجل يعمل بها من حيث شرعه ؛ ومن عمل بها من حيث شرعه فقد عمل بها من حيث عقله . ورجل عمل بها من حيث عقله ؛ ومن عمل بها من

ب٢ العبودة ٧ .

حيث عقله قد لا يعمل بها من حيث شرعه. فالعامل بها من حيث عقله ينسبها الى هياكل منوّرة او عقول مجردة عن المواد، لا بد من ذلك. والعامل بها من حيث شرعه، ينسبها الى الله سبحانه، وينسبها، من حيث آثارها وما تنظر اليه لوضح الوسائط بينك وبينها، الى الهياكل النورية والعقول المجردة عن المواد. وأما العامة فلا يعرفونها إلا لله خاصة او للاسباب القريبة المعتادة المحسوسة خاصة؛ لا يعلمون غير هذا.

وما رأيت ولا سمعت عن أحد من المقربين انه وقف مع ربه على قدم العبودية المحضة. فالملأ الأعلى يقول: «أتجعل فيها من يفسد فيها». والمصطفون من البشر يقولون: «ربنا، اننا ظلمنا انفسنا». ويقولون: «رب! لا تذر على الأرض من الكافرين ديّاراً». ويقولون: «ان تهلك هذه العصابة لن تعبد في الأرض من بعد اليوم». وهذا كله لغلبة الغيرة عليهم والاستعجال (الأصل: واستعجال)، لكون الانسان «خلق عجولا». فهي حركة طبيعية أظهرت حكمها في الوقت، فتحجب عن صاحبها من العبودة بقدر استصحاب مثل هذا الحكم لصاحبها.

وكل ما كان يقدح في مقام ما ويرمي به ذلك المقام، فان صاحب ذلك المقام لم يتصف في تلك الحال بالكمال الذي يستحقه، وان كان من الكمّل. فنور العبودية على السواء من نور الربوبية، فانه من أثره. وعلى قدر ما يقدح في العبودية يقدح في الربوبية؛ وان كان مثل هذا القدح لا يقدح ولا يؤثر في السعادة الطبيعية، ولكن يؤثر في السعادة العلمية. وأعم الدرجات في ذلك درجتان: درجة العجلة التي خلق الانسان عليها ودرجة الغفلة التي جبل الانسان عليها.

ولولا ان الملأ الأعلى له جزء في الطبيعة ومدخل، من حيث هيكله النوري، ما وصفهم الحق بالخصام في قوله: «ما كان لي من علم بالملأ الأعلى اذ يختصمون». ولا يختصم الملأ الأعلى إلا من حيث المظهر الطبيعي، الذي يظهر فيه كظهور جبريل في صورة «دحية». وكذلك ظهورهم في الهياكل النورية المادية، وهي هذه الانوار التي تدركها الحواس، فانها لا تدركها إلا في مواد طبيعية عنصرية. وأما اذا تجردت عن هذه الهياكل، فلا خصام ولا نزاع اذ لا تركيب. ومهما قلت: اثنان، كان وقوع الخصام: «لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا».

فالوحدة من جميع الوجوه هو الكمال الذي لا يقبل النقص ولا الزيادة. فانظر من حيث هي لا من حيث الموحد بها. فان كانت عين الموحد بها فهي نفسها، وان لم تكن عين الموحد بها فهو تركيب. فما هو مقصودنا ولا مطلب الرجال؛ ولهذا اختلفت احكام الاسماء الالهية من حيث هي اسماء: فأين المنتقم والشديد العقاب والقاهر، من الرحيم والغافر واللطيف؟ فالمنتقم يطلب وقوع الانتقام من المنتقم منه؛ والرحيم يطلب رفع الانتقام عنه.

(السؤال السابع والثمانون) : وما يقتضي[ت٢] الحق من الموحدين[١٢٧] ?

وكل ينظر في الشيء بحسب حكم حقيقته ؛ فلا بد من المنازعة لظهور السلطان .

فمن نظر الى الأسماء الالهية قال بالنزاع الالهي . ولهذا قال تعالى لنبيه : « وجادلهم بالتي هي احسن » . فأمره بالجدال الذي تطلبه الاسماء الالهية ، وهو قوله : « التي هي احسن » . – كما ورد في الاحسان : « ان تعبد الله كأنك تراه » – فاذا جادل بالاحسان ، جادل كأنه يرى ربه ، ولا يرى ربه مجادلاً إلا من حيث ما تطلبه الاسماء الالهية من التضاد . فاعلم ذلك !

وما منعني من تحصيل هذا المقام إلا الغفلة لا غير . فليس بيني وبينه حجاب إلا الغفلة . وهو حجاب لا يرفع . واما حجاب العجلة ، فأرجو ، بحمد الله ، أنه قد ارتفع عني . واما حجاب الغفلة ، فمن المحال رفعه دائماً مع وجود التركيب حيث كان : في المعاني أو في الاجسام . ولو ارتفع هذا الحجاب لبطل سر الربوبية في حق هذا الشخص . وهو الذي اشار اليه سهل بن عبدالله ، أو من كان بقوله : «ان للربوبية سراً لو ظهر لبطلت الربوبية» . لكنه ممكن الحصول بالنظر الى نفسه . ولكن لا ادري هل تقتضي الذات تحصيله وظهوره في الوجود أم لا ؟ غير أنه أعلم أنه ما وقع . ومع هذا فلا أقطع بأني من تحصيله مع علمي باستحالة ذلك ! وينبغي للناصح نفسه ان يقارب هذا المقام جهد الاستطاعة .

وأما القائلون بالتشبه بالحضرة الالهية جهد الطاقة ، وهو التخلق بالاسماء ، انه عين المطلوب والكمال – فهو صحيح في باب السلوك لا في عين الحصول . وأما في عين الحصول فلا تشبه ، بل هو عين الحق . والشيء لا يشبه نفسه . فأعلى المظاهر مظاهر الجمع : وهو عين التفريق ! »

(فتوحات : ٢ : ٩٢–٩٣)

١٢٧) « الجواب : ان لا مزاحمة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٩ / ١) .

« الجواب : ان لا مزاحمة . وذلك ان الله لما تسمى بالظاهر والباطن ، نفى المزاحمة . اذ الظاهر لا يزاحم الباطن ، والباطن لا يزاحم الظاهر . وانما المزاحمة ان يكون ظاهران أو باطنان . فهو الظاهر من حيث المظاهر ؛ وهو الباطن من حيث الهوية . فالمظاهر متعددة من حيث أعيانها لا من حيث الظاهر فيها . فالأحدية من ظهورها ، والعدد من أعيانها .

فيقتضي الحق من الموحدين ، الذين وصفوا بصفة التوحيد ، ان يوحدوه من حيث هويته ؛ وان تعددت المظاهر فما تعدد الظاهر . فلا يرون شيئاً إلا كان هو المرئي والرائي . ولا يطلبون شيئاً إلا كان هو الطالب والطاب والمطلوب . ولا يسمون شيئاً إلا كان هو السامع

ت٢ يقص ٧ .

والسمع والمسموع . فلا تزاحم ، فلا منازعة .

فان النزاع لا يحله الا التضاد ، وهو المماثل والمنافر . و(المنافر) هو عين المماثل هنا ، اذ قد يكون الضدان ما ليس بمثلين . بخلاف المخالف ، فان حكم المخالف لا يقع منه مزاحمة ولا منازعة . ولهذا نفى الحق أن تضرب له الامثال ؛ لانها اضداد تنافي حقيقة ما ينبغي له . ولا ينافيه ما سمّي به حيث نفى التشبيه ، فقال (تعالى) : « ليس كمثله شيء وهو السميع البصير » . خلق الله التفاحة تحمل اللون والطعم والرائحة ، ولا مزاحمة في الجوهر ، الذي لا ينقسم . ويستحيل وجود لونين او طعمين او ريحين في ذلك الجزء الذي لا ينقسم .

فلا يصح الاهان لانهما مثلان . ويصح وجود جميع الاسماء للعين الواحدة ، لانها خلاف . والخلاف قابل للاجتماع ، بخلاف المماثل . فاذا استحال الاجتماع فلحكم الضدية لا لحكم الخلاف ، اذ الاجتماع لا يناقض الخلاف . فكل اجتماع يطلب الخلاف ، وما كل خلاف يطلب الاجتماع .

وانما يقتضي الحق من الموحّدين عدم المزاحمة ، ليبقى الرب ربّاً والعبد عبداً . فلا يزاحم الرب العبد في عبوديته ولا يزاحم العبد الرب في ربوبيته ، مع وجود عين الرب والعبد . فالموحّد لا يتخلق بالاسماء الالهية .

فان قلت : فيلزم ان لا يقبل ما جاء من الحق من اتصافه بأوصاف المحدثات : من « ميّة وترول واستواء وضحك » فهذه أوصاف العباد ، وقد قلتَ : ان لا مزاحمة : فهذه ربوبية زاحمت عبودية — قلنا : ليس الأمر كما زعمتَ . ليس ما ذكرت من اوصاف العبودية وانما ذلك من أوصاف الربوبية ، من حيث ظهورها في المظاهر لا من حيث هويتها . فالعبد عبد على أصله ، والربوبية ربوبية على اصلها ، والهوية هوية على أصلها . »

فان قلت : فالربوبية ما هي عين الهوية — قلنا : الربوبية نسبة هوية الى عين . والهوية لنفسها لا تقتضي نسبة . وانما ثبوت الاعيان طلبت النسب من هذه الهوية . فهو المعبّر عنها بالربوبية .

فاقتضى الحق من الموحّدين ان يوحّدوا كل أمر ، لترتفع المزاحمة فيزول النزاع فيصح الدوام للعالم . فيتبيّن عند ذلك ما معنى الأزل بمعقولية الابد ، وهو قولك : لا يزال . فلولا النقطة المفروضة في الخط ، التي تشبه الآن — ما فرق بين الأزل والأبد . كما لا نفرق بين الماضي والمستقبل بانعدام الآن من الزمان . ألا إن النقطة هي الربوبية ، ففرقت بين الهوية والاعيان ، وهو المسمّى المظاهر . ألا إن النقطة (هي) انت ، فتميز « هو » و« أنا » بأنت . فاذا علمت هذا ، فأنت موحّد ! فأعط الحق ما يقتضيه منك ، اذا اقتضاه .

فان قال لك : أليس قد تبيّن لك ، في المرتبة الأخرى ، أنه ما ثمّ إلا الله ؛ وبيّنت في ذلك ما بيّنت — فلماذا ترعت هنا هذا المترع ؟ قلنا : لأنك سميت نفسك مقتضياً منّا ، من

(السؤال الثامن والثانون) : وما الحق(١٢٨) ؟

كونا موحّدين، أمرًا ما ،لا يقتضي «انت» انت ما يعطيك «نحن» نحن. نحن ما أعطيناك ، إنما أعطينا للمقتضي . فلا تكلمنا بغير لغتنا . اذ أنت القائل : «وما ارسلنا من رسول الا بلسان قومه» . - يكون المقتضي في هذا الفصل مشهودنا ويخاطبنا اسم آخر ليس مشهودنا . هذا خطاب ابتلاء وتمحيص . »

(فتوحات : ٢ : ٩٣-٩٤)

١٢٨) « الجواب : ارادته بالحق هنا ، العلم الحاصل بعد العين » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ا) .

« الجواب : سمّي الحق حقًا لاقتضائه من عباده ، من حيث أعيانهم ومن حيث كونهم مظاهر ، ما يستحق . اذ لا يطلب الحق إلا بالحق ، وهو العلم الحاصل بعد العين ، وهو ما يجب على المقتضي منه ما يعطيه اذا طلبه منه . - « كتب ربكم على نفسه الرحمة . » اي أوجبها ، فصارت حقًا عليه . قال : « وكان حقًا علينا نصر المؤمنين » . فهو الحق لا غيره ، وهو المستحق والمحق . وهو الذي تجب عليه الحقوق ، من حيث إيجابه لا من حيث ذاته .

فالأعيان لولا ما تستحق ان تكون مظاهر ، ما ظهر الحق فيها ولم يكن حكيمًا لما كان يلزم من الخلل في ذلك . ولو لم تكن الهوية تستحق الظهور في هذه المظاهر العينية ، لظهور سلطان الربوبية - ما ظهرت في هذه الأعيان . لان الشيء لا يظهر في نفسه لنفسه ؛ فلا بد من عين يظهر فيها لها . فيشهد نفسه في المظهر ، فيسمى مشهودًا وشاهدًا . فان الاعيان لا تستحق . ولهذا قال : « كتب ربكم على نفسه الرحمة » . ولم يقل إن الأعيان تستحق الرحمة ، فان الاعيان ليس لها استحقاق إلّا أن تكون مظاهر خاصة .

فقل للحق ان الحق ما هو سواه فهو حق في الحقيقة

فلم انظر بعيني غير عيني فعين الحق اعيان الخليقة

الحق هويته الحق ، اسمه خَلق هو « المخلوق به » . خلق كلّ شيء حقه . أعطى كلّ شيء خَلقه : « وما خلقنا السماوات والارض وما بينهما إلا بالحق » . - « وبالحق أنزلنا . وبالحق نزل » . - « انا ارسلناك بالحق بشيرًا ونذيرًا » . - « وقل : الحق من ربكم » . - الحق طلب الحقوق ؛ فبالحق يطلب الحق . - « وماذا بعد الحق إلا الضلال ، فأنّى تصرفون » .

فالحق الوجود . والضلال الحيرة في النسبة . فالحق المنزّل . والحق التنزيل . والحق المنزّل . والحق من الله ، من حيث هو ربنا . ومن صرف عن الحق ، الى أين يذهب ؟ - « فأين تذهبون ؟ ان هو الا ذكر للعالمين » = اصحاب العلامات والدلائل .

فالحق المسؤل عنه في هذا السؤال هو المقتضي ، الذي يقتضي من الموحّدين لِمَا ذكرناه .

(السؤال التاسع والثمانون) : وماذا[ث٣] بدؤه[(١٢٩)] ؟

فسمي حقاً ، لوجوب وجوده لنفسه . فاقتضاؤه إنما اقتضى من نفسه فانه إنما اقتضاه من الظاهر في مظهره . وهويته هي الظاهرة في المظهر الذي به كانت رتبة الربوبية . فما اقتضى إلا منه . وما كان المقتضي إلا هو . والذي اقتضى هو حق ، وهو عين الحق . فان أعطى فهو الآخذ ؛ وان أخذ فهو المعطي . فمن عرفه عرف الحق ! » .

(فتوحات : ٢ : ٩٤-٩٥)

١٢٩) « الجواب : نور المشاهدة » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٩ أ) .

« الجواب : الضمير يعود على الحق . وبدؤه من الاسم « الأول » الذي تسمى الحق به . قال تعالى : « هو الاول والآخر والظاهر والباطن وهو بكل شيء عليم » . فسمى لنا نفسه « أولاً » . فبدؤه أولية الحق . وهي نسبة . لان مرجع الموجودات في وجودها الى الحق . فلا بد ان تكون نسبة الاولية له . فبدؤه نسبة الاولية له . ونسبة الاولية له لا تكون الا في الظاهر .

فظهوره في العقل الاول ، الذي هو القلم الاعلى ؛ وهو « أول ما خلق الله » . فهو اول ، من حيث ذلك المظهر لانه أول الموجودات عنه . فالذات الازلية لا توصف بالاولية ، وانما يوصف بها الله تعالى .

قال الله تعالى : « سبح لله » = فهو المسبح « ما في السموات والارض » = من حيث أعيانهم « وهو العزيز » = المنيع الحمى من هويته ، « الحكيم » = بمن ينبغي ان يسبح له . الضمير يعود على الله . من « لله » « ملك السموات والارض » . ولهذا يسبحه اهلها لانهم مقهورون ، محصورون في قبضة السموات والارض . - « يحيي ويميت » = يحيي العين ويميت الوصف . فالعين لها الدوام من حيث حييت ؛ والصفات تتوالى عليها . فيميت الصفة بزوالها عن هذه العين ويأتي بأخرى . - « وهو » = الضمير يعود على الله . « على كل شيء قدير » = اي شيئية الاعيان الثابتة . يقول : إنما تحت الاقتدار الالهي . - « هو الاول » = الضمير يعود على الله من « لله » . والاول خبر الضمير الذي هو المبتدأ ، وهو في موضع الصفة لله . وسمى الله إنما هو من حيث المرتبة . وأول مظهر ظهر القلم الالهي ، وهو العقل الاول . والعين ما كانت مظهراً إلا بظهور الحق فيها ، فهي أول . والكلام في الظاهر في المظهر لان به يتميز . - فالاول هو الله ، والعقل حجاب عليه ويجن تتوالى الصفات عليه . ولما كانت الاعيان كلها ، من كونها مظاهر ، نسبتها الى الالوهية نسبة واحدة ، من حيث ما هي مظاهر ، تسمى : « الآخر » . فهو « الآخر » آخرية الأجناس ،

ث٣ وثم ٧ .

(السؤال التسعون) : وأي شيء فعله في الخلق[١٣٠] ؟

لا آخرية الاشخاص . وهو « الاول » بأولية الاجناس واولية الاشخاص . لانه ما اوجد الا عيناً واحدة وهو القلم او العقل ، كيفما شئت سميته . – ولما كان العالم له الظهور والبطون ، من حيث ما هو مظاهر ، كان هو ، سبحانه ! الظاهر لنسبة ما ظهر منه والباطن لنسبة ما بطن منه . – « وهو بكل شيء عليم » = شيئية الاعيان وشيئية الوجود ، من حيث اجناسه وانواعه واشخاصه .

فقد تبيّن ان بدءه (الأصل : بدأه) عين وجود العقل الاول . – قال النبي ، صلى الله عليه وسلم : « أوّل ما خلق الله العقل » وهو الحق الذي خلق به السموات والارض . وقد مشى معنا هذا في سؤاله في « العدل » في السؤال الثامن والعشرين من هذه السؤالات » .

(فتوحات : ٢ : ٩٥)

١٣٠) « الجواب : الفناء » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٩) .

« الجواب : إن كان قوله : « في الخلق » ، من كونهم مقدرين – فالإيجاد ، وهو حال الفعل . وإن كان قوله : « في الخلق » ، من كونهم موجودين – فحال الفناء .

وذلك ان الله تعالى قال للانسان : « اولا يذكر الانسان أنّا خلقناه من قبل » = أي قدّرناه ، « ولم يك شيئاً » = نبّهه على أصله ! فأنتم عليه بشيئية الوجود ، وهو عين وجود الظاهر فيه . وإنما خاطب الانسان وحده ، لانه المعتبر الذي وجد العالم من أجله . وإلا فكل ممكن بهذه المنزلة . – هذا الذي تعطيه نشأته ، لكونه مخلوقاً على الصورة الالهية ، وانه مجموع حقائق العالم كله . فاذا خاطبه فقد خاطب العالم كله ، وخاطب اسماءه كلها .

واما الوجه الآخر ، الذي ينبغي ايضاً ان يقال ، وهو دون هذا ، في كونه مقصوداً بالخطاب : وذلك انه ما ادّعى أحد الالوهية سواه من جميع المخلوقات . وأعمى الخلائق إبليس . وغاية جهله أنه رأى نفسه خيراً من آدم ، لكونه من نار ، لاعتقاده انه افضل العناصر . وغاية معصيته أنه امر بالسجود لآدم فتكبّر في نفسه عن السجود لآدم ، لما ذكرناه ؛ وأبى فعصى الله في أمره فسمّاه الله كافراً . فانه جمع بين المعصية والجهل . والانسان ادعى أنه الرب الاعلى ، فبهذا خص بالخطاب في قوله (تعالى) : «أولا يذكر الانسان» = فلذا قلنا : الفناء ، أي أحاله على هذه الصفة ان يكون مستحضراً لها .

واما الفعل الخاص بكل خلق ، فهو إعطاؤه ما يستحقه كل خلق مما تقتضيه الحكمة الالهية . وهو قوله (تعالى) : « اعطى كل شيء خلقه ثم هدى » . أي بيّن أنه ، تعالى ! أعطى كل شيء خلقه ، حتى لا يقول شيء من الأشياء : قد نقصني كذا . فان ذلك النقص الذي يتوهمه هو عرض عرض له ، لجهله بنفسه وعدم إيمانه إن كان وصل اليه قوله : « اعطى

(السؤال الحادي والتسعون) : وبماذا وكل[١٣١] ؟

كل شيء خلقه » فان المخلوق ما يعرف كماله ولا ما ينقصه ، لانه مخلوق لغيره لا لنفسه . فالذي خلقه انما خلقه له لا لنفسه . فما أعطاه إلا ما يصلح ان يكون له ، تعالى ! والعبد يريد أن يكون لنفسه لا لربه . فلهذا يقول: أريد كذا ، ويقتضي كذا . فلو علم أنه مخلوق لربه - لعلم أن الله خلق الخلق على أكمل صورة تصلح لربه . - « أعوذ بالله أن أكون من الجاهلين » !

وهذه المسألة مما أغفلها اصحابنا ، مع معرفة أكابرهم بها . وهي مما يحتاج اليها في المعرفة المبتدي والمنتهي والمتوسط . فانها اصل الادب الالهي الذي طلبه الحق من عباده . وما علم ذلك إلا القائلون: « ربنا ، وسعت كل شيء ، رحمة وعلماً » . واما الذين يقولون: « أتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدماء ؟ » - فما وقفوا على مقصود الحق من خلقه الخلق . ولو لم يكن الامر كما وقع - لتعطل من الحضرة الالهية أسماء كثيرة لا يظهر لها حكم .

قال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم: « لو لم تذنبوا لجاء الله بقوم يذنبون فيستغفرون فيغفر لهم » . فنبه أن كل امر يقع في العالم إنما هو لاظهار حكم اسم إلهي . واذا كان هكذا الامر - « فلم يبق في الامكان أبدع » من هذا العالم ولا أكمل . فما بقي في الامكان إلا أمثاله الى ما لا غاية له . فاعلم ذلك ! . - فهذا فقه في الخلق . وأما الجواب العام في هذه المسألة ان يقال: فعله في الخلق ما هو الخلق عليه في جميع أحواله »

(فتوحات ، ٢: ٩٥-٩٦).

١٣١) « الجواب: بحمل الاثقال » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب: وكل بمشيئة أوامر الله وانفاذ كلماته لا غير . فهو مخصوص بالشرائع الالهية ، سنها من سنها . كما قال تعالى: « ورهبانية ابتدعوها ما كتبناها عليهم » . فذمهم لما لم يرعوها ، فقال: « فما رعوها حق رعايتها » .

وقال ، صلى الله عليه وسلم: « من سن سنة حسنة فله أجرها واجر من عمل بها » . فالخير يطلب الثواب بذاته . والشرع يبين توقيت ذلك الثواب . كقوله: « من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها » . وقال الله لداود : « يا داود انا جعلناك خليفة في الارض » لمن تندمك أو نيابة عنا بالاسم الظاهر الذي لنا . فقد خلعناه عليك لتظهر به في خلقي . « فاحكم بين الناس بالحق ولا تتبع الهوى » .

فعرفنا ان الحق ، سبحانه ! قد وكل الحق بمشيئة دينه . فقال لخلفائه : احكموا بما يقتضيه امر هذا الوكيل « ولا تتبعوا الهوى » وهو ارادة النفوس التي يخالفها حكم الحق الموكل بمشيئة الكلمات الالهية المشروعة . وكل مخاطب « راع ومسئول عن رعيته » . فكن

(السؤال الثاني والتسعون) : وما ثمرته[٣] [١٣٢] ؟

العدل صفة هذا الحق ، الذي وكله الله ان يصرفها في المخلوقات بمساعدة الخلفاء . – والله المرشد ! » .

(فتوحات : ٢ : ٩٦)

١٣٢) « الجواب: تميّز جميع مراداته » (الجواب المستقيم ، ورقة ٣٤٩ ١) .

« الجواب : الوقوف دائمًا مع العبودة : هذه ثمرته . ولكن جوائح الربوبية تمنع من ظهور هذه الثمرة ، ولا سيما في البشر . ولكن له ثمرة أخرى ، دون هذه الثمرة . وهو ان يكون الحق « سمعه وبصره » وجميع قواه . ثم ان له في كل شخص من البشر بحسب ما أمضاه في سلطانه من أحكامه .

وأما ثمرته التي يعمل عليها ولها أكثر العقلاء من أهل الله – فتميّز مراداتهم بمجرّد الهمم . فمنهم من ينال ذلك في الدنيا ، ومنهم من يدّخر له ذلك الى يوم القيامة . فان أكابر الرجال ، مع معرفتهم بما خلقوا له ، لو وقفوا مع التكوين قوبلوا؛ ولكنهم تركوا الحق يتصرف في خلقه كما هو في نفس الامر ؛ وأبوا ان يكونوا محلًا لظهور التصريف . وان ظهر عليهم من ذلك شيء – فما هو عن قصد منهم لذلك. ولكن الله أجراه لهم وأظهره عليهم لحكمة علمها الحق ، وهؤلاء عن ذلك بمعزل . وأمّا ان يقصدوا ذلك – فلا يتصور منهم ؛ إلّا ان يكونوا مأمورين كالرسل ، عليهم السلام . فذلك (التصريف او الفعل مضاف) إلى الله ، وهم لا يعصون الله ما أمرهم . فانهم معصومون من اضافة الافعال اليهم ، اذا ظهرت منهم . فيقولون : هي للظاهر من أسمائه في مظاهره . فما لنا وللدعوى ! فنحن لاشيء ، في حال كوننا مظاهرَ له وفي غير هذه الحال .

وهذا المقام يسمى راحة الأبد . والقائم فيه مستريح . وهذا هو الذي وفى الربوبيّة حقها . لان الحكم للمرتبة لا للعين . ألا ترى ان السلطان تمشي أوامره في مملكته فلا يعصى ، ويخاف ويرجى . وما هو لكونه انسانًا ، فان الانسانية عينه . وإنما هو لكونه سلطانًا ، وهي المرتبة .

فالعاقل من الناس ، يرى ان المتحكم في المملكة انما هي المرتبة لا عينه . اذ لو كان ذلك لكونه انسانًا فلا فرق بينه وبين كل انسان . وهكذا كل المظاهر . فرجال الله ينظرون أنفسهم من حيث أعيانهم ، لا من حيث كونهم مظاهر . فكانت المرتبة الحاكمة لا هم . وهذه هي ثمرة الحق ، التي جنوها حين حكموا به وفازوا بالعبودة والعبودية: عبادة الفرائض وعبادة النوافل » .

(فتوحات : ٢ : ٩٦–٩٧)

ج[٢] عرنه ٧ .

(السؤال الثالث والتسعون) : وما المحق[١٣٢] ؟

١٣٢) الجواب : حامل هذا المقام ، بحكم التبري من حمله باثبات حمله . لا بد من هذا ، فانه ما عند العبد وصف صار اصلا ؛ بـل وصفه له حقيقة » . (الجواب المستقيم ورقة ٢٤٩ ا — ٢٤٩ ب) .

« الجواب : معطي الحق . وهو الموصوف بالحكم المنزل . وذلك أني أنبهك على تحقيق هذا الامر .

فاعلم أن المحق اذا كان هو معطي الحق — فليس إلا الله . ومقصود الطائفة من المحق أن يكون الصادق الدعوى في طلب الحق الذي يستحقه . وهي مسألة صعبة . فان الله « أعطى كل شيء خلقه » = وهو ما يستحقه ؛ فقد أعطى كل شيء استحقاقه . فهذا الطالب ما يستحقه ، كيف يصح أن يكون ممنوعاً عنه ما يستحقه مع قوله (تعالى) : « أعطى كل شيء خلقه » ؟

فلنقل : اعلم ان قوله « اعطى كل شيء خلقه » انما هو مما يقوم ذات ذلك الشيء ، من الفصول المقومة لذاته . وأما ما تطلبه تلك الفصول من اللوازم والأعراض — فما أعطاه ذلك . لأن أعراض كل ذات لا تتناهى (الاصل : لا يتناهى) ما دام موصوفاً بالبقاء في الوجود . وما لا يمكن فيه التناهي لا يصح ان يدخل في الوجود ، بل على التتالي والتتابع .

فالطالب المحق ، هو الذي لا يطلب ما لا تستحقه ذاته من لوازمها وأغراضها . لكن ليس من حقيقته ان يقبل التفكر فيطلب ان يتصف بالفكر — فما هو محق في طلبه . فاذا طلبه الانسان ، إذا كان الغالب عليه الوقوف مع المحسوسات — فله ان يطلب الاشتغال بالتفكر « في خلق السموات والأرض » وجميع الآيات . فهو محق في طلبه ، صادق الدعوى في نفي التفكر عنه لاستيلاء الغفلة عليه . فهذا هو المحق ، الذي لا يعارض طلبُ حقه ، الذي يستحق بذاته طلبُ ، قولَه (تعالى) : « أعطى كل شيء خلقه » .

فقد تبين لك كيف ينبغي لك ان تسأل ؟ وماذا تسأل فيه ؟ . — ومن أوصاف المحق ، ان لا يسأل إلا من بيده قضاء ذلك الحق المسئول . فـان لم يفعل ، فقد اشتكى إلى غير مشتكي .

كان شيخنا ابو العباس بن العريف الصنهاجي يقول في دعائه : « اللهم ، إنك سددت باب النبوة والرسالة دوننا ، ولم تسد باب الولاية . اللهم ، مهما عينت اعلى رتبة في الولاية لأعلى ولي عندك — فاجعلني ذلك الولي ! » فهذا من المحققين ، الـذين طلبوا ما يمكن ان يكون حقاً لهم . وان كانت النبوة والرسالة مما يستحقه الانسان ، عقلاً ، لكون ذاته قابلة لها — لكن لما علم ان الله قد سدّ بابها شرعاً وسدّ باب نبوة الشرائع — لم يسألها وسأل ما يستحقه . فان الله ما حجز الولاية علينا .

(السؤال الرابع والتسعون) : واين محل[ح٢] من يكون محقاً[خ٢] (١٣٤) ؟

ومن هذا الباب سؤال الوسيلة، وان لم يكن مثلها لكن يقرب منها. و إنما الحقناها بها في التشبيه لقرينة حال. «وهي (=الوسيلة) درجة في الجنة لا ينالها او لا تنبغي إلا لرجل واحد». قال، صلى الله عليه وسلم: «وأرجو أن أكون أنا. فمن سأل لي الوسيلة حلَّت له الشفاعة». فلو سأل واحد منا ربه الوسيلة في حق نفسه – كما سأل ما لا يستحقه. لانه ربما لا ينالها إلا شخص، هو على صفة مخصوصة. والله يقول لنا: «وابتغوا إليه الوسيلة»؛ إلا انه لم يقل: «منه». فقد يمكن ان يكون هذه من التوسل. وتلك الصفة إما موهوبة او مكتسبة؛ ولم يبينها رسول الله، صلى الله عليه وسلم، ولا حجرها على واحد بعينه. ولم يقل إنها لا تنبغي إلا لمن هو افضل عند الله من البشر. ونحن نعلم أنه أفضل الناس عند الله، بما نص على نفسه. فكان يكون ذلك تحجيراً. ولم ينص ايضاً في وحدانية ذلك الشخص: هل هو لعينه أو واحد لتلك (الاصل: تلك) الصفة. فتكون الأحدية لتلك الصفة. ولو ظهرت في ألف لكان كل واحد من الألف له الوسيلة. لان تلك الصفة تطلبها. فلما لم يقع من الشارع شيء من هذا كله – ساغ لنا أن نطلبها لأنفسنا. ولكن يمنعنا من ذلك الايثار، وحسن الأدب مع الله في حق رسول الله، صلى الله عليه وسلم، الذي اهتدينا بهديه. وقد طلب منا ان نسأل الله له الوسيلة، فتعيَّن علينا، أدباً وإيثاراً ومروءةً ومكارم خلق، ان لو كانت لنا – لوهبناها له. إذ كان هو الأولى بالأفضل من كل شيء، لعلو منصبه وما عرفناه من منزلته عند الله.

ونرجو بهذا أن يكون لنا في الجنة ما يماثل تلك الدرجة، مثل قيمة «المثل» عندنا في الحكم المشروع في الدنيا. وذلك ان بيننا وبينه، صلى الله عليه وسلم، أخوة الإيمان؛ وانه كان هو السيد الذي لا يقاوم ولا يكاثر. ولكن قد انتظم معنا في سلك الايمان. فقال تعالى: «إنما المؤمنون اخوة». وثبت في الشرع ان الانسان «اذا دعا لأخيه في ظهر الغيب – قال الملك: له ولك بمثله، ولك بمثله». فاذا دعونا له بالوسيلة، وهو غائب عنا، قال الملك: ولك بمثله. فهي له والمثل للداعي. فينال من درجات مجموعة ما يناله صاحب الوسيلة من الوسيلة: مثل قيمة المثل. لان الوسيلة لا مثل لها، اي ما ثَمَّ درجة واحدة تجمع ما جمعت الوسيلة. وان كانت ما جمعت الوسيلة متفرقاً في درجات متعددة ولكن للوسيلة خاصية الجمع». (فتوحات: ٢: ٩٧–٩٨)

١٣٤) «الجواب: في حضرة بقاء الدين والاقتدار والتأييد». (الجواب المستقيم، ورقة ٢٤٩ ب).

ح٢ المحل V.

خ٢ + فانه في بدء الامر تابع للحق حتى يصير محقا فيقوم (فيقرن F) الحق به مؤيداً له VF

(السؤال الخامس والتسعون وما سكينة^د^ الأولياء.^(١٣٥)^ ؟

« الجواب : « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » . فان الحقوق مما يطلبها المحق إلا وهو في « المقعد الصدق » ؛ لانه صادق . ولا تطلب الحقوق إلا عند من يعلم أنه قادر على إيصالها ، وملك ماضي الكلمة في ملكه . فلهذا قلنا : « في مقعد صدق عند مليك مقتدر » .

فاجتمع هذا المحق مع المتقي في هذا المحل . والمتقي « في جنات ونهر » . وان كان المحق كذلك ، ولكن لما كان الفرق بين المتقي وبين هذا معلوماً — لم تكن الجنات كالجنات . ووقع الاشتراك في كونه محقاً مع المتقي . فالمتقي ما نال « المقعد الصدق » إلا من كونه محقاً « عند مليك مقتدر » = حضرة بقاء الذين والاقتدار والتأييد .

ولهم أماكن مختلفة بحسب الحضرات التي يتزلونها من حضرات الاسماء . كاسم الاسم « الصادق » و « الحق » و « الناصر » ، وما في معنى هذه الاسماء . فأي اسم من هؤلاء الاسماء ، نظر اليه كان محله . وأما في الذاتيات — فمحله الواجبات . وأما في الالوهية فمحلها بالظفر بالمطلوب . وأما في العبودية فمحلها عبودية الفرائض . وأما في الأحوال فالتأثير . وأما في المقامات فالصدق . وأما في الجنان فارتفاع الحجب . وأما في الدنيا فالفعل بالهمة . وأما في المعارف فانه يكون مع الحق من حيث أمره . ومع عالمه من حيث عدله ووفاوه (الاصل : ووفاته) . فيمين كل طالب حق . فمقامه لا يتزلزل ولا ينخرم . فان له في كل حضرة مقعداً ومجلساً . فحيث حلّ فهو في بيته فلا يفطر وان كان صائماً ؛ ولا يقصر الصلاة فانه مقيم غير مسافر . لان السفر « فيه » (= في الحق حيث تفنى فيه المسافات والابعاد) لا يجوز فيه القصر ولا الفطر ! فهو كمثل عائشة ، قالت : « لا أقصر فاني أم المؤمنين ، فحيث ما حللت حللت عند بنيّ فأنا في بيتي » . والسفر « اليه » (= الى الحق ، حيث تثبت المسافات والابعاد) بخلاف ذلك . فانه يقصر ويفطر . فهو فطر الصائمين » .

(فتوحات : ٢ : ٩٨)

١٣٥) « الجواب : استنادهم الى ما يجدونه حقاً في صدورهم مما يكبر ، بتوفية المقام . ولكن بعد ما يطأون (في الاصل : يطؤون) ما وراء « جابرقا » و « جابرصا » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٩ب) .

«الجواب : اذا تبع الوليّ الاسباب وقطعها سبباً سبباً ، وولي مملكة جابرقينا وجابرسينا ، وجمع له بين المشرقين والمشارق والمغربين والمغارب ، واطلع على المشرق والمغرب ، ووفّى المقامات حقها ، وأعطى الانبياء حقهم وانبياء الشرائع حقهم ، وأنصف الملأ الأعلى ، وأحال الأسماء الإلهية على الاسماء الإلهية ، ولم يتوجه لمخلوق عليه حق — فانه غير وارث ولا رسول

د^٢^ + الانبياء وسكينة V .

(السؤال السادس والتسعون) : وما حظ المؤمنين من قوله : ﴿ الظَّاهِرُ وَالْبَاطِنُ ، وَالأَوَّلُ وَالآخِرُ ﴾[١٣٦] ؟

ولا امام ولا صاحب منصب يخاف عليه فيه عدله او جوره ، ويرجى فيه فضله ؛ وجُهل قدره ، ولم يعرف حقه ؛ وتمنّى الرسل ، في موطن ما ، ان تكون مثله ؛ وجمع هذا كله . فتلك سكينة الاولياء التي يسكنون اليها .

فهم العرائس المصانون . رجالٌ ، أيُّ رجال ! يسكنون اليها (= الى سكينة الاولياء). ولا تحصل لهم دائمًا . لكن لهم اختلاسات فيها كالبروق . فهي تشبه المشاهد الذاتية ، في كونها لا بقاء لها . فان المواطن تحكم عليهم وطبيعتهم تطلبها .

فان اتفق ان تحصل لأحد وقتًا ما ، قصيرًا أو طويلًا ، فان الدوام محال – فيكون الولي في تلك الحال ناظرًا لمن يطالب طبيعته . فيكون كالمتفرج . ويرى الظاهر فيه المسئول ذلك ، إما يعطيها ما سألته وإما يمنعها . وهو مهيمن على ذلك من حيث عينه . ألا ان هذه هي العبودة المحضة ، التي لا يتخللها شوب من الربوبية » . (فتوحات : ٢ : ٩٨)

١٣٦) «الجواب : فمن الظهور (لعل الصواب : الظاهر) ، اي حظ المؤمنين من الاسم الظاهر ، حصولهم في مقام لا يؤثر فيهم كون ؛ وليس لهم فيه (في اسمه تعالى : الظاهر) مقام . و(حظهم) من (الاسم) الباطن ، حصولهم في مقام تؤثر فيهم جميع الأكوان ، ويفعلون بلا مباشرة . و(حظهم) من (الاسم) الاول ، رؤية وجودهم من حيث هم و(حظهم) من (الاسم) الآخر ، مشاهدتهم عليهم بكونهم آخر موجود وجد » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : كل مصدق بأمر لم يعلمه إلا من الذي اخبره به ، فقد بطن عنه ما صدقه فيه وظهر له ما صدقه فيه عند اخباره . وحظه من الاول ان لا يتوقف في تصديقه عند سماعه الخبر منه . وحظه من الآخر ان يتردد فيما صدقه فيه ، إن قدح فيه نظره عند التفكر فيما اخبره به المخبر . وذلك ان الايمان نور شعشعاني ، ظهر عن صفة مطلقة لا تقبل التقييد . فاذا خالط هذا النور بشاشة القلوب – كان حكمه ما ذكرناه من « الظاهر والباطن والاول والآخر » .

والمؤمنون فيه على قسمين : مؤمن عن نظر واستدلال وبرهان . فهذا لا يوثق بايمانه ولا يخالط نوره بشاشة القلوب . فان صاحبه لا ينظر اليه إلا من خلف حجاب دليله . وما من دليل ، لاصحاب النظر ، إلا وهو معرض للدخل فيه والقدح ولو بعد حين . فلا يمكن لصاحب البرهان ان يخالط الايمان بشاشة قلبه . وهذا الحجاب بينه وبينه . والمؤمن الآخر ، (هو) الذي كان برهانه عين حصول الايمان في قلبه ، لا أمر آخر . وهذا هو الايمان الذي يخالط بشاشة القلوب . فلا يتصور في صاحبه شك . لان الشك لا يجد محلًا يعمره . فان

(السؤال السابع والتسعون): وما حظ المؤمنين من قوله: ﴿كل شيء هالك إلا وجهه﴾ (١٣٧)؟

محله الدليل. ولا دليل! فما ثمّ على ما يرد الدّخل ولا الشك. بل هو مزيد.

ثم ان المؤمن على نوعين: مؤمن له عين، فيه نور بذلك العين اذا أجتمع بنور الايمان ادرك المغيبات، التي متعلقها الايمان. ومؤمن ما لعينه نور سوى نور الايمان. فنظر اليه به. ونظر الى غيره به. فالاول يمكن ان يقوم بعينه امر يزيل عنه النور، الذي اذا اجتمع بنور الايمان أدرك الامور التي الزمه الايمان القول بها. وهو المؤمن الذي لا دليل له. وينظر الاشياء بذاته. فيدخله الشك ممن يشككه. فان فطرته تعطي النظر في الادلة، إلا انه لم ينظر. فاذا نبه تنبه. فمثل هذا، ان لم يسرع اليه الذوق وإلا خيف عليه.

والمؤمن الآخر، هو بمنزلة الجسد الذي قد تسوّت بنيته واستوت آلات قواه وتركبت طبقات عينه. غير انه ما نفخ فيه الروح. فلا نور لعينه. فاذا كان الانسان بهذه المثابة من الطمس، فنفخ فيه روح الايمان فأبصرت عينه بنور الايمان الاشياء — فلا يتمكن له ادخال الشكوك عليه جملة ورأساً. فانه ما لعينه نور سوى نور الايمان. والضد لا يقبل الضد. فما له نور في عينه يقبل به الشك والقدح فيما يراه.

وهكذا هي الاذواق. وهذه فائدتها. ومن لم يكن الايمان بهذه المثابة، والفطرة بهذه المثابة — وإلا فقليل ان يجيء منه ما جاء من الانبياء الاولياء من الصدق بالالهيات.

فالفطرة الذكية التي تقبل النظر في المعقولات، من أكبر الموانع لحصول ما ينبغي ان يحصل من العلم الالهي. والفطرة المطموسة هي القابلة التي لا نور لعينها من ذاتها إلا من نور الايمان. فلا تعطي فطرته النظر في الامور على اختلافها.

ومما يعضد ما قلناه، حديث ابار النخل؛ وحديث نزوله بأصحابه يوم بدر؛ وقوله: «ما أدري ما يفعل بي ولا بكم ان تتبع إلا ما يوحي اليّ» = اي ما لي علم ولا نظر بغير ما يوحى اليّ. وهذا باب لا يعرفه إلا اهل الله.

ومنزلة الانبياء فيما يأخذونه من الغيب بطريق الايمان من الملائكة، منزلة المؤمنين مع ما يأخذونه من الانبياء. فالانبياء مؤمنون بما يلقي اليهم الروح. والروح مؤمن بما يُلقى اليه من يُلقي اليه.

فحظ المؤمن، كان من كان، من «الظاهر» ما ألقي اليه. وحظه من «الباطن» ما استقر به. وحظه من «الاول» علم الخواطر الالهية. وحظه من «الآخر» الحاق بقية الخواطر بالخواطر الالهية. وهو تتميم قوله: «وهو بكل شيء عليم».

(فتوحات: ٢: ٩٨-٩٩)

١٣٧) «الجواب: إني أراكم من خلف ظهري» (الجواب المستقيم، ورقة ٢٦٩ ب).

« الجواب : المؤمن هو الذي ذكرناه ، الذي لا نور لمن بصيرته الا نور الايمان .
ﺫ « كل شيء » عنده « هالك » عن شيئيته : شيئية ثبوته وشيئية وجوده ، « إلا وجهه » = وجه الشيء ، ذاته وحقيقته ؛ «وجهه» مظهره : اي ظهوره في الاعيان .

فأما شيئية ذاته - فهي المستثناة ، لا بد من ذلك . وأما « وجهه » في المظهر - فبعض اصحابنا يدخلها في « كل شيء هالك » وبعض اصحابنا لا يدخلها هنالك . فأما من أدخلها في الهلاك - فاعتبر مظهرًا خاصًا ، وأما من لم يدخلها في الهلاك - فاعتبر انها لا تخلو عن مظهر ما .

وأما نحن - فلا نثبت اطلاق لفظ الشيئية على ذات الحق . لانها ما وردت ولا خوطبنا بها ؛ والأدب أولى . والاولى ان يكون هنا « وجهه » مثل الاطلاق الاول ، يريد المظهر لا هويته . والمظهر له مناسبة بينه وبين الوجه الظاهر فيه . فلذلك صح الاستثناء . قال تعالى : « انما قولنا لشيء اذا اردناه » فسماه شيئًا في حال هلاكه .

فكل شيء موصوف بالهلاك . لان « هالك » خبر المبتدأ الذي هو « كل شيء » = أي كل ما ينطلق عليه اسم « شيء » فهو « هالك » ، وان كان مظهرًا ؛ فهو في حال كونه مظهرًا في شيئية عينه وهي هالكة . فهو « هالك » في حال اتصافه بالوجود ، كما هو «هالك» في حال اتصافه بالهلاك ، الذي هو العدم .

فان العدم للممكن ذاتي : اي من حقيقة ذاته ان يكون معدومًا . والاشياء اذا اقتضت أمورًا لذواتها ، فمن المحال زوالها . فمن المحال زوال حكم العدم عن هذه العين الممكنة ، لسواء اتصفت بالوجود او لم تتصف . فان المتصف بالوجود ما هو عين الممكن ، وانما هو الظاهر في عين الممكن ، الذي سمي به الممكن مظهرًا لوجود الحق .

ﺫ « كل شيء هالك » . فلهذا نفينا عن الحق اطلاق لفظ الشيء عليه . ويكون الاستثناء استثناء منقطعًا ، مثل قوله (تعالى) : « فسجد الملائكة كلهم اجمعون إلا إبليس » . - ألا ترى لما استحق الحق الوجود لذاته - استحال عليه العدم . كذلك اذا استحق الممكن العدم لذاته ، استحال وجوده . فلهذا جعلناه مظهرًا .

قلنا في كتاب «المعرفة» : إن الممكن ما استحق العدم لذاته ، كما يقوله بعض الناس . وانما الذي استحقه الممكن تقدم اتصافه بالعدم على اتصافه بالوجود لذاته ، لا العدم . ولهذا قبل الوجود بالترجيح . إذن ، فالعدم المرجح عليه الوجود ليس هو العدم المتقدم على وجوده ، وانما هو العدم الذي له في مقابلة وجوده ، في حال وجوده : ان لو لم يكن الوجود لكان العدم . فذلك العدم هو المرجح عليه الوجود في عين الممكن . هذا هو الذي يقتضيه النظر العقلي .

وأما مذهبنا ، فالعين الممكنة إنما هي ممكنة لان تكون مظهرًا ، لا لان تقبل الاتصاف

(السؤال الثامن والتسعون) : وكيف خص ذكر الوجه[١٣٨] ؟
(السؤال التاسع والتسعون) : وما مبتدأ[ذ٢] الحمد[١٣٩] ؟

بالوجود : فيكون الوجود عينها . اذن ، فليس الوجود في الممكن عين الموجود . بل هو حال لعين الممكن به يسمى الممكن موجوداً ، مجازاً لا حقيقة . لان الحقيقة تأبى ان يكون الممكن موجوداً .

فلا يزال « كل شيء هالك » (الاصل: لك) كما لم يزل . لم يتغير عليه نعت ولا تغير على الوجود نعت . فالوجود وجود والعدم عدم . والموصوف بأنه موجود موجود . والموصوف بأنه معدوم معدوم . هذا هو نفس اهل التحقيق من اهل الكشف والوجود .

.. ثم يندرج في هذه المسألة الوجه الذي له الأمام . وهو الوجه المقيد بالنظر ، وبه تميز عن الخلف . فاذا كان الشخص يرى من خلفه مثل ما يرى من أمامه — كان وجهاً كله ، بلا قفا . فلا يهلك من هذه صفته . لأنه يرى من كل جهة : فلا يهلك ! لان العين تحفظه بنظرها . فمن اي جهة جاءه من يريد هلاكه — لم يجد سبيلا اليه ، لكشفه اياه . كما يتقي صاحب الوجه المقيد من يأتيه من أمامه » .

(فتوحات ٢: ٩٩–١٠٠)

١٣٨) « الجواب : لان السبحات محرقة فلا مقابل له » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ ب) .

« الجواب : لان السبحات له فهي مهلكة . والمهلك لا يكون هالكاً . — فاعلم أن الحقائق لا تتصف بالهلاك ، — ووجه الشيء حقيقته — وانما يتصف بالهلاك الامور العوارض للحقائق ، من نسبة بعضها الى بعض . فهي — أعني الامور العوارض ، حقيقتها ان تكون عوارض ؛ فلا يهلك وجهها عن كونها عوارض .

فاتصاف من عرضت له نسبة ما ، ثم زالت تلك النسبة بحصول نسبة أخرى ، فازالة تلك النسبة العارضة تسمى هلاكاً ، ويسمى ذلك المحل المنسوب اليه ذلك العارض بزواله هالكاً . — وما ثمّ إلا حقائق ؛ فما ثمّ إلا وجوه غير هالكة . وما ثمّ إلا نسب ، فما ثمّ إلا هالك . فانظر كيف شئت ، وانطق بحسب ما تنظر . — فلهذا خص الوجه لاستحالة اتصافه بالهلاك ، اذ كانت الحقيقة لا تهلك » .

(فتوحات : ٢ : ١٠٠)

١٣٩) « الجواب : الاطلاق ثم يتقيد . هذا مبتدأ الحمد في اللسان . وفي الحال ، التقييد مبتداه ثم الاطلاق ثم التقييد . وأما مبتداه ، من حيث أثره في الحامد وقيامه في

ذ٢ مبتدع ٧ .

المحمود – فظهوره مبتداه . وان اراد بالحمد "عين الحمد: العبدَ الكلي – فقد تشير الى ذلك عبارة اصحابنا – فبتداه امر آخر . والظاهر انه يريد بالحمد هنا : الفاتحة ، يعني في الصلاة. فبتداه أم الاسم ، وهو الذي اراده بلا شك » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٦٩ ب) .

« الجواب : مبتدؤه الابتداء ، وهو المعنى القائم في نفس الحامد . فلا بد ان يكون مقيدًا من طريق المعنى انه ابتداء حادث . فلا بد له من سبب . والسبب عين التقييد . و(أما) من طريق التلفظ بالحمد فبتدؤه الاطلاق . ثم بعد ذلك ، ان شئت قيدته بصفة فعل إلاهي ، وان شئت نزهته في التقييد بصفة تنزيه . وما ثمَّ أكثر من هذا .

وان أراد السائل بالحمد هنا العبد – فانه عين الثناء على الحق بوجود عينه – فبتدؤه الحق الذي أوجده لما أوجده . – وإن اراد بالحمد ومبتدئه اضافة المبدأ الى الحمد ، أي بما يبتدأ الحمد – فنقول بالوجود ، سواء اقترنت سعادة بذلك الموجود أو شقاوة . – وإن اراد بالحمد حمد الحمد – فبتدؤه الوهب والمنة . – وإن أراد بمبدأ الحمد حمد الحق الحمد ، او حمد الحق نفسه ، او حمد الحق مخلوقاته – فالثناء على الثناء بانه ثناء ثناء عليه – فبتدؤه اضافة الخلق اليه تعالى ، لا إلى غيره . – وإن اراد بالحمد الفاتحة ، التي هي السورة – فبتدؤها الباء ، ان نظرت الحق من حيث دلالة الخلق عليه . فيكون « بسم الله الرحمن الرحيم » آية من سورة الفاتحة . وان كان ينظرها من حيث الحق مجردًا عن تعلق العالم به للدلالة – فبتدؤها « الألف » من « الحمد لله » . – فلم تتصل بأمر ولا ينبغي لها ان تتصل ولم يتصل بها . فانها تتعالى في الفاتحة ان يتصل بها . فانه ما اتصل بها في المعنى إلا اسماؤها ، واسماؤها عينها . فلم يتصل بها سواها .

فان اراد بالحمد عواقب الثناء – فبدؤه من حيث هو عواقب رجوع اسمائه اليه . فانه لا أثر لها إلا في الظاهر في المظاهر . وعلى الظاهر يقع الثناء . وليس الظاهر في المظاهر غيره . فلا مُثني ولا مُثنَى ولا مُثنَى عليه إلا هو ! والتبس على الناس ما يتعلّق بالمظاهر من الثناء . فلهذا قالوا : ما مبتدأ الحمد؟

والظاهر من سؤال هذا السائل ، انه اراد « الفاتحة » . لانه قال في السؤال الذي يليه : ما معنى آمين ؟ وهي كلمة شرعت بعد الفراغ من الفاتحة . فهو ثناء بدعاء . وكل ثناء بدعاء فهو مشوب . ولهذا قال : « قسمت الصلاة بيني وبين عبدي نصفين . فنصفها لي ونصفها لعبدي . ولعبدي ما سأل » . فآمين المشروعة لما فيها من السؤال ، وهو قوله : «اهدنا» . ومن طلب شيئًا من أحد فلا بد ان يفتقر اليه بحال طلبه . فبتدأ الحمد على هذا هو الافتقار . ولهذا سأل في الاجابة .

ثم انه ما اوجب له الافتقار اليه إلا اثر غناه تعالى عما افتقر اليه فيه . فبتدأ الحمد غنى

(السؤال الموفي مائة) : وما قوله : « آمين »(١٤٠) ؟

الحق عن العالمين . قال الله تعالى: « والله غني عن العالمين » . وقال تعالى : « يا ايها الناس ، انتم الفقراء الى الله والله هو الغني الحميد » . تقدّم الفقر على الغنى في اللفظ . وغنى الحق مقدم في المعنى على فقراء الخلق اليه . لا ، بل هما سؤالان تقدّم احدهما على الآخر . فان الغنى عن الخلق لله ازلاً ، والفقر للممكن في حال عدمه الى الله ، من حيث غناه ، ازلاً . والموصوفات بالازل ، نفياً وأثباتاً ، لا يتقدّم احدهما على الآخر . لأن الازل لا يصح فيـه تقدّم ولا تأخّر . فافهم ! » .

(فتوحات : ٣ : ١٠٠–١٠١)

١٤٠) « الجواب : آمين ، على ما تقدم في الحمد من الاوصاف والاصناف . إلى هذا اشارة الحكيم بالسؤال . ومن حيث الكلمة (لعل الصواب : الحكمة) ، فلها اجوبة أُخر لا تقتضيها اجوبة السائل ، فلهذا جئنا بهذا الجواب وهو بالقصر » .

(الجواب المستقيم ، ورقة ٢٤٩ب – ٢٥٠أ) .

« الجواب : لما اراد الثناء بما هو دعاء في مصالح ترجع الى الداعي – قيل له : قل : آمين . وهي تقصر وتمدّ . قال الشاعر في القصر :

تباعد مني فطحل وابن أمه — أمين – فزاد الله ما بيننا بعدا

= يعني حتى يتفرد مع الحق الذي لا يقبل البينية . – وقال الشاعر في المدّ :

يا رب ، لا تسلبني حبها أبدًا — ويرحم الله عبداً قال : آمينا!

= يعني في دعائه بالبعد بينه وبين من يقبل البينية . (لعل هـذا التفسير خاص بالبيت الاول ؛ وتفسير البيت الاول خاص بالثاني) .

وورد في الشرع الجهر بها (= بآمين) والاخفاء . لان الامر ظاهر وباطن . فالباطن يطلب الاخفاء والظاهر يطلب الجهر . غير ان الظاهر أعمّ . فاذا جهر بها (بآمين) فقد حصل حظ الباطن . واذا اسرّ بها لم يعلم الظاهر ما جرى . والباطن خصوص ، والاسرار بها خاص لخاصّ . والظاهر عموم ؛ فالجهر بها عامّ ، لعامّ وخاصّ .

« من ذكرني في نفسه ذكرته في نفسي . ومن ذكرني في ملأ ذكرته في ملأ خير منه » . وكل مذكور في ملأ مذكور في النفس . وما كل ما هو مذكور في النفس يكون مذكوراً في الملأ .

قوله ، عليه السلام: « او استأثرت به في علم غيبك » ، هي اسماء لا يعلمها إلا هو . فعلم السر أتمّ . « وعنده مفاتح الغيب لا يعلمها إلا هو » = فالمفاتيح العلم بها خاص له . والغيب « قد يظهر على غيبه » من يرتضيه من رسله : « إلا من ارتضى من رسول » .

(السؤال الحادي ومائة) : وما السجود ر[٢] (١٦١) ؟

فالسر بها (= بآمين) أتم منها من الجهر بها . والجهر بها اعم منفعة من السر (في الاصل: + السر) بها . – « آمين » = معناه أجبْ دعاءنا . لا ، بل معناه : قصدنا اجابتك فيما دعوناك فيه . يقال : أمَّ فلان جانب فلان ، اذا قصده : « ولا آمين البيت الحرام » أي قاصدين . – وخفف آمين للسرعة المطلوبة في الاجابة . والمدّة تقتضي الاسراع في الاشياء .

« فمن وافق تأمينه تأمين الملائكة – فقد غفر له » = ولم يقل : فقد اجيب . لانه لو اجيب لا غفر له . لان المهدي ماله ما يغفر . – أي : فمن آمن مثل تأمين الملائكة . هذا معنى الموافقة ، لا الموافقة الزمانية . وقد تكون الموافقة الزمانية ، فيحوجهم زمان واحد عند قولهم : آمين .

والملائكة ، لا يخلو قولها في « آمين » ، هل يقولونها متجسدين أو يقولونها غير متجسدين ؟ فان قالتها متجسدة – فربما يريد الموافقة الزمانية خاصة . لان التجسد يحكم عليهم بالاتيان بلفظة « آمين » ، اي بترتيب هذه الحروف وان قالتها غير متجسدة – فلم تبق الموافقة إلا ان يقولها العبد بالحال التي يقولها الملك .

والحال ، هنا ، على اقسام . الحال الواحدة ، أن يقولها بربه . فان الملك يقولها كذلك . او يقولها بحاله ، التي تقتضيها ذاته . فالانسان اذا قالها كذلك ، قالها ، من حيث روحانيته لا (الأصل : إلا) من حيث حسه . أو يقولها بحكم النيابة ، فالملك قد يقولها كذلك . او يقولها وهو هو ، فالملك قد يقولها كذلك .

وقول الانسان بحكم النيابة هو قوله بحكم الصورة التي خلق عليها . فينبغي للانسان ان يقولها بكل حال يقولها الملك ، من هذه الاقسام التي ذكرناها . فاذا قالها ، غفر الله له . ولا بُدَّ ان يستره الله عن كل امر يضاد الهداية بما تنتج ؛ لا بد من ذلك . لان نتيجة الهداية سعادة . وقد يكون في حياته الدنيا غير مهدي ، والعناية قد سبقت ، فيجني ثمرة الهداية . – فلهذا لم يقل : أجيب ، وقال : « غفر » .

فهذا معنى قوله : آمين . – وكل داعٍ بحسب ما دعا . فان الله يستجيب له بأمر سعادي لا بما عينه . فقد أجابه بما فيه سعادته ، اذ هي المطلوب الاعم في كل دعاء داعٍ » .

(فتوحات : ٢ : ١٠١)

١٦١) الجواب : سجود الظلال . ولما سجد قلب سهل بن عبدالله ، اجابه العبّاداني : الى الابد . فالسجود بقاؤه في تجليه ابدًا . فان الله تعالى مــا كتب ايمانًا في قلب فمحاه ؛ ولا اسجد قلب عين لتجليه فأقامه . فالسجود لا يكون الا خلف حجاب القربة : وهو مشاهدة معرفتك بك » . (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ أ) .

ر[٢] السحر ٧ .

« الجواب : السجود ، من كل ساجد ، مشاهدة اصله الذي غاب عنه ، حين كان فرعاً عنه . فلما اشتغل بفرعيته عن أصليته – قيل له : اطلب ما غاب عنك ، وهو أصلك الذي عنه صدرت . فسجد الجسم الى التربة ، التي هي اصله . وسجد الروح الى الروح الكل ، الذي عنه صدر . وسجد السرّ لربه ، الذي به نال المرتبة .

والاصول كلها غيب . ألا تراها قد ظهرت في الشجر أصولها (وهي) غيب ؟ فان التكوين غيب لا يشاهده أحد . الجنين يتكوّن في بطن أمه ، فهو غيب . حيوان آخر يتكوّن في البيض ، فاذا كمل تشقّق عنه . – الحق اصل وجود الاشياء وهو غيب لها . – السجود تحية الملوك . لما كان السوقة دون الملك ، فالملك له العلو والعظمة ، فاذا دخل عليه من دونه سجد له : اي منزلتنا منك منزلة السفل من العلو . فانهم نظروا اليه من حيث مكانته ورتبته لا من حيث نشأته ، فانهم على السواء في النشأة .

سجدت الملائكة لمرتبة العلم ، فكان سجودها « لا علم لنا » = وهو الجهل . – سجدت الظلال لمشاهدتها مَنْ خرجت عنه ، وهي الاشخاص . يستتر ظل الشخص عن النور بأصله ، الذي انبث عنه لئلا يفنيه . فلم يكن له بقاء إلا بوجود الاصل . – فلا بقاء للعالم إلا بالله . – « السلطان ظل الله في أرضه » . « العرش ظل الله يوم القيامة » . العرش عين الملك . يقال : ثُلَّ عرش الملك ، اذا اختلّ ملكه عليه . – « الرحمن على العرش استوى » = اي على ملكه .

سجود القلب ، اذا سجد ، لا يرفع أبداً . لان سجوده للاسماء الالهية لا للذات . فانها هي التي جعلته قلباً ، فهي تقلبه من حال الى حال ، دنيا وآخرة . فلهذا سمته قلباً . فاذا تجلى له الحق مقلباً ، فيرى انه في قبضة مقلبه ، وهو الاسماء الالهية التي لا ينفك مخلوق عنها . فهي المتحكمة في الخلائق . فمن شاهد لها ، وهو الذي سجد قلبه ؛ ومن غير مشاهد لها ، فلا يسجد قلبه . وهو المدّعي ، الذي يقول : أنا ! وعلى من هذه صفته ، يتوجه الحساب والسؤال يوم القيامة ، والعقاب ان عوقب . ومن سجد قلبه ، فلا دعوى له : فلا حساب ولا سؤال ولا عقاب .

فلا حالة اشرف من حالة السجود ، لانها حالة الوصول الى علم الاصول . فلا صفة أشرف من صفة (هذا) العلم ، فانه معطي السعادة في الدارين ، والراحة في المنزلتين .

اصل الاعداد الواحد . فلا وجود لها الا به . وبه بقاؤها . فمن لا علم له بأحدية خالقه ، كثرت آلهته ، وغاب عن معرفته بنفسه ، فجهل ربه .

فصار عبداً لكل ربّ فهو محل لكل ذنب

والسجود يقتضي الديمومة . ولهذا قال الشيخ ايضاً لسهل بن عبدالله : « الى الأبد » . لان السجود الخضوع . والاسجاد ادامة النظر . وكل من تطأطأ فقد سجد .

وقلن له : اسجد لليلى فأسجدا

(السؤال الثاني ومائة) : وما بدؤه[١٤٢] ؟

اي طأطأ البعير لها لتركب. – والتطأطؤ لا يكون إلا عن رفعة . والرفعة في حق كل من سوى الله ، خروج عن أصله . فقيل له : اسجد ، اي تطأطأ عن رفعتك المتوهمة ، واخضع من شموخك بان تنظر إلى أصلك فتعرف حقيقتك . فانك ما تعاليت ، حتى غاب عنك أصلك . فطلبك على أصلك طلبك الغيب عينه . ومن عرف اصله عرف عينه ، اي نفسه . ومن عرف نفسه عرف ربه . ومن عرف نفسه لم يرفع رأسه . ومن عرف ربه رفع رأسه ، فانه مخلوق على صورة ربه . ومن نعوت ربه « الرفيع » فلا بد ان يرفع نفسه .

وبعد هذه الرفعة ، يقال له : إسجد ! فيسجد وجهه . فيسجد قلبه . فيرفع وجهه من السجود ، فلا يدوم . فان القبلة التي سجد لها لا تدوم . والجهة التي سجد لها لا تدوم . فرفع لرفع المسجود له . وسجد القلب فلم يرفع . لانه سجد لربه : فقبلته ربه . وربه لا يزول . ولا ترتفع عن الوجود ربوبيته . فالقلب لا يرفع رأسه من سجوده أبدًا . لان قبلته لا ترتفع . – فهذا معنى السجود ! »

(فتوحات : ٢ : ١٠١-١٠٢)

١٤٢ « الجواب : السجود الذي اسجدك » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ أ) .

« الجواب : بدؤ السجود ، الذي أسجدك ، تنوع الحالات وتنزاحها عليك . فنبهك ذلك على النظر في السبب الموجب لذلك . فطلبت ، فعلمت انك معلول . وكل معلول فلا قيام له بنفسه . فان المريض لا يمرض نفسه . وما كل ما تقام فيه من تغير الاحوال يرضيك . واذا لم يرضك فقد أمرضك . فلا بد من ممرض . ومن طلب الممرض فقد افتقر . فعلمت انك فقير . واذا افتقرت فهو كسر فقار ظهرك ، لم يتمكن لك ان ترفع رأسك . فانت موصوف بالسجود دائمًا . فهذا بدؤ السجود .

وان اراد بقوله : « ما بدؤه » يعني : ما بدؤه فيك ؟ اي ما هو اول شيء يعطيك السجود من منحه ؟ – فنقول : القربة . والقربة مؤذنة ببعد متقدم . وكل ذلك يؤدي الى الحد ، ولاحد : فانه « البعيد القريب » . فاعلم ان الهوية المسماة « بالبعيد القريب » هي التي أعطتك السجود ، وبدأك بها منحة ؛ ولكن من كونها تسمى « بالبعيد القريب » . فنقلتك (الهوية) من النعت البعيد الى النعت القريب : فنقلتك من البعد الى القربة .

قال الله تعالى : « واسجد واقترب » . ولم يقل غير ذلك من الاحوال . فدل على ان أول شيء ينتجه السجود هو القربة . ثم بعد ذلك تعطى من مقام القربة ما يليق بالمقربين من الملائكة والنبيين . فتلك عوارف التقريب . والتقريب منحة السجود . والسجود منحة النظر في تغير الاحوال . والنظر في تغير الاحوال حكم تغير الأحوال . وتغير الاحوال

(السؤال الثالث ومائة) : وما قوله : « العزة[ز٣] ازاري (١٥٦ ب) (١٤٣) ؟

كونك على « الصورة » : « كل يوم هو في شأن » . وكونك على « الصورة » كونك مظهراً للاسماء الالهية . وكونك مظهراً للاسماء الالهيــة أعطاك الرفعة . ولاتصافك بالرفعة أمرت بالسجود . فاعلم ا ه . (فتوحات : ٢ : ١٠٢)

١٤٣) « الجواب : القهر الذي تجده عند إدراك السر الذي به ظهور العالم » (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٠٠/١) .

« الجواب : لما أنعم الحق على عباده ، حين دعاهم الى معرفته ، بالتنزل بضرب الامثال لهم ، ليحصلوا بذلك القدر ، الذي اراد منهم ، ان يعلموا منه . مثل قوله : « مثل نوره كمشكاة فيها مصباح » لقوله : « الله نور السماوات والارض » . فجعل النور نفسه ، لانه خبر المبتدأ ، اي صفته وهويته النور ، من حيث إنه الله النور . وأين نور المصباح من قوله : « الله نور » ؟

وكذلك الخبر : « ان الله تعالى اذا تكلم بالوحي كأنه سلسلة على صفوان » . وأين كلام الحق مقام من ضرب « سلسلة على صفوان » ؟ كذلك قوله : « العزة ازاري » . فأنزل نفسه لعباده منزلة من يقبل الاتصاف بالازار . وان مراده من علمهم به في مثل هذا ما يناسب الازار وما يستره الازار .

واعلم ان الازار يتخذ لثلاثة امور : الواحد للتجمل ؛ والثاني للوقايــة ؛ والثالث للستر . والمقصود في هذا الخبر ، من الثلاثة ، الوقاية خاصة . لاجل قوله : « العزة » فان العزة تطلب هنا الامتناع من الوصول اليه . لان الازار يقي موضع الغــيرة ان تطلع اليه الابصار .

ولما كانت العزة مثبتة الحمى ان يتصف بها على الحقيقة خلق من المخلوقات ، او مبدع من المبدعات ، لاستصحاب الذلة للمخلوقات والمبدعات وهي تناقض العزة ؛ فلما اتزر الحق بالعزة منع العقول ان تدرك قبول الاعيان للايجاد ، الذي اتصفت به وتعينت لأعيانها ؛ فلا يعلم ما سوى الله صورة ايجاده ولا قبوله ولا كيف صار مظهراً للحق ولا كيف وصفه بالوجود ، فقيل فيــه : موجود ، وقد كان يقال فيه : معدوم — فقال الحق : « العزة ازاري » . اي هي حجاب على ما من شأن النفوس ان تتشوف الى تحصيله . ولهذا قال : « من نازعني واحداً منها قصمته » . فأخبر انه ينازع في مثل هذه الصفات ، التي لا تنبغي إلا له : مثل العزة والعظمة والكبرياء . — والعزة القهر ، الذي تجده ، عن ادراك السر الذي به ظهور العالم » . (فتوحات : ٢ : ١٠٢–١٠٣)

ز٣ العز ٧ .

(السؤال الرابع ومائة) : وما قوله : « العظمة ردائي » (١٤٤) ؟

١٤٤) الجواب : الامر الذي يمنعك من ادراكه عند الرؤية (الاصل: الرئة)» (الجواب المستقيم ، ورقة ٢٥٠ أ) .

« الجواب : ان الله قد نبّه ان العظمة ، التي تلبسها العقول ، رداء يحجبها عن ادراك الحق عند التجلي . فليست العظمة صفة للحق على التحقيق ، وانما هي صفة للقلوب العارفة به . فهي عليها كالرداء على لابسه . وهي من خلفه تحجبها تلك العظمة عن الادلال عليه وتورثها الاذلال بين يديه .

ومن الدليل على ان يوصف العظيم بالعظمة ، انه راجع الى العالم به لا اليه ، ان المعظّم اذا رآه من لا يعرفه لا يجد لذلك النظر في قلبه هيبة ولا تعظيماً ، لجهله به . والذي يعلم مكانته ومنزلته ، له على قلبه سلطان العالم به فيورثه ذلك العالم عظمة في قلبه . فهو الموصوف بالعظمة لا العظيم .

وقد ورد خبر ، ذكره ابو نعيم الحافظ في دلائل النبوة : « أن جبريل اخذ رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، فأسرى به في شجرة فيها كوكري طائر . فقعد جبريل في الواحد وقعد رسول الله ، صلى الله عليه وسلم ، في الآخر . فلما وصلا الى السماء الدنيا — تدلّى اليهما شبه الرفرف ، درًّا وياقوتًا . فأما جبريل فغشي عليه . واما محمد ، صلى الله عليه وسلم ، فبقي على حاله ، ما تغير عليه شيء . فقال رسول الله ، صلى الله عليه وسلم : فعلمت فضل جبريل عليّ في العلم . لانهُ علم ما رأى وأنا ما علمتهُ » . فالعظمة التي حصلت في قلب جبريل ، انما كانت من علمه بما تدلّى اليه . فقلب جبريل هو الموصوف بتلك العظمة . فهي حال للرائي لا للمرئي . ولو كانت العظمة حالاً للمرئي لعظّمهُ كلّ من رآه . والامر ليس كذلك .

وقد ورد في الحديث الصحيح : « ان الله يتجه يوم القيامة لهذه الأمة ، وفيها منافقوها ، فيقول : انا ربكم ! فيستعيذون منه ، ولا يجدون له تعظيمًا ، وينكرونه لجهلهم به . فاذا تجلّى لهم في العلامة التي يعرفونه بها انهُ ربهم ، حينئذ يجدون عظمته في قلوبهم والهيبة » . — فلهذا قلنا في قوله : « العظمة ردائي » اي هي رداؤه الذي تلبسه عقول العلماء به . وجعلها رداء ولم يجعلها ثوبًا ، فان الرداء لهُ كميّة واحدة والثوب مؤلف من كميات مختلفة ، ضمّ بعضها الى بعض ، كالقميص . وكذلك ايضاً الازار مثل الرداء . ولم يقل : السراويل ، لان ذلك اقرب الى الاحدية من الثوب المؤلف ، لتنوّع الشكل » . (فتوحات : ٢ : ١٠٣)

(يتبع)

الرازي الطبيب الإكلينيكي

نصوص من مخطوطات لم يسبق نشرها

للدكتور ا. ز. اسكندر

مقدمة

إن تقويم أعمال أبي بكر محمد بن زكريا الرازي كطبيب إكلينيكي، وهو الفن الذي قد اشتهر به، قد أرسي على أسس ثابتة. فقد نُشرت وتُرجمت بعض قصص المرضى التي عُثر عليها في كتاب «الحاوي في الطب»[1]، الذي أثبتنا أنه لا يعدو عن كونه مذكرات الرازي الخاصة[2]. أما تقويمه في بقية فروع الطب، فلن يكون صادقاً حتى تُحقق وتُنشر نصوص كتبه التي حُفظت في شتى مكتبات العالم. وكل ما نُشر حتى الآن من كتب الرازي الطبية، التي تزيد في عددها على المائة، هي كتاب «الجدري والحصبة»[3]، وكتاب

(١) يرجع الفضل في اكتشاف هذه القصص، في مخطوط (Marsh 156) بمكتبة بودليانا باكسفورد (ورق ٢٣٩ ظهر – ورق ٢٤٥ ظهر) إلى المستشرق «براون». وقد حقق نص القصة الأولى، وترجمها إلى اللغة الانجليزية، كما حاول تشخيص هذه الحالة المرضية. انظر:
E. G. BROWNE, *Arabian Medicine*, Cambridge, 1921, pp. 51-53.
وحقق نصوص الثلاث والثلاثين قصة الطبيب «مايرهوف»، ثم حاول تشخيص كل منها؛ ونشر النصوص المحققة مع ترجمة انجليزية. انظر:
M. MEYERHOF, *Thirty-three clinical observations by Rhazes* (circa 900 A.D.), *Isis*, XXIII (1935) 321-56; (Arabic texts 1-14).

(٢) انظر:
A. Z. ISKANDAR, *A Study of ar-Râzî's Medical Writings with selected Texts and English Translations*, a Thesis submitted for the Degree of Doctor of Philosophy in the University of Oxford, 1959, part I, chapter IV, pp. 93-105.
وتوجد من هذه الرسالة، التي تقع في جزءين، نسخة بمكتبة بودليانا باكسفورد؛ وأخرى بمكتبة: Wellcome Historical Medical Library, London.

(٣) انظر:
J. CHANNING, *Rhazes de Variolis et Morbillis*, Arabice et Latine, London, 1766, pp. 1-201.

« الحصى في الكلى والمثانة »[١] والجزء الخاص بالتشريح من كتاب « المنصوري في الطب »[٢] ، وكتاب « بر. الساعة »[٣] ، وكتاب « دفع مضار الأغذية »[٤] ، وكتاب « الطب الروحاني »[٥] وبعض أجزاء من كتاب « الحاوي في الطب »[٦] ، وكتاب « محنة الطبيب »[٧] . وأما كتاب « المرشد أو الفصول » ، فهو وشيك الطبع[٨] .

وإن من يدرس كتب الرازي الطبية ، فكأنه قد درس الطب العربي كله أو جله ، حتى القرن الرابع الهجري ، بل وبعد ذلك ببضعة قرون . ففي

(١) انظر :

P. de Koning, *Traité sur le calcul dans les reins et dans la vessie*, par Abū Bakr Muhammed Ibn Zakariyā al-Rāzī, traduction accompagnée du texte, Leyde, 1896, pp. 3-55.

(٢) انظر :

P. de Koning, *Trois traités d'anatomie arabes*, texte inédit de deux traités, traduction, Leyde, 1903, pp. 2-89.

(٣) ب. جيج : « بر. الساعة لمحمد بن زكريا الرازي » ، مجلة المشرق ، العدد ٩ ، سنة ١٩٠٣ ، ص ٣٩٥–٤٠٢ ؛

P. Guigues, *La guérison en une heure de Rhazès*, *Janus archives internationales pour l'histoire de la médecine et la géographie médicale*, 1903, pp. 363-70; 411-18; — id., *La guérison en une heure de Rhazès*, texte arabe avec notes, Beyrouth, 1903.

(٤) « كتاب منافع الأغذية ودفع مضارها » ، الطبعة الأولى ، المطبعة الخيرية بمصر ، سنة ١٣٠٥ هـ .

(٥) ب. كراوس ، « رسائل فلسفية لأبي بكر محمد بن زكرياء الرازي مع قطع من كتبه المفقودة » ، الجزء الأول ، مطبوعات جامعة فؤاد الأول ، سنة ١٩٣٩ ، ص ١٥–٩٦ . وانظر الترجمة الانجليزية في كتاب :

J. Arberry, *The Spiritual Physic of Rhazes*, translated from the Arabic, London, 1950.

(٦) كتاب « الحاوي في الطب » ، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي : الطبعة الأولى ، دائرة المعارف العثمانية ، حيدر آباد – الدكن ، سنة ١٣٧٤ هـ / ١٩٥٥ م وما يليها .

(٧) ا. ز. اسكندر : « كتاب محنة الطبيب للرازي » ، مجلة المشرق : العدد ٥٤ ، سنة ١٩٦٠ ، ص ٤٧١–٥٢٢ .

وقد أشرنا في هذا المقال (ص ٤٧٦–٤٧٧) إلى طبعات لبعض كتب الرازي ، بلغات أجنبية .

كما أشار الطبيب محمود نجم آبادي في مقال عنوانه : « كتاب المنصوري للرازي » إلى طبعات لكتاب « المنصوري » ، بلغات أجنبية .

انظر مجلة الدراسات الأدبية ، الجامعة اللبنانية ، العدد ٢ ، سنة ١٩٦١ ، ص ٢١٧–٢١٨ .

(٨) « كتاب المرشد أو الفصول » ، تقديم وتحقيق ا. ز. اسكندر . وستتولى الادارة الثقافية – جامعة الدول العربية – نشره قريباً .

كتب الرازي تلخيص أمين للطب اليوناني المترجم ، والطب العربي المعاصر لزمانه .

وكان الرازي ينسب كل ما ينقله من معلومات إلى أصحابها ، ويذكر الباب أو الفصل الذي استمد منه المادة ، ثم يميز آراءه الخاصة وخبراته الشخصية بلفظة « لي » ، فهو يقول مثلاً في كتاب « الحاوي في الطب » :

« لي :

المرض لا يقتل في وقت ابتدائه ، لأنه لم يبلغ إلى الطبيعة ، ولا في وقت انحطاطه ، لأنه حينئذ قد قُهر وغُلب ، وليس يكون في هذين الوقتين موت ، إلا لعلة واردة .

جالينوس لما أراد أن يعلم كيف يُتعلَّم البُحران ، اضطر في ذلك إلى أن يُعلِّم أولًا أوقات الأمراض . واضطر في تعليم أوقات الأمراض إلى أن يعلِّم الاستدلال على تعرّف نوع المرض منذ أول ابتدائه ، والاستدلال على النضج وعدمه . لأن الأمراض منها طويلة [1] ومنها قصيرة ، لأن النضج لا يكون إلا بالقرب من المنتهى . فخص أكثر « المقالة الأولى » من كتاب « البُحران » بأوقات الأمراض ، و« الثانية » بتعرف أنواع المرض ، و « الثالثة » بعرض في « البحران »[2].

بقراط والرازي :

إن طريقة الرازي في دراسة مرضاه ، وفي تسجيل وصف دقيق لحالاتهم هي إحياء لطريقة بقراط ، بعد أن ظلت كامنة زهاء أربعة عشر قرناً . وكان الرازي يؤمن بأهمية دراسة الحالات المرضية دراسة تحليلية لتفهم ما تتضمنه العلامات وما تدل عليه الأعراض وأيام البُحران وغيرها ، مما يسجله من مشاهدات أثناء سير المرض .

وقد كتب في مذكراته الخاصة مؤكدًا أن الفائدة التي سيجنيها شخصياً ستكون عظيمة ، لو أنه درس قصص مرضاه التي سجلها بكل دقة ، دراسة

(١) طويلة : + طويلة .
(٢) مخطوط Marsh 156 (بودليان) ورق ٣١٤ ظهر س ١٣-٣١٥ وجه س ١ .

مقارنة مع قصص مماثلة، ذكرها بقراط في كتابه « ابيذيميا »[١].

وهناك دليل مادي على أن الرازي كان يسترشد في طرق العلاج ببقراط. ففي النص التالي، المأخوذ من مذكرات الرازي الخاصة، يقتبس الرازي جزءاً من تفسير جالينوس لكتاب « الفصول » لبقراط، فيكتب ما تدل عليه الاستفراغات من كمية الأخلاط الفاسدة، ثم يقترح علاجات، ويؤكد بعد ذلك ان من واجب الطبيب ان يسهر على حفظ قوة العليل اثناء المرض، إذا أراد ان يقتدي ببقراط في طريقه العلاج. يقول الرازي:

« الثانية » من « الفصول »:

متى اندفعت إلى بعض الأعضاء فضلة كالخوانيق، او الجراحات والبثور، فانظر:

فإن كان ما يبرز من البدن مراريا، فاعلم ان الدم كله ردي، وفي البدن أخلاط رديّة؛

وإن كان ما يبرز من البدن كالذي يبرز من الأصحاء، فاعلم ان جميع ما كان في الدم من الرداءة، هو ما قد دفعه.

فتقدم في هذه الحال على تغذية البدن بثقة.

لي:

اما في الحال الأولى، فانه يحتاج الى استفراغ، لينقي الدم مما فيه، فأما في هذه الحال، فلأنّ الدم جيد نقي، فهو يحتاج الى تقوية القوة.

لي:

ان اردت ان تكون بقراطياً صحيحاً، فعليك بحفظ القوة جهدك.

قال:

بقراط يصرف اكثر عنايته في الأمراض الى حفظ القوة؛ اذا ضعفت لم يعن العلاج شيئاً »[٢].

(١) انظر نفس المخطوط السابق ورق ٢٣٩ ظهر.
انظر أيضاً مقال:
M. Meyerhof, *Thirty-three clinical observations by Rhazes* (circa 900 A.D.), *op. cit.*, p. 332.

(٢) مخطوط Bod. Or. 561 (بودليانا) ورق ٢٠٦ ظهر س ٦–١٠.

وهذان نصان من كتاب « الحاوي في الطب » . ويطابق رأي الرازي فيها رأي بقراط في اهمية حفظ قوة العليل . ويستشهد الرازي بالتجربة على ما كتبه فيقول :

« لي :

اما جودة الدلائل، فلا نثق بها إلا بالنظر[١] في المنتهى . واما الرديّة فلا نحكم فيها حكم ثقة إلا مع إسقاط القوة . واجعل هذا اصلًا وعمادًا .

لي :

رأيت رجلًا ليس يظهر فيه من علامات الهلاك شيء البتة، الا الإسقاط من القوة جدًا، حتى انه لا يتحرك إلا بجهد، فمات من غد .

واجعل هذا اعظم الدلائل الرديّة »[٢] .

« لي :

على ما رأيت وجربت[٣] ...

واعلم ان فيما ينبغي ان تنظر فيه وأنفعه، ان تتفقد[٤] بعناية شديدة وحدس مقرب مقدار القوة ومقدار زمان النضج .

وافعل ذلك من اول ما ترى المريض . فإن رأيت ان يكون [النضج] قبل ان يقدر جواز القوّة، فثق بالسلامة ؛ وبالضد »[٥] .

ويقول الرازي في كتاب « المرشد او الفصول » :

« القوة للعليل كالزاد، والمرض كالطريق . ولذلك يجب ان يعنى الطبيب كل العناية بأن لا تسقط القوة قبل المنتهى »[٦] .

جالينوس والرازي :

من المحقق ان كتب جالينوس كان لها الأثر الكبير في تكوين الرازي

(١) بالنظر : النظر .
(٢) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٢٠ ظهر س ٣–٧ .
(٣) نفس المخطوط السابق، ورق ١٩ ظهر س ٨ .
(٤) تتفقد : تفقد .
(٥) نفس المخطوط السابق، ورق ١٩ ظهر س ١–١٧ .
(٦) مخطوط رقم ٣٧٢٤ بمكتبة جامع أياصوفيا ورق ٤٠ وجه س ٢–٣ ؛ مخطوط رقم ٥٩٤ طب طلعت بدار الكتب المصرية ورق ٥٢ ظهر س ٦–٧ .

الطبيب . وهذا امر طبيعي . فاي مشتغل بعلم من العلوم، او فن من الفنون يسعى سعياً حثيثاً لتحصيل ما جناه أسلافه من ثمرات، ودراسة ما تقدموا به من نظريات . وقد عثرنا في مخطوطات الرازي التي قرأناها في فترة اربع سنين، على نصوص من كتب جالينوس، تزيد في مجموعها على ما نقله الرازي من كتب الاطباء الآخرين . فقد ورد في كتب الرازي — من تآليف جالينوس — ذكر كتب « اجزاء الطب »[١] ، و « اختصار حيلة البرء »[٢] ، و «أدوار الحميات وتراكيبها»[٣] ، و« الأدوية الموجودة في كل مكان »[٤] ، و«الأدوية المفردة »[٥] ، و « الأدوية المقابلة للأدواء »[٦] ، و« أزمان الأمراض»[٧] ، و « الاسطقسات »[٨] ، و « اصناف الحميات »[٩] ، و « أغلوقن »[١٠] ،

---

(١) مقالة واحدة : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣١ (رقم ٦١) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ٥ .

(٢) مقالتان : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣٤ (رقم ٧٠) .

(٣) مقالة واحدة : انظر نفس المرجع السابق ، ص ٣٢—٣٣ (رقم ٦٥) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ١٠ .

(٤) مقالتان : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣٧—٣٨ (رقم ٨٠) .

(٥) إحدى عشرة مقالة : انظر نفس المرجع السابق ، ص ٢٩—٣٠ (رقم ٥٣) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٨ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٦ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ س ١٨ .

(٦) مقالتان : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣٨ (رقم ٨١) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٨ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٧ ؛ ابن أبي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٨ ، س ٢٣—٢٤ .

(٧) مقالة واحدة : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٣٠ (رقم ٥٥) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ ، س ٢٩ .

(٨) مقالة واحدة : انظر برجستراسر — حنين ، ص ٩ (رقم ١١) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٣ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ٧ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ص ٩٢ س ٢ .

(٩) مقالتان : انظر برجستراسر — حنين ، ص ١٥ (رقم ١٧) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٧ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ص ٩٧ س ١٠ .

(١٠) يقول حنين بن اسحق (برجستراسر — حنين ص ٦—٧ (رقم ٦) : إن أطباء الاسكندرية قد اختاروا من بين كتب جالينوس الستة عشر ورتبوها سبع مراتب وسميت المرتبة الأولى « المدخل إلى الطب » : وهي تشمل كتاب « الفرق » ؛ وكتاب « الصناعة الصغيرة » ، وكتاب « النبض الصغير » ؛ وكتاب « اغلوقن » .. واغلوقن اسم علم يوناني ، ويظهر أن جالينوس أهدى كتابه إليه . والكتاب يبحث في شفاء الأمراض .

انظر أيضاً ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ؛ ص ١٠٦ س ١—٢١ .

و « الامتلاء »[١] ، و« ان الطبيب الفاضل فيلسوف »[٢] ، و« الأورام »[٣] ، و« ايام البُحران »[٤] ، و« البُحران »[٥] ، و« تدبير الأمراض الحادة »[٦] ، و « التدبير الملطف »[٧] ، و « تركيب الادوية »[٨] ، و « الترياق الى فيسن »[٩] ، و « تعرُّف علل الأعضاء الباطنة »[١٠] ، و « تفسير كتاب ابيذيميا »[١١] ، و « تفسير كتاب الأخلاط »[١٢] ، و « تفسير كتاب تدبير

---

(١) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٠–٣١ (رقم ٥٦) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٥ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٥ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ ، س ٣٠–٣١ .

(٢) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٤ (رقم ١٠٣) ؛ الفهرست ص ٢٩١ س ٣ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٠ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ٢٩ .

(٣) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣١ (رقم ٥٧) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٩ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٦ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ السطر الأخير .

(٤) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٦ (رقم ١٩) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٨ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٣ س ١٧ .

(٥) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٥–١٦ (رقم ١٨) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٧ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٣ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٣ س ١٥ .

(٦) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٦ (رقم ٧٨) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٦–٢٧ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٥ ؛ ابن ابي أصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٨ س ٤ .

(٧) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٦ (رقم ٧٥) ؛ الفهرست ص ٢٩١ س ٢٤–٢٥ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٤ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ٣١ .

(٨) سبع عشرة مقالة . وتسمى السبع مقالات الأولى باسم « قاطاجانس » ، وأما العشرة مقالات الأخرى فيطلق عليها اسم « الميامر » .

انظر : برجستراسر – حنين ، ص ٣٦–٣٧ (رقم ٧٩) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٧–٢٨ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٧–٨ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٨ س ٥ .

(٩) ويسمى هذا الكتاب « الترياق إلى قيصر » ، وهذا خطأ شائع . – مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٨–٣٩ (رقم ٨٣) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ في السطر الأخير – ص ٢٩١ س ١ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٩ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٨ س ٢٥–٢٦ .

(١٠) ويسمى هذا الكتاب أيضاً « الأعضاء الآلمة » . – ست مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٢–١٣ (رقم ١٥) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٥–٢٦ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٠ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٢ س ٢٥ .

(١١) كتب جالينوس ثلاث مقالات في تفسير الجزء الأول من كتاب « ابيذيميا » ؛ وثلاث مقالات في تفسير الجزء الثاني ؛ وست مقالات في تفسير الجزء الثالث ؛ وثمان مقالات في تفسير الجزء السادس . ولكنه لم يكتب في تفسير الجزء الرابع ، والخامس ، والسابع لأنه رأى أن هذه الأجزاء ليست من تأليف بقراط ، وهي منسوبة إليه .

انظر : برجستراسر – حنين ، ص ٤١–٤٢ (رقم ٩٥) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٥ ؛ ابن القفطي ص ٩٤ س ١٦ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ١٠–١٣ .

(١٢) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٢ (رقم ٩٦) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٧–١٨ ؛ ابن القفطي ص ٩٤ س ١٩–٩٥ س ٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ١٣ .

الامراض الحادة »[١] ، و « تفسير كتاب تقدمة المعرفة »[٢] ، و « تفسير كتاب الفصول »[٣] ، و « تفسير كتاب قاطيطريون »[٤] ، و « حركة العضل »[٥] ، و «حيلة البرء »[٦] ، و « الصناعة الطبيّة »[٧] ، و «العروق»[٨] ، و« العضل »[٩] ، و« العلامات او الدلائل »[١٠] ، و« علامات الموت السريع »[١١] ، و « العلل والأعراض»[١٢] ، و « الفِرَق »[١٣] ، و « الفَصْد »[١٤] و « قوى

(١) خمس مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤١ (رقم ٩٢) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٢–١٣ ؛ ابن القفطي ص ٩٤ س ١٤–١٥ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ٥ .

(٢) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص٤٠–٤١ (رقم ٩١) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١١–١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ٤–٥ .

(٣) سبع مقالات : أنظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٠ (رقم ٨٨) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٠–١١ ؛ ابن القفطي ص ٩٤ س ١١–١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ٢–٣ .

(٤) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٣ (رقم ٩٨) ؛ الفهرست ص ٢٨٨ س ١٨–١٩ ؛ ابن القفطي ص ٩٥ س ٢–٣ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٩ س ١٤–١٥ .

(٥) مقالتان : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٢٥ (رقم ٣٩) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٢ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ٦–٧ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٥ س ٢١ .

(٦) أربع عشرة مقالة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٦–١٩ (رقم ٢٠) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٤ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٣–١٤ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٣ س ٢١ .

(٧) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٥–٦ (رقم ٤) .

(٨) مقالة واحدة : انظر نفس المرجع السابق ص ٩ (رقم ١٠) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩١ س و ٢٩ .

(٩) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٨ (رقم ٨) ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٢ س ٢٠ .

(١٠) يظهر أن هذا الكتاب منسوب إلى جالينوس. وجاء ذكره في مخطوط Marsh156 (بودليانا) ورق ٢٦ وجه س ١٠ ؛ ونفس المخطوط ورق ٤٩ ظهر س ١٥–١٦ ؛ وفي كتاب «الحاوي في الطب» ، طبعة حيدر آباد سنة ١٩٥٥ ؛ الجزء ١ ، ص ٢١٩ س ١١ .

(١١) مقالة واحدة : انظر ابن ابي اصيبعة ا لجزء ١ ، ص ١٠٢ س ١٨ . ويظهر أن هذا الكتاب هو نفس الكتاب السابق .

(١٢) ست مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١١–١٢ (رقم ١٤) ؛ الفهرست ص٢٨٩ س٢٤–٢٥ ؛ ابن القفطي ص١٢٩ س٩ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٢ س١٦ .

(١٣) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤–٥ (رقم ٣) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢١ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ٤ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٠ س ٢٨ .

(١٤) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٤–٣٥ (رقم ٧١) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٢ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ٢٦ .

الاغذية »[1] ، و « المحنة التي يعرف بهـا أفاضل الاطباء »[2] ، و « المرة السوداء »[3] ، و « المزاج »[4] ، و « منافع الاعضاء »[5] ، و « منفعة النبض »[6] ، و « النبض »[7] ، و « نوادر تقدمة المعرفة »[8] .

ودراسة الرازي في علم التشريح مستقاة من كتب جالينوس ، اما تقسيمه لأجناس الحميات الى « حمى مرض » ، و « حمى عَرَض » ، فهو ثبت برأي جالينوس ثم نقده ، وبيان خطئه وتصحيحه ، ثم الإضافة اليه حسبما يرى الرازي شخصياً انه الصواب . . يكتب الرازي في « كتاب الحاوي » ، في القسم الخاص بدراسة الحميات :

« جمل في الحميات عام ، والاحتراس منها ، والاستعداد ، والحميات المخلّطة ، وطريق تغذية المحموم ، والورم في الأحشاء ، وشيء من سقي[9] الماء البارد والمليلة .

قال جالينوس في المقالة الثانية من كتاب « البُحران » :

ينبغي لك في كل حمى ان تميز وتعلم اولاً هل حماه من قبل ورم في بعض الاعضاء ، او من قبل عفونة ، او من قبل سخونة الروح .

---

(١) ثلاث مقالات : انظر برجيتراسر – حنين ، ص ٣٥ (رقم ٧٤) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٤ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ٤ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٧ س ٣٠ .

(٢) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٤٦ (رقم ١٠٢أ) ؛ الفهرست ص ٢٩١ س ٤ ؛ ابن القفطي ص ١٣١ س ١٣ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ١٠٠ س ٩ .

(٣) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٢ (رقم ٦٤) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ٢٠ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٨–١٩ .

(٤) ثلاث مقالات : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٠ (رقم ١٢) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٣–٢٤ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ٨ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٢ س ٧ .

(٥) سبع عشرة مقالة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٢٧–٢٨ (رقم ٤٩) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٦ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ١٢ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٦ س ٦ .

(٦) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٢٥ (رقم ٤١) ؛ الفهرست ص ٢٩٠ س ١٢–١٣ ؛ ابن القفطي ص ١٣٠ س ٩ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٥ س ٢٥ .

(٧) ست عشرة مقالة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ١٣–١٥ (رقم ١٦) ؛ الفهرست ص ٢٨٩ س ٢٦ ؛ ابن القفطي ص ١٢٩ س ١٠–١١ ؛ ابن ابي اصيبعة الجزء ١ ، ص ٩٣ س ١ .

(٨) مقالة واحدة : انظر برجستراسر – حنين ، ص ٣٤ (رقم ٦٩) .

(٩) سقي : بقي .

لي :

قد ترك ذكر الدِّق ، وفعل ذلك من اجل انها لا تحدث ابتداء ، وانما يُحتاج ان تُعرَف في الابتداء .

هذا الذي ذكره[1] فقط ؟

قال :

اول فصول الحميات ان بعضها يكون عن ورم يحدث في بعض الاعضاء ، وبعضها بلا ورم .

لي :

هذا تحقيق رأينا في انّا قسمنا الحميات اولاً قسمين ، فقلنا :

الحميات إما مرض ؟

وإما عَرَض .

فالعَرَض ما حدث عن الأورام . فالقسمة الصحيحة التامة : ان الحميات جنسان اولان ؟ إما ورمية ، وإما بلا ورم .

وتحت الورمية انواع كثيرة ، كالحميات الحادثة عن ورم الغشاء الذي على الدِّماغ ، والدِّماغ ، والحادثة عن ورم الرئة ، والحجاب ، ونواحي الصدر ، والحادثة عن ورم المري‌ء ، والمعدة ، والأمعاء[2] ، والحادثة عن ورم الكلي والمثانة ، والحادثة عن ورم في الأذن والنخاخ ، والحادث عن ورم في اللحم الرخو في جميع البدن .

واما التي لا ورم معها ، فثلاثة اجناس : الدِّق ، والعفنية ، وحمى يوم .

والدِّق ثلاثة انواع : مجففة ، وذبولية ، ومفتتة .

وحمى يوم : السهرية ، والغمية ، والتخمية ، والتعبية ، والحادث عن احتراق في الشمس ، او عن شدة البرد ، او الاستحمام بالماء القابض ، والحادثة عن الغضب ، والحادثة عن الفزع ، والحادثة عن شرب الشراب ، والحادثة عن طعام حار ، ونحو ذلك .

يستقصى ما تختلف انواعه فقط .

---

(١) ذكره : ذكرها .

(٢) والأمعاء : + الحادثة عن ورم الرئة والحجاب ونواحي الصدر

والعفنية فهي سبعة انواع ، غبين : لازمة ودائرة ، وبلغميتين : لازمة ودائرة ، وربعين : لازمة ودائرة ، ودموية .

جالينوس لا يعد حمى عفن الدم في العدد مفردًا ، لأنه عنده حمى صفراء ، لأن الدم اذا عفن صار صفراء.. ولذلك قال: ان سونوخس هو من عفن الصفراء داخل العروق ، وهو ضرب من المحرقة الغير المفترة .

والغِبّ اللازمة نوعان : منها ما يفتر قليلًا في وقت ، ومنها [ما] لا يفتر. وهذا النوع هو سونوخس على ما ذكر جالينوس في هذه المقالة في هذا الكتاب.

وهذه الغير مفترة ، ثلاثة انواع : إما باقية بحالها منذ اول حدوثها الى ان يجيئ البُحْران ؛ وإما متزيدة من اول حدوثها الى ان يجيئ بُحْران ؛ وإما منتقصة من اول حدوثها الى ان يجيئ البُحْران .

وقد تكون حميات من بلاغم غليظة جدًا ، وهذه تنوب خمسًا وسدسًا ، وربما ثابت كل شهر يومًا . ومن هذه ما يُقبل السخونة ومنها ما لا يُقبله ، فيكون نافض او برد فقط ، لا سخونة تعقبها .

ومن الحميات نوع آخر يكون في الأبدان التي في حوالى معدتها ، ومعدها حرارة كثيرة نارية ، فإن هذه كلما[1] يغتذي يحم . والفرق بينها[2] وبين الدِّق ان الدِّق تثبت، وهذه ينقضي امرها. وهي حمى لينة لا برد معها، تنحط مع انحطاط الغذاء.

فاما ايفيالوس وليفوريا[3] ونحوها ، فانها مركبة .

قال :

متى كانت الكيموسات العفنة في داخل العروق ، كانت[4] الحميات دائمة. ومتى ثارت وانتشرت في البدن ، كانت الحميات في ابتدائها نافض او اقشعرار قوي ، وفي آخرها عَرَق وأقلعت .

قال :

اجناس الحميات العفنة ثلاثة، وذلك ان الدم اذا عفن فقد مال الى الصفراء..

---

(١) كلما : كـ .
(٢) بينها : بينهما .
(٣) ايفيالوس وليفوريا: اسالس ولـوريا . انظر كتاب القانون لابن سينا (طبعة روما) سنة ١٥٩٣ الجزء ٢ ص ٢١ ، ٢٣ .
(٤) كانت : وكانت .

قال :

ومفتاح تَعرُّف جميع انواع الحميات المركبة التي معها اورام، والتي لا اورام معها ، العلم بالحميات الثلاث المفردة .

جالينوس :

هذه الحميات المعفونية :

إثنان بلغمية : لازمة ودائرة ؛

وإثنان سوداوية : لازمة[1] ودائرة ؛

وثلاثة صفراوية : لازمتان وهما المحرقة والمُطبِقة ، ونائبة وهي الغِبّ ، لانه يرى ان الدم اذا عفن فهو صفراء ، والحق يوجب ان نَعُدّ[2] الذي من عفن الدم على حدة ، لأن بين الدم اذا عفن وبين الصفراء اذا عفنت بوناً بعيداً. وانه ليتبين في الحمى المحرقة حدة ويبساً ، وحرارة اكثر مما يتبين في سونوخس كثيراً »[3] .

وفي النص التالي يرى الرازي ان ما كتبه جالينوس في الحميات المركبة ناقص ويقرر ان يبحث الامر ويدونه . يقول :

« وينبغي ان ننظر : هل تتركب الدِّق مع الحميات المركبة ؟ فان الامر في تَعَرُّفها حينئذ أعسر ، ولم يذكر جالينوس ذلك ، فينبغي ان نبحث عنه ونحرره ، ويكتب في « الجامع »[4] .

وكان الرازي يؤمن بالتقدم العلمي : يؤدي واجبه بأمانة ، ويرشد الى الموضوعات العلمية التي تحتاج الى استقصاء ، مؤملاً ان يتكاتف العلماء لبناء صرح العلم . فبعد ان جمع مشاهدات الاطباء الذين سبقوه في وصف اصناف الرسوب التي تتكون في البَول ، والتي منها يمكن الاستدلال على نوع العلة ، يقول الرازي :

(١) لازمة : ولازمة .

(٢) نعد : يفدا .

(٣) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٥٤ وجه س ١٩ — ورق ٥٥ ظهر س ٣ .

(٤) نفس المخطوط السابق ورق ٢٣٨ وجه س ٧—٩ .

« لي :

قد اصلحت انا هذا، وينبغي ان يصلح اكثر من هذا ، حتى تتميز اصناف الرسوب كله بعلامات صالحة واضحة ، ان شاء الله تعالى »[1].

نقد في اساطين الطب :

مذكرات الرازي الخاصة حافلة بنصوص ينقد فيها آراء كثير من الاطباء. ففي النص التالي مثلاً ، لا يقبل الرازي رأياً بقراطياً ، ولكنه يحترم ذلك الرأي ، لا لأن بقراط هو صاحبه ، بل لأن قائله أيد رأيه بذكر حالة مرضية شاهدها . وأصر الرازي على التحقق بالتجربة من صحة ذلك الرأي او بطلانه، بفحص حالات اخرى ، فامتنع بذلك عن قبول قول او قاعدة عامة مبنية على مشاهدة واحدة . يقول الرازي :

« مسائل ابيذيميا : المقالة الاولى :

الثُفل الأحمر اذا كان أملس ، أدل على النضج من الأبيض ، اذا كان غير أملس .

لي :

ننظر في هذا ، ونتفقد ايضاً بالتجربة . وذلك عندي باطل ، لأن البياض يدل على انه قد تشبه بجملة طبع الاعضاء الاصلية ، فان كان [احمر] ، فلم[2] يكمل الفعل فيه .

لكن حكى ذلك في مثال مريض ، فينبغي ان نتفقد بالتجربة »[3].

وفي النص التالي ايضاً يمتنع الرازي عن قبول قول عام استخلصه حنين بن اسحق من مشاهدة واحدة:

« من استخراج حنين :

الملاسة والجراشة في الثُفل عظيم القوة ، فان فلاناً في «ابيذيميا » كانت غمامته حمراء ملساء وتخلص ، وفلاناً غمامته[4] جريشيه ، فهلك .

---

(١) نفس المخطوط السابق : ورق ٤٣٣ وجه س ٦ .
(٢) فلم : لم .
(٣) نفس المخطوط السابق : ورق ٤٢٩ ظهر س ٥-١٠ .
(٤) غمامته : غمامة .

لي :

ينبغي ان ننظر في هذا ، ولا نتكل على هذا المثال الواحد »[1] . وهذا نص آخر ينقد فيه الرازي رأي بقراط في سبب عَرَض يصاحب مرض الاستسقاء :

« اذا عرض للمستسقي سُعال بلا سبب موجب السُعال ، كالنزل وغيره ، ولكن من نفس علته لغلبة الماء وكثرته ، فانه هالك. وذلك انه يدل [على] ان الماء قد بلغ الى قصبة الرئة ، وأشفى على الاختناق .

لي :

هذا قول سمج . وذلك ان الماء تحت الحجاب ، فكيف يبلغ قصبة الرئة؟

ولكن الأولى في ذلك ان كثرة الماء لما يزحم الحجاب جدًا ، فيضيق لذلك النفس ويهيج السعال . يظن العليل ان ذلك ينفعه ، كالحال في سُعال الكبد »[2] .

وفي النص التالي يتفق الرازي في الرأي مع بقراط ولكنه يخالف جالينوس. يقول بقراط ان هناك حمى تنوب كل تسعة أيام ، ولكن جالينوس ينكر ذلك لانه — بالرغم من طول عهده بالطب — لم يشهد مثل هذه الحمى . وأما الرازي ، فانه يؤكد انه فحص مريضاً مصاباً بحمى تنوب كل تسعة ايام . ولم يتشكك في تشخيصه لهـذه الحمى ، بالرغم من إنكار جالينوس لوجودها .

والنص التالي من مذكرات الرازي الخاصة :

« قال جالينوس :

اني لم ار حمى تدور سبعاً وتسعاً . ولم يرتض قول بقراط فيه ، لانه لا يمكنه ان يقول من اي خلط هي ؟

قال :

واذا كان انسان يعود المرضى من صباه ، ولم ير هذا ، فله ان يدفعه .

لي :

قد رأينا نحن حمى تنوب في كل تسعة ايام ، [و] في كل شهر نوبة

(١) نفس المخطوط السابق ورق ٤٧٢ ؛ وجه س ١٧–٢٠ .

(٢) مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٤٦ ظهر س ١٩–٤٧ وجه س ٥ .

واحدة . فأما التي تنوب في كل شهر ، فانها تنوب في كل شهر مرة . ويصاحبها صَرَع .

وليس لأن لا يدري من اي خلط تكون ، ما يبطل ان توجد هذه »[1].

وفي النص التالي يجد الرازي الشجاعة الكافية ليصحح جالينوس في تشخيصه لحمى اصابت جالينوس نفسه . .

« قال جالينوس :

قد عرض مرات ان حممت من إعياء ، فعرض لي معه سُعال يابس يسير ، كما يقول بقراط ، وسبب ذلك هو فساد مزاج آلات النفس . وهو سعال يسير لا نفث معه ، خفيف غير ردي. .

لي :

هذا الإعياء هو تعبي ، لا الكائن من ذات نفسه ، لأن ذلك يكون من فساد الأخلاط والامتلاء . وجالينوس شديد التحفظ من ذينك جداً »[2].

وهذا نص آخر لا يوافق الرازي فيه ابداً على رأي جالينوس في استخدام التدليك مع الحرمان من الطعام ، في علاج المحمومين ، والذين تنشأ حماهم من خلط البلغم . ويقول : ان التدليك مع الحرمان من الطعام ، يؤديان حتماً الى موت العليل . واما برهانه على سوء هـذا العلاج ، فانه مستمد من خبرته الإكلينيكية ، فقد شاهد مريضاً اتبع ذلك العلاج ، فمات . ويبدي الرازي رأيه بما يجب ان يكون عليه العلاج ، وكيف يكون الجمع بين التدليك وتدبير الغذاء ، فيقول :

« وأشار [الإسكندر] في الدلك كما قال جالينوس .

قال :

وليكن الدلك في شدته ولينه ، وكثرته وقلته ، بحسب [قوة المريض] ، فاذا كانت القوة ثابتة ، فان الدلك الشديد العنيف يبرئه سريعاً لكثرة استفراغه . واما اذا كانت القوة ضعيفة ، فلا .

(١) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٩٢ ظهر ٢١–٩٣ وجه س ٣ .
(٢) نفس المخطوط السابق ورق ١٣١ ظهر س ١٣–١٨ .

وجملة ، ان الدلك والمنع من الغذاء وتلطيفه يكون بحسب حال القوة . فما امكنت القوة من ذلك ، كان اسرع لبرء العليل . »

لي :

قول الإسكندر هذا فيمن يحم من بلغم في كثير ، وان كان لا يغشى عليه ، وفيمن يغشى عليه .

قال :

وقد أمر جالينوس بالدلك ، ووصل ذلك بالصوم ، والاقتصار على ماء العسل والزوفا .

وليس هذا فعل عالم بالطب . وقد رأيت رجلاً هلك من دوام الدلك والتصريح ، وذلك ان طبيبه امر رجالاً يتداولونه بالدلك وصومه اياماً ، فأسقط قوته ، فهلك .

وأما انا ، فآمر ان يكون الدلك قليلاً ، وليُعطَوا بعد ذلك غذاء كيلا تسقط القوة ، نحو الخبز المبلول بشراب ، وخاصة اذا كانت القوة ضعيفة . وإلا ، فماء الشعير ، فان بهذا التدبير يهلك البلغم البتة »[1].

وفي وصف لأبوال المصابين بحمى الدق ، اي السل ، يصف الرازي قول جالينوس بأنه خطأ ، ويبين لماذا لا يمكنه قبول هـذا الرأي . ثم يقر اشياء اخرى قالها جالينوس ، لان الرازي ابصرها في أبوال مرضاه . والنص التالي من مذكرات الرازي الخاصة :

« وقال :

اول مراتب الدق ان يكون فوق الماء شيء كأنه ضباب ، وذلك لأن الحرارة قد اذابت شيئاً من الشحم ، إلا انه قليل .

والثانية ان يطفو فوق الماء دهن . وذلك يكون اذا جاز الأمر ، وذلك الى ان يذيب من الشحم شيئاً له مقدار يرى اذا طفا ، دهناً مجتمعاً .

والمرتبة الثالثة ان يكون ثفل كرسني ، وذلك انما هو قطع اللحم ، لان

(١) نفس المخطوط السابق ، ورق ٧٣ وجه س ١٤–٧٣ ظهر س ٣ .

اللحم لا يجيب[1] الى الذوبان ، [بل] ينفرد . ولأن نواحيه تذوب عنه حتى يصير مستديراً ، لطول مدة انحداره .

فاذا انحدرت في البول حباً كحب الذرة بيض ، فان ذلك من العروق . والدليل على ذلك بياض لونها .

فاذا خرجت شيئاً شبيهاً بسحالة الحديد ، ابيض اغبر ، فانه من العظام .

لي :

لم ارقط هذا النزول في أبوال الذابلين ، والذي عندي ان ذلك خطأ ، لا يكون ابداً .

لأن جرم القلب ارطب من العروق والعظم ، فاذا بلغت الحرارة ان تدهمها ، فهي الى ان تذيب جرم القلب اولى ، والموت قبل ذلك .

قال:

ومن الثقل لون شبيه بالشعر ، ويكون ذلك من مادة غليظة تندفع في مجاري ضيقة فيستطيل ..

لي :

هذه تكون ، وقد رأيته ، وقال جالينوس انه لا بأس على صاحبه »[2].

لقد قبل الرازي بعض ما يقوله جالينوس وغيره من الاطباء ، ولكن بشرط ان تزيد الخبرة العملية ذلك القول . ونورد النصين التاليين تأييداً لرأينا في ان مادة الكتب لم تكن القول الفصل في قبول او رفض المعرفة :

« لي :

قد بين جالينوس ان الابدان الحارة المزاج ، اللطيفة التدبير ، النحيفة ، لا يكاد يرسب في بولها شيء ، وبالضد .

ورأيت انا ذلك بالتجربة كذلك .

وذلك اني رأيت السمان الجسام ، في ابوالهم ابداً رسوب كثير ، يفزع الجاهل من الاطباء . وذلك لهم بالطبع . والنحفاء ، لا يكاد يرسب لهم

(١) يجيب : يجب .

(٢) نفس المخطوط السابق ، ورق ٤٣١ ظهر س ١٧–٤٣٢ ؛ وجه س ٧ .

شي. وقد تعاهدت ذلك في الامراض كثيرًا، فلم أر بتة نضجًا، ولا منتهى إلا برسوب»[١].

« لي :

صح عندي ما قرأته في كتاب « الأغذية » وغيره، ان « اطراقوطولس» هو « القرطم البري » — وهو الذي يذكر ديسقوريدس انه ان امسكه[٢] الملدوغ بيده، سكن وجعه. فان طرحه، عاد.

وهو يُعدّ في اصناف الشوك مثل « الخَرْشَف » و « القَتّاد »، ونحوها.

فاعرفه أنت انه يشبه « القُرْطُم »، وبما وصف ديسقوريدس من علامته.

واستقصي صفته ان شاء الله »[٣].

ونكتفي بهذا القدر من النصوص التي خالف فيها الرازي اساطين الطب، ونشير الى ان كتبه حافلة بما يثبت اعتداده برأيه، واعتماده على التجربة والخبرة، دون التمسك بأقوال الاطباء. وما جاء في كتبهم.

الرازي يصحح اخطاءه :

كان الرازي لا يخشى الاعتراف بالخطأ، فاذا اقتنعه رأي اخذ به. وفي هذا دليل قوي على تمسكه بالروح العلمية، وترفعه عن الكبرياء والصلف. يقول الرازي :

« قال [جالينوس] :

واذا ضعفت القوة الجاذبة من الكبد، استدللت عليه بإسهال كيلوسي، وذلك انه يجذب الكيلوس من المعدة، فيخرج من اسفل وهو كذلك.

واذا كان في الكبد والجداول التي تدفع هذا الغذاء ورم حار، خرج البراز شبه صديد القروح، حتى اذا نضج، جرى صديد أغلظ وأقرب الى القيح من ذلك.

لي :

(١) نفس المخطوط السابق، ورق ٤٣١ ظهر س ٥–١٠.
(٢) أمسكه : امسكت.
(٣) نفس المخطوط السابق، ورق ٤٧٥ وجه س ١١–١٦.

نُفرّق بين هذا وبين علة الأمعاء. من موضع الوجع، وعلامات وجع الكَبِد. ومتى كانت قوة الكَبِد الماسكة ضعيفة، خرج الإسهال الشبيه بماء اللحم، ثم بعد ذلك – اذا طال – دم مثل الدُرْدِيّ.

لي:

ينبغي ان نعمل على هذا، فهو صحيح، وهو نص كلام جالينوس. فأما ما قد كتبناه ان هذا يدل على ضعف القوة المُغيّرة، فغلط»[1].

مثال لطريقة علاج مقتبسة من جالينوس:

واذا كان الرازي قد درس الكثير من كتب جالينوس، فلا يدهشنا ان نرى طريقته في علاج بعض الامراض شبيهة بطريقة جالينوس نفسه. ففي كتاب «المنصوري في الطب» ذكر الرازي رأي جالينوس في طريقة علاج الاعضاء الغير قادرة على الحركة، بسبب التهاب جذور الاعصاب التي تسيطر على حركة هذه الاعضاء. ويتلخص ذلك الرأي في الامتناع عن تكميد العضو المصاب، ووضع الضمادة على جزء العمود الفقري الذي منه تخرج اصول الاعصاب المهيمنة على حركة ذلك العضو[2].

وفي موضع آخر من مذكرات الرازي الخاصة يصف ما يقوله جالينوس في اسباب فقدان حركة الاعضاء، وضروب علل الاعصاب، وكيفية مداواة هذه العلل[3].

وفي علاج مريض من مرضاه، اسمه القطان، يصف الرازي طريقة العلاج التي اتبعها في مداواة استرخاء اصابه في رجليه. وعندي، ان طريقة الرازي لتطبيق عملي على دراساته النظرية في كتب الطب. واليكم النص التالي:

«كان بالقطان الطويل اللحية وجع في معدته مزمناً. فأشرت عليه يشرب شراباً صرفاً قوياً.

(١) مخطوط Arundel Or. 14 ورق ٢١ ظهر س ١٤–٢٢ وجه س ٣.

(٢) انظر:
P. DE KONING, *Trois traités d'anatomie arabes*, op. cit., p. 6, LL. 6-10.

(٣) كتاب «الحاوي في الطب»، لأبي بكر محمد بن زكريا الرازي، الطبعة الأولى، دائرة المعارف العثمانية، حيدر آباد – الدكن، سنة ١٣٧٤هـ / ١٩٥٥م، الجزء ١، ص ٣ س ٦–١٦.

فلما شربه ، انحط ذلك الوجع كله الى سرته ، واحتبس بوله ، ومثانته مملوءة . فبوله بعض المائين ، وانا لا اعلم ، فأسرف في ذلك مرة بعد مرة ، أعني إدخال المبولة . فجعلت مثانته بحالة حتى كان يخرج بلا إرادة . وكان فيما يخرج خلط ابيض خام ، قدرت انه ذلك الذي نزل ، وكان شيئاً يحقن البول .

ثم اصابه استرخاء في رجليه جميعاً. فلما بعث إلي ، جئته والاطباء يدهنون رجليه جميعاً بالادهان الحارة . فحدست ان مثانتـــه ألمت ، وألم باشتراكها الاعصاب الجائية الى الرجلين ، لان اعصابها قريبة من بعضها بعض، وان هناك ورم في منابت تلك العصب ، فضمدت قطنه ، فلم يلبث إلا اياماً حتى حرك رجليه شيئاً فشيئاً ، الى غاية ما كتبت هذه القصة »[1] .

ميل الرازي الى التجريب :

تتميز كتب الرازي الطبية باعتقاده الراسخ في اهمية الخبرات الشخصية .

---

(١) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٢٤١ وجه س ٧—١٨ .

نشر هذه القصة « مايرهوف » ، ولكنه خرج في ترجمته عن المعنى الصحيح ، فأهمل فكرة القاثاطيرا، والضرر الذي لحق المريض بسبب كثرة استخدامها . وكذلك أغفل ذكر التضميد ، وذكر أن تناول « الادوية المدرة للبول » diuretic waters هو سبب العلة التي أصابت مثانة المريض . وهذا غير صحيح .

ولم يوفق أيضاً حينما ترجم « فضمدت قطنه » إلى « venesection in the sacral region ».

ونورد فيما يلي ترجمتنا لهذه القصة :

"Al-Qaṭṭān, the long bearded patient, suffered from a chronic pain in the stomach. I advised him to drink pure strong wine. When he had a potion, the whole pain descended into his navel, and though his bladder was full, he suffered from retention of urine. Without my knowledge, somebody urinated him, I mean by the application of the catheter which was freely employed time after time. This was repeated excessively, until the patient's bladder reached such a state that his urine was voided involuntarily. Among exudations which passed out with the urine, there was a white crudity — a humour which I thought might have retained urine. Afterwards, the patient suffered from paralysis of his two legs. When I was summoned, I came to find that the physicians were anointing the whole of the two legs with warm unctions. I conjectured that the patient's bladder was injured (by the frequent use of the catheter), and that, simultaneously, the nerves reaching the legs, beig too close to one another and being in the vicinity of the bladder, were injured. I also thought that there might have been a swelling at the roots of these nerves. When I fomented the patient's loins, it was only a few days before he was gradually able to move both legs. Until the time of writing this case-history, the patient has been able to use both legs."

انظر ترجمة :

M. MEYERHOF, *Thirty-three clinical observations by Rhazes*, *op. cit.*, p. 336.

وقد سجل الرازي ميله الى التجريب في مقدمة كتابه « خواص الاشيا. »[١]. حيث يبرر رأيه في تأليف ذلك الكتاب ، الذي قرر ان يجمع فيه اقوال الناس في خواص الاشيا. ، ويحذر من قبول هذه الخواص دون التثبت بالتجربة. ولكنه يدعو الى تدوينها جميعاً ، لأن في ترك واحدة قد يكون إغفال لخاصة نافعة . وماذا سيخسر المرء في تدوين هذه الخواص ؟ لا شي. سوى المجهود في التجميع والكتابة .

يقول الرازي في مقدمة هذا الكتاب :

« لا ينبغي لنا ان ندع شيئاً نؤمل فيه نفعاً من اجل ان قوماً جهلوا وتعدّوا . وقد كان الواجب عليهم ، لو كانوا اهل رأي وتثبت وتوقف ، ان لا يبادروا[٢] الى إنكار ما ليس عندهم على بطلانه برهان . فانه ليس البرهان على إخبارنا انه كان كذا وكذا ، بأوجب منه على إخبارنا انه لم يكن كذا وكذا . ولو لم يكن في هذا الامر إلا هذه الواحدة ، لوجب التوقف[٣] والتثبت عن دفع ما لا يوجب على دفعه برهان ، وتركه موقوفاً الى ان يصح ببرهان »[٤] .

« فنقول : إنا لما رأينا لهذه الجواهر أفاعيل كثيرة نافعة ، لا يبلغ عقولنا معرفة سببها الفاعل ولا يحيط به ، لم نر ان نطرح كل شي. لا يدركه ويبلغه عقولنا . لأن[٥] في ذلك سقوط جلّ المنافع عنا ، بل نضيف الى ذلك ما ادركناه بالتجارب وشهد لنا الناس [به] .

ولا نحل شيئاً من ذلك عندنا محل الثقة ، إلا بعد الامتحان والتجربة له .

ولما كان كثير من ارديا. الناس قد يكذبون في مثل هذه الاشيا. ولم يكن عندنا شي. نختبر به حق المحق ، وباطل المبطل في هذه الدعاوي ، إلا

(١) انظر : الفهرست ص ٣٠٠ س ٢٩ ؛ ابن أبي اصيبعة الجزء ١ ؛ ص ٣١٦ س ٣٠

(٢) أن لا يبادروا : أن يبدرون.

(٣) لوجب التوقف : توجب توقف .

(٤) مخطوط طب ١٤١ (دار الكتب المصرية) ورق ١١٩ ظهر س ٤-٩ .

(٥) لأن : اما لأن .

التجربة في ...[١] ان تكون هذه الدعاوي غير مطّرحة، بل مجموعة مدونة – لا نأمن ان يكون في طرحنا إياه، اطراح اشياء جليلة نافعة.

وليس في تدوينها الا الاحتمال لمؤونة التدوين، وتكون عندنا موقوفة الى ان تشهد عليها التجارب»[٢].

وفي كتاب «محنة الطبيب»، يؤازر الرازي طبيب التجربة ويقف بجانبه، اذا ما اختلف في الرأي مع طبيب القياس، فانه يرى «ان الشكوك المغلطة تقع على الاكثر في الفن العلمي النظري، اكثر منه في التجربة»[٣].

تجربة مقارنة تصعد الى القرن الرابع الهجري:

كان الرازي يؤمن باهمية الفَصْد في علاج الامراض، وقد كتب كتاباً اسماه «في شرف الفَصْد»[٤]. وكان في احدى تجاربه على مرضاه يتحقق من اثر هذا العلاج في مرض السرسام، فاتبع طريقة علمية، ولم يغفل جانب المقارنة في التجربة حتى يتضح له اثر العلاج في الداء. فقسّم مرضاه الى مجموعتين، يعالج افراداً بالفَصْد ويمتنع عن فَصْد الآخرين، ثم يراقب الاثر والنتيجة في كل افراد المجموعتين، حتى ينتهي الى حكم في قيمة العلاج.

يقول الرازي:

«لي:

على ما رأيت بالتجربة، وما رأيت في هذا الكتاب[٥]:

في الحميات الدائمة، اذا دام الثِقل والوجع في الرأس والعنق يومين ثلاثة،

(١) غير واضح وشكله «اخذم».

(٢) نفس المخطوط السابق: ورق ١٢٠ وجه س ١٦–١٢٠ ظهر س ٤.

(٣) راجع مقالنا: «كتاب محنة الطبيب للرازي» مجلة المشرق، العدد ٥٤، سنة ١٩٦٠ ص ٥١١.

(٤) يذكر ابن ابي اصيبعة (الجزء ١: ص ٣٢١ س ٢–٣) «كتاب في شرف الفصد عند الاستفراغات الامتلائية رداءة وكية؛ وفضله على سائر الاستفراغات. والابانة على أن الفصد لا يمنعه عند الاحتياج إليه شيء البتة. ألفه للأمير أبي علي بن أحمر بن اسميل».

ويذكر البيروني (رسالة للبيروني في فهرست كتب محمد بن زكريا الرازي – كراوس – باريس سنة ١٩٣٦، ص ٨، رقم ٢٨) اسم هذا الكتاب «في الفصد».

(٥) يشير الرازي إلى المقالة الأولى من كتاب «ايذيميا».

انظر مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ١٦٦ ظهر س ١٩–٢٠.

وأربعة وخمسة واكثر ، ويحيد البصر عن الضوء ، وتدر الدموع ، ويكثر التثاؤب والتمطي ، وسهر شديد به ، ويحدث[١] الإعياء الشديد ، فانه ينتقل العليل بعد ذلك الى البرسام ، فيتقدم كالسكران ، ولا ينتبه لطعام ولا شراب[٢] الى ان يجيئه البُحران . فان كان الثِقل في الرأس اكثر من الوجع ، ولم يكن[٣] سهر ، اكن نوم ، فكانت الحرارة اسكن والنبض عظيماً غير سريع ، ينتقل الى ليثرغس .

فمتى رأيت هذه العلامات ، فتقدم في الفصد . فاني قد خلصت جماعة به ، وتركت متعمداً جماعة ، استدني[٤] بذلك رأياً ، فبرسموا كلهم»[٥]

قصص مرضى

اعتاد الرازي ان يصف ما يشاهد من حالات مرضية . ويظهر ان عدد مرضاه لم يكن بالقليل ، وكان منهم الملوك والامراء[٦] ، كما كان بينهم الفقراء وعامة الشعب[٧] .

ويتضح كثرة المرضى الذين كان يعودهم الرازي من النص التالي ، وهو منتخب من كتاب « الحاوي »:

« فاني قد رأيت في صِفَة اكثر من اربعمائة مريض مرضاً حاداً ، اتاهم البُحران في السابع ، وفي صِفَة اخرى في الرابع عشر ، ورأيت خريفاً كان يجيء البُحران فيه ابداً في الحادي عشر ، وخريف آخر كان يجيء فيه بُحران رديء في السادس »[٨] .

(١) ويحدث : ويحدس .
(٢) شراب : الشراب .
(٣) يكن : يسكن .
(٤) ابتدني : استوني .
(٥) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ١٦٧ وجه س ٧–١٢ .
(٦) مثلاً انظر ص٢٤٠ فيما يلي.
(٧) بين مرضاه يذكر الرازي « الذي كان يقود الحمار » (مخطوط Marsh 156 ورق ٢٤١ وجه س ٢٢) ؛ والخياط (نفس المخطوط ورق ٢٤١ وجه س ١٨) ؛ والبواب (ورق ٢٤٢ ظهر س ١٣) ؛ والحاسب (ورق ٢٤٠ وجه س ٧) ؛ والصائغ (ورق ٢٤٢ ظهر س ١) .
(٨) مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٣٦٣ وجه .

وقصص الرازي المرضية ومشاهداته الإكلينيكية مليئة باصطلاحات علمية تدل على انه كان يهتم بتأريخ المرض.

فيذكر علامات التهيؤ، ثم علامات ابتداء المرض، فالتزيد، والمنتهى، والإنحطاط. ويذكر ايضاً اذا ما كانت العلة حادة او مزمنة، ويسجل اوقات حدوث السكتات، والبُحران، والنوائب، والنافض، والعَرَق، والسُّعال، ويصف التفث وحالة النفس، والبراز، والقيء، ولا يغفل قوة المريض إطلاقاً في جميع ازمان الامراض. ويصف احياناً مزاج المريض، ومهنته، وسنه، وجنسه. وكانت قراءاته ومجوثه المستفيضه في كتب اعلام الطب القدامى والمحدثين مقرونة بتجربة عملية واسعة. فلم يكتف الرازي بدراسة الامراض، بل أغرق في فحص مرضاه.

وكثيراً ما نرى اسم المريض قرين المرض الذي اصابه، وقد يكون في ذلك ما يعين الرازي على تذكر علامات المرض وعلاجه حتى يستعين بها اذا ما اصاب نفس المرض انساناً آخر.

وفي بعض الاحيان كان يكتب الرازي عما يصيبه شخصياً من الامراض.

ولعل في المنتخبات التالية التي ننشرها لأول مرة، ما يلقي ضوءاً جديداً على مقدرة الرازي الطبيب.

القصة الأولى (من كتاب المرشد او الفصول)[١] :

« إني[٢] ممثل لك مثالاً شاهدته :

سافر رجل نبيل[٣] في الصيف اياماً، ورجع وبه حمى[٤] مطبقة قوية الحرارة جداً، فألزمنيه[٥] بعض الملوك. فلما كان في اليوم الرابع، قلق جداً، واشتدت حمرة[٦] لونه، وأقبل يغير اشكاله[٧]، ويضرب بنفسه الارض، وصار الهواء

(١) حققنا هذه القصة من مخطوطين : مخطوط بمكتبة جامع أيا صوفيا رقم ٣٧٢٤ ورمزنا له بحرف (ا) ؛ ومخطوط بدار الكتب المصرية رقم ٥٩٤ طب طلعت : ورمزنا له بحرف (د).

(٢) إني : أي ا.

(٣) نبيل : ساقطة من د.

(٤) حمى : حماه د.

(٥) فألزمنيه : وألزمنيه ا.

(٦) واشتدت حمرة : واشتد حمرته ا.

(٧) وأقبل ... أشكاله : وتغيرت أشكاله د.

الذي يخرج بالتنفس من الحرارة الى امر عظيم جداً . وحدث عليه[١] بعد هنيهة[٢] خفقان ، وكنت اقدّر انه سيرعف . فلما بقي على تلك الحال ساعتين وأكثر ، امرته[٣] ان يحك داخل أنفه طمعاً في انفجار الدم[٤] . فلما[٥] لم يكن ذلك ، ورأيت الحرارة والكرب والقلق يتزايد ، سقيته مقدار عشرة ارطال من الماء الصادق البرد جداً ، فخصر[٦] مكانه ، وانطفأ[٧] ما به ، ودر بوله ، ولانت حماه ، وبقي[٨] في حمى[٩] هادئة[١٠] نيفاً وأربعين يوماً .

- وكان له غلام معه في سفره[١١] ، اصابه ما اصابه سواء.[١٢]، فلم يُسق في ذلك الوقت الماء البارد ، شغلًا منا بالصاحب[١٣] نفسه ، فمات في عصر ذلك اليوم .

.. وكانت هذه الحادثة صحوة »[١٤].

القصة الثانية (من كتاب « الحاوي في الطب » ، مذكرات الرازي الخاصة) :

« لي :

اعتل جار لنا علة حادة ، سقي فيها ماء البقول والشعير اياماً كثيرة ، فخرج[١٥] منها . وحدث به وجع في بطنه اسفل السرة ونحوها ، لا ينيمه ليلًا ولا نهاراً . ويتكئ عليه رجل بيديه فيشيله كأن تحته شيئاً يدافعه بأعظم قوة تكون . وكان ماؤه مثل الدم ، فسُقي ماء البقول ونحوه ، فاشتد الامر

(١) عليه : ساقطة من د .

(٢) هنيهة : هينة د .

(٣) أمرته : وأمرته د .

(٤) انفجار الدم : انفجاره د

(٥) فلما : ولما ا .

(٦) فخصر : فأخصر ا .

(٧) انطفأ : انطفى د .

(٨) وبقي : فبقي ا .

(٩) حمى : حماه ا .

(١٠) هادئة : حائلة .

(١١) وكان ... سفره : وكان غلام له في سفره ا .

(١٢) سواء : سوى د .

(١٣) بالصاحب : لصاحب ا .

(١٤) مخطوط رقم ٣٧٢٤ ورق ٤٣ ظهر س ٢٢-٢٤ وجه س ١١ ، بمكتبة جامع أيا صوفيا ؛ مخطوط رقم ٥٩٤ طب طلعت ورق ٥٤ وجه س ٨-١٤ ، بدار الكتب المصرية .

(١٥) فخرج : فيخرج .

اكثر ، وكان لا يخف ولا يسكن بالتكميد ، وكانت الطّبيعة معه لا تبرأ إلا في كل ثلاث او خمس ، ثم يتزل شيء لين لزج . وكان الوجع يثور بالليل ، وبالجملة بعد الطعام بخمس ساعات ونحوها ، حتى ان العليل كان لا يأكل خوفاً من الوجع . وعولج بالحقن ، وجميع ما يعالج به القولنج ، فلم تجد فيه .

فأخذت اربع دراهم تُربُد ، وخمسة بَسفَايج ، وطبخته برطل ماء حتى صار ربع رطل . وصفيته ، وهرست فيه لبّ الخيار شنبر - عشرة دراهم - وسقيته ، وجعلت غذاءه ثلاثين درهماً شَيرَخَ ، وثلاثين سكراً ، واتخذت له حباً من صبر ، وشحم حَنظَل ، وسَقَمونيا ، وَكَنكَنج .

فكنت اعطيه منه في الليل ، والنهار متى هاج ، مثل الحمص ثلاث حبات واكثر .

فبرأ في خمسة ايام ، واصابه سحج خفيف ، فعالجته حتى برئ . وكان هذا الرجل متى هاج وجعه ، خفق بطنه خفقاناً عظيماً حتى يحتاج ان يضبط عليه رجل بقوة ، وإلا انتثر صاحبه منه .

ورأيت هذا الخفقان يعرض في القولنج الريحي كثيراً »[1].

القصة الثالثة (من كتاب اوجاع المفاصل)

« وقد كنت اعالج رجلاً بمدينة السلام من اوجاع المفاصل الحادثة، وكنت اتقدم في حراسته منها ، لانه كان سامعاً مطيعاً .

وكان ينوب عليه في جو ايام الربيع نوائب صعبة شديدة ، فحفظته منها ثلاث سنين ، فلما كان في السنة الرابعة ، عرض له سفر ، وأطلق لنفسه تدبيراً بلا حمية .

والتقينا فأخبرني بما جرى ، وأنذرته بأن العلة ستنوب عليه ، ان لم يقصد تداوي ما هو عليه .

فظن ان العلة قد انقطعت البتة ، فرد علي مبتسماً :

كلا ان شاء الله !

(١) مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ١٩٠ وجه س ١٨-١٩٠ ظهر س ١٦ .

فلما كان في بعد ايام ، احس في مفصل ركبته بوجع ، فتغافل ، وشدّ به يومه ذلك . فلما كان في بعض الليل ، هاج عليه الوجع ، حتى منعه النوم .

فلما أصبح التقينا ، وجعلت اردد عليه القول :

كلا ان شاء الله ! ».[١]

التشخيص المقارن

كان الرازي يقدّر تلك الصعوبات التي تكتنف تشخيص بعض الامراض المتشابهة الأعراض . وفي كتابه « محنة الطبيب » أشار الى وجوب امتحان الطبيب في التفريق بين بعضها وبعض . ومثال ذلك ان يفرّق بين وجع الكلي ووجع القولون ، وذات الجنب من ذات الرئة ، وبول الدم والمدّة ، والفرق بين ضروب الدم الخارج من الفم ، والتفرقة بين اشكال الاعضاء الطبيعية والاشكال الذابلة والوهنة.[٢]

ونعتقد ان كتابات الرازي التالية ، في التفريق بين العلل المتشابهة الاعراض ، تعتبر إسهاماً اصيلاً في تقسيم وترتيب خلاصة خبراتـه التجريبية المستمدة من فحص اعداد غير قليلة من المرضى .

ونقدم مثالين ، يفرّق في احدهما بين « القُولنج وأوجاع الكلي » ، وفي الثاني بين « اصناف احتباس البَوْل ».

يكتب الرازي في التمييز بين « القُولنج وأوجاع الكلي » ثلاث مرات في مذكراته الخاصة ، « الحاوي » فيقول :

« تميز القُولنج من الحصاة .

لي :

يفصل القُولنج من وجع الكلي بأن مع القُولنج مغصاً[٣] ، وانتفاخ المراق ، وفساد الهضم ، والتخم قبل ذلك ، واستعمال الطعام الغليظ البارد المنفخ . وان

(١) مخطوط Add. 3516 (مكتبة الجامعة بكيمبردج) ورق ١٣٨ وجه س ٢٣–١٣٨ ظهر س ٦ .

(٢) راجع مقالنا « كتاب محنة الطبيب للرازي » مجلة المشرق ، العدد ٤، ٥ ، سنة ١٩٦٠ ص ٥١١ .

(٣) مغصاً : مغس .

يكون صاحبه مَلِئاً من ذلك . والوجع في تدام ، ويتنقل ويتحرك . وجع القُولنج يأخذ مكاناً اكبر ، ووجع الكلي يحتبس معه البول . ايلاوس يكون:
إما من ورم حار في الأمعاء الدقاق ، ويكون مع هذا حمى ، وعطش ، والتهاب ، وحمرة اللون ؛
وإما من سُدّة تحدث من ثُفل صلب ، ويعرض معه تمدد مؤلم ، وانتفاخ وغثيان ؛
وإما من ضعف القوة الدافعة . ويتقدمه عدم الغذاء ، او شرب الماء ، والحِلْقة . والذي من الورم الحار يعالج بالفَصْد والضِّماد »[١].

« في الفرق بين وجع الكلي والمثانة ، والقُولنج .
يعم هذين الوجعين احتباس البطن في الابتداء ، والوجع الشديد ، وذهاب الشهوة ، ورداءة الهضم ، والمغص .
ويخص القُولنج ان هذه اجمع فيه اشد ، وفي وجع الكلي اخف .
والوجع في القُولنج في الناحية اليمنى من المراق اكثر ، ويتصاعد الوجع الى المعدة ، والكبد ، والطحال ، ويحبس الثُفل حبساً شديداً ، حتى انه لا يخرج ولا ريح ايضاً ، وان اجهدوا انفسهم . وان خرج منهم زبل يكون منتفخاً شبه أحثاء البقر . وربما خرج منهم بلغم زجاجي ، ويجيء منهم بول كثير .
فأما في وجع الكلي ، فانه يحس بالوجع دائماً[٢] على الكلي بعينها ، كالشوك المغروز ، وتألم الخُصْوة التي بحذاء الكلية العليلة . وربما خرجت من البطن ، من غير شيء يحركه ، رياح وشيء يسير . والبَوْل قليل ، فيه شيء كالرمل كبير ، ويجد حرقة في مجرى البَوْل والإحليل : فهذه تركة الحصاة في في الكلي »[٣] .

---

(١) مخطوط Arundel Or. 14 ورق ١٦٧ ظهر س ٢١–١٦٨ وجه س ١١ .
(٢) دائماً : دائباً .
(٣) نفس المخطوط السابق ، ورق ٣٥١ وجه س ١٤–٣٥١ ظهر س ٨ .

ه لي :

الفرق

للقولنج التخم المتقدمة ، وسل عن السبب البادي ، وعن العليل ، أيما (١) كان يتعاهده منها ؟ وموضع الوجع اوسع واكثر ، وينتقل ، والغثي والقي. اشد ، سقوط الشهوة والجشا. ، والقراقر والنفخ . ولا تحرك المسهلات الخفيفة بطنه ، والبول فج وربما كان غليظاً ، ولا يكون قبل ذلك فيه رمل .

والكلي لا يخف الوجع على الجوع ، بل يزيد ويكون في جانب واحد ، ويكون دقيقاً غائراً عميقاً ، لا ينتقل بسرعة ، بل كأنه ينتقل قليلاً قليلاً في كل يوم او ساعات شيئاً قليلاً الى اسفل . والبول معه في غاية الصفار (٢) ، وربما احتبس او قل . ثم ربما يخرج دم ، وحينئذ لم يبق شك .

وتضره الحقن. وفي الكلي مري، والقولنج بلغمي، وهو اكثر. واذا كان الوجع في الجانب الايسر فاظنني انه في الكلي . واذا كان يتأدى الى سطح البطن حتى يحس العليل بألم عند غمز المراق ، فقولنج. واذا كان ناحية العنق والظهر ، فكلي — وخاصة ان كان في جانب واحد اسفل ، وحدث معه النفخة في ذلك الجانب وامتد، وتقلصت البيضة من ذلك الجانب ، وجرى امر البول على غير استواء .

وان كان الوجع اولاً فوق موضع الكلي ، ثم صار هناك ، فقولنج. وخاصة ان سبق تخم، ووجع السرة ظاهر ، والقثي، ثم جاء وجع في الموضع المشكوك فيه.

وان هاج الوجع اولاً في العمق ، اسفل موضع الكلي وفي جانب، ثم هاج القثي وانعقال البطن ، فكلي .

ومتى رأيت الريح في البطن (٣) كثيرة ، فقولنج . واذا كان احتباس (٤) البطن شديداً جداً حتى لا يخرج الريح فضلاً عن غيره ، فقولنج. وعظم موضع الوجع ، والا يكون في موضع الكلي دليل على القولنج .

واذا كان الوجع يرتقي حتى يبلغ أعالي البطن ، وينزل حتى يبلغ اسافله ،

---

(١) أيما : ايما .
(٢) الصفار : الصفاء .
(٣) في البطن : والبطن .
(٤) احتباس : احساس .

وتوجع المراق ؛ فقُولنج . ووجع القُولنج يشبه المَغْص ، يدور ويفتر .

ووجع الكلي صغير الموضع ، لازم ، لا يدور ولا يفتر . ووجع الكلي اطول مدة من القُولنج وربما بقي ثلاثة وأربعة...[1] ، حتى تنزل حصاة.

ووجع القُولنج في الاكثر في الايمن ، والكلي في جانب وتألم معه الخصية التي بجذاه ، ويخدر ذلك الفخذ . وثُفل البَوْل والرجيع بمرّي قليل ، وكذلك القيء . واذا كان فيه حرقة او رمل او دم ، فلم ينق شيء .

ووجع القُولنج في مقدم البطن و...[2] . والكلي ، فالوجع في الخواصر ونحو الاضلاع ، مائلاً الى الظهر ، والبَوْل محرق لذاع .

ووجع القُولنج يخف بالقَيء ، ويسكن بالإسهال . ووجع الكلي لا [3] يعرف موضعه»[4].

وفي النص التالي يكتب الرازي في اسباب احتباس البَوْل :

« لي :

تقسيم تام لاحتباس البَوْل :

البَوْل يحتبس اما لأن الكلي لا تجذبه ، وعلامته ان يكون البَوْل محتبساً ، وليس في الظهر وجع ثقيل ، ولا في الخاصرة والحالب ، ولا المثانة متكورة[5] ، ولا في عنق المثانة ضَرْب من ضروب السُدة على ما تستبين . وان يكون مع ذلك البطن ليناً ، وقد حدث في البدن ترهل واستسقاء وكثرة[6] عَرَق .

واما الذي[7] يكون من الكلي ، فيكون محتبساً بتة وفيها المرض: وذلك إما لورم ، او حجر ، او علق دم ، او مِدَّة . ويعمه كله ان يكون الوجع في القطن مع فراغ المثانة .

إلا انه ان كان حصاة ، ظهرت دلائل الحصاة قبل ذلك ؟

---

(١) لا توجد مسافة في المخطوط . ولكن يبدو أن هناك كلمة ساقطة .

(٢) غير واضح وشكله « الشه » .

(٣) ووجع الكلي لا : + في وجع الكلي .

(٤) نفس المخطوط السابق ، ورق ١٩١ وجه س ٩–١٩١ ظهر س ١٩ .

(٥) متكورة : متركزة .

(٦) وكثرة : أو كثرة .

(٧) الذي : الذ .

وان كان ورماً حارّاً كان مع الوجع شيء من ضربان ؛
وان كانت أوجاع الكلي ، فانما هي ثقل فقط ؛
وان كان ورماً صلباً ، لم يحتبس البول ضربة ، لكن قليلاً قليلاً ، وكان ثقل فقط ؛
وان كان علق دم ومدة فيتقدمه قرحة ؛
وان كان احتباسه من اجل مجاري البول من الكلي ، فتكون المثانة فارغة والوجع في الحالب حيث هذا المجرى، مع نخس ووخز، فان وجع المجرى ناخس لا ثقيل . وعند ذلك استعمل سائر الدلائل في الكلي ؛
وان كان من قبل المثانة ، فاما ان يكون لضعفها عن دفع البول ، فعند ذلك فاغمز[1] عليه ، فانه يدر البول ، والمثانة متكورة ، فان لم يدر ، فالآفة في رقبة المثانة . وحينئذ استعمل الدلائل المذكورة .
وان كان لورم حار في هذه المواضع، تبع ودم المثانة حمى موصوفة ، وورم الكلي حمى موصوفة .
وقد ينضم مجرى رقبة المثانة من انضمام يقع له ، ويكون للبرد واليبس ، ومن ثؤلول يخرج فيه ، ويكون قليلاً قليلاً .
وقد تسد هذه المجاري بخلط غليظ . وعلامة ذلك التدبير الغليظ »[2] .

تسجيل المشاهدات الإكلينيكية

ودأب الرازي على تسجيل مشاهداته ، وخبراته الخاصة . فكان يكتب عما يصيبه من امراض ، وما يصيب اصدقاءه من علل ، وكان يسجل حالات مرضاه والعلاجات التي اتبعها ، لعله يجد في هذه هدى لعلاج غيرهم في المستقبل . ونورد فيما يلي نصوصاً كثيرة اخترناها من كتاب « الحاوي في الطب » وهي في مجموعها تبين شغف الرازي بمهنته ودقته في دراسة مشاهداته المختلفة ونتائج العلاجات التي كان يتبعها .

(١) فاغمز : فاغمز .
(٢) نفس المخطوط السابق ، ورق ٤٠٢ ؛ وجه س ٢-٤٠٢ ؛ ظهر س ٦ .

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٨٣ وجه س ٤ – ٦

« لي :

حدث بي ببغداد حمى بنافض ، وتصاغر النبض ثم حميت ، ولم اعرق، ولم تعاود بعد انقضائها .

فلذلك ينبغي ان تعلم انه ليس متى كانت بنافض ، ليست بيومية ؟ وبالضد » .

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٢٩٩ وجه س٢٠ – ٢١

« لي :

حدث ورم في البيضة اليسرى ، واستعملت القّيء. وكان ينقص اذا استعملته نقصاً بيناً ، حتى انه نقص نقصاناً بيّناً . إلا اني لم استقصه ، لانه لم يكن موجعاً . وأدمت المقيئات[1] ، فبلغ بعد ذلك اصله البتة . ولم ار شيئاً ابلغ وأسرع وأظهر نفعاً منه » .

من مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٩٩ وجه س ١٤ – ١٥

« لي :

كان بي وجع في طِحالي ، فدمت على اخذ الإطريفل بشيء آخر ، فأذهب بذلك الوجع » .

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٢١٧ وجه س ١٢ – ١٣

« لي

الوراق المشوش النحيف ، الذي جرى بـه صديق القسم بن هرون ، والفتى الدماوندي – صديق أخي – ابتدأ بها الرُّبـع ابتداء بلا حمى تتقدمها »[2] .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٤٧ وجه س ٥ – ٢٢

« لي :

لا اعلم اني رأيت احداً به مرض حميات حادة ، خرج منها إلا برسوب في

(١) وأدمت المقيئات : وادمه مرات.
(٢) تتقدمها : يقدمها .

البَوْل . ولقد رأيت مَرَّةً جدرت ، فظهر الرسوب فيها بعد الاربعين يوماً . ولم تزل هذه المَرْةُ — مع ذهاب الجُدَري — اياماً محمومة ، حتى ظهر الرسوب بعد الاربعين . وهي ابنة عبودية .

لي :

يُحتاج الى فرق بين البَوْل الكدر والبارد ، فلا تحكمن بكدره دون ان تعلم انه لم يبرد . وبينهما في المنظر ايضاً فرق ، وذلك ان البارد يكون فيه جود ابيض ، لان الجامد منه شحم ، ولا يكون له شَفَ . والكدر له مع ذلك شَفَ ، وان انت اسخنته ، لم يصف[1] ويرجع » .

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٢٨ وجه س٢٥ - ٢٦

« لي :

رأيت مشايخ وشباباً بهم اوجاع المفاصل الحارة الفَلْغَمونية ، جلّهم تهيج عليه العلّة وتثوب اذا تعبوا ومشَوْا : منهم الأخوين سوادهم ، وهشام » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٣٥ وجه ٢٠-٢١

« لي :

كان برجل وجع الظهر ، وهو ابو نصر الخراساني. فأشرت عليه ان يدهنه بدهن السوسن ، بعد إسخان الظهر بالنار والدلك . وينام عليه ليلته ، ويستحم من غد ، فبرأ في ثلاث ليال » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ١٥٧ وجه س ٢٥ - ٢٦

« لي :

رأيت ابن سوادة مبطوناً ، عاش — بعد ان صار نبضه نملياً — يومين ، وفي الثالث جسته ، فلم احس بنبض البتة ، ثم ذهب لسانه بعد ساعتين . ومات » .

من مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٣٠ وجه س ١ - ٦

« لي :

اذا رأيت في الحميات يرقاناً في العين ، فاعلم ان بالكبد سوء مزاج حار .

(١) يصف : تصفو .

وكنت رأيت ذلك في ابن المنجم. : فلما اتى بُحرانه ، قام من الخلط المشبه للدم الأسود اياماً ، وكان به بُحرانه .

فاذا رأيت ذلك ، فعليك بتبريد مزاج الكَبِد ما امكنك . فاني عالجت هذا بضِماد مبرّد ، وأسهلته ذلك الخَلط ».

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٢١ وجه س ٢٣ – ٢٦

« لي :

الرجل صاحب الركبة المزمنة ، شرب اكثر من خمسين شربة من اصطَمْخيقون ، وحقن غير مرة بالقَنطَريون . اشرت عليه ان يدوم على الادوية المدرة للبول الملطِفة ، وكان رطب المزاج بارده ، فبرأ لما[1] استعملها مدة ».

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٧٦ ظهر س ٢٢–٢٥

« لي :

قد رأيت اذا كان بانسان علة في معدتــه[2] ، فتفقد اكثر شي. البراز والشهوة . فمتى رأيتها قد صلحا ، فقد قرب البر. . وانك تجد[3] البراز في علل المعدة مختلفاً ، فاذا برأ وجدته قد صار ليناً متصلاً ، عظيم السماجــة الشديدة جداً ، شبه الذي وصفته في بابه .

رأيت رجلاً كان اذا أكل غدوة ، هاج به وجع بعد عشر ساعات وأقل ، حتى ينفث اشيا. مثل الخل ، تغلي منه الارض ، ثم يسكن وجعه . وذلك فيه من عشرين سنة . وأرى ان ذلك يكون لشدة برد في معدته . وعلاجه عندي[4] الشراب الصرف ، وتسخين[5] المعدة بالضِماد والأغذية البعيدة من ان تحمض : كالمدخنة ، والمطجنة[6] ، والعسل ، وتكون قليلة ».

(١) لما : الما .
(٢) معدته : معدتهم .
(٣) وإنك تجد : وأنت جد .
(٤) عندي : عند .
(٥) وتسخين : وتسخن .
(٦) و المطجنة : و المطخنة .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٥١ وجه س ٢٣–٢٦

« لي :

رأيت امرأة ضربت بعصا على زنديها ، فحصل هناك شيء غددي ، غمزناه فذهب سريعاً لانه كان قريب العهد، لم يكن قد جمد جموداً شديداً . وشددناه فبرأ ، وهذه كلها[1] كانت أقرب عهداً ، فكان تفشيها بالغمز اسرع ».

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٧٣ وجه س ٦–٨

« لي :

اذا كثرت[2] الحموضة في المعدة فافحص عن الطحال ، فانه قد يكون ان ينصب من السوداء اكثر مما يحتاج اليه .

وعلامة ذلك هيجان الشهوة ، مع نفخ ورياح ، وسوء هضم ، وجشاء حامض . وبهذه العلامات يفرق بين اللذع الكائن في المعدة ومن السوداء ، والكائن فيها [من] الصفراء .

رأيت رجلا تقيأ قطعة لحم عظيمة ، اعظم من الجوزة ، ولم يمت . فحدست انه كان في معدته ناصور كبير دقيق الاصل ، انقطع ودفعته الطبيعة بالقيء ».

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٢٢٥ وجه س ١٣–١٨

« لي :

كان صبي يجيئه[3] نافض ...[4] اذا جاءه ماء في جوفه ، ويشتد[5] عليه وجع بطنه وظهره . فسقيته ماء حاراً شديداً ، جرعاً ، فسكن عنه وجع بطنه وظهره ، واعتراه النوم ، وسكنت حماه بسهولة وسرعة ، وعرق .

وينبغي ان تسقي في النافض الشديد الماء الحار ، وتكبه ايضاً على بخاره ، فان ذلك يسهل سخونته . وخاصة اذا شكا عند النافض وجع الجوف ، فلا يعقل عن الماء الحار ».

---

(١) كلها : كلها .
(٢) كثرت : كثرة .
(٣) يجيئه : يجيه .
(٤) بياض في الأصل .
(٥) يشتد : يفسد .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ١٦٠ ظهر س ٩–١٢

« لي :

كان رجل تعرق يده كثيراً ، فاستعمل عَفصاً في حاجة ، فذهب عنه ذلك. ولذلك ارى للذين يتأذون بكثرة العَرَق في ارجلهم ، ان يدمنوا وضعها في ماء الشب والعَفص ، ونحوها » .

من مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٧٠ وجه س ١٩ – ٧٠ ظهر س ١

« لي :

اعتمد في الاستسقاء على بقاء القوة . فقد عالجت رجلاً شيخاً كان به من الماء ما احسب انه لا يبرأ ، وبي مائة حرارة . فسقيته مازَرْيون ثم منعت [١] عنه اياماً ، ثم عاودته فبرئ . وكان كيس بيضه قد امتلأ ماء حتى كان كأعظم ما يكون » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٣٦ وجه س ١٣–١٥

« لي :

رأيت نساء ، كثيراً تزفن الدم ، وعالجتهن بجميع ما يعالج به امثالهن ، فلم ينقطع ذلك .

وحدست ان ذلك دم بواسير ؛ لا دم الطَّمْث . فافرق بينها ، وعالج بحسب ذلك » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٨١ وجه س٧–١٠

« لي :

عسر على إمرأة الولادة في شتاء شديد ، فاوقدت فحماً كثيراً ، ومرختها بدهن حار كثير ، وكان الوجع شديداً [٢] فغشي عليها . فلما رأيت ذلك ، امرت ان يصب في الفَرج دهن مسخن . فسكن الوجع ، ونامت على المكان » .

(١) منعت : طفيت .
(٢) شديداً : + شديداً .

من مخطوط Bod. Or. 561 (بودليانا) ورق ٢٣٦ ظهر س ١٩–٢٣٧ وجه س ٦

« المارستان :

اخذ رجل ملحاً محرقاً ، فعجنه بالزيت نعماً ، ووضعه على داحس احمر مؤلم ، كان يعالج بالبزر قطونا ونحوه مدة ، فلا تنفع . وكان يشتمل اشتمالاً ، فساعة وضع عليه هذا برد وبرأ بعد ، على انه كان حاراً مثل النار .

وأحسب ان ذلك كان ، لانه حلل بقوة ووسع ، فأراح من التمدد».

من مخطوط Arundel Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ١٧٦ ظهر س ٧–١٠

« لي :

رأيت خلقاً كثيراً فلجوا بعد بدء القُولنج الشديد ، وخاصة في اليدين .

لي :

رأيت في البيمارستان من فُلج من قُولنج . وينبغي ان ننظر في ذلك . ما سببه ؟ ويحترز منه » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ١٠٦ وجه س ٥–١٣

« المقالة الثانية من « الأخلاط » :

قال [جالينوس] :

بقراط يريد بالطِحال المتحجر[1] ، الطحال الذي يبقى عظيماً جميع مدة حياة الانسان .

لي :

هذا يوجب انه قد تكون أطحلة عظيمة ، تزمن إزماناً طويلاً .

وقد تفقدت خلقاً كثيراً يدوم بهم الطحال سنين كثيرة ، ومنهم من أخبرني ان ما احسه من الصلابة في طِحاله به منذ اربعين سنة ، وخمسين سنة . ولم أره ضرهم كثير ضرر ، على انه ربما صلب بغتة ، فتبعه الضرر[2] ، وفساد المزاج سريعاً .

---

(١) المتحجر : المتحجب .

(٢) الضرر : للضر .

فنعلم ان من صلابته نوع رديء ، ومنه ما لا خطر فيه البتة .
يحرر ذلك » .

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٣٥٠ وجه س ٣–٧

« لي :
رأيت ما لا احصيه كثرةً مرضى يهيج بهم القلق وامور غليظة مهولة .
فكنت اجس النبض ، فأجده مع ذلك اقوى وأميز ، وربما وجدته قد ذهب اختلافه .
فكان يصيبهم بُحران جيد ، ويكون مقدار الاستفراغ بحسب عظم الحمى ، وشدة القلق » .

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٢٦ ظهر س٣–٤

« لي :
« قد رأيت الذين بهم وجع المفاصل يهيج عليهم كلما [١] يتعبون . وانما يكون ذلك لانها ينصب اليها شيء ، وخاصة اذا كان البدن ممتلئاً ، لأن مفاصلهم تتعب اكثر في الحركة . ولا شيء انفع لهم من الحركة ؛ ولكن ينبغي ان يتدرجوا اليها[٢] قليلًا . ولا يحمل احد منهم نفسه على ما لم يعتده من ضربة ؛ لكن يعتاد قليلًا . فانه اذا تدرج فيها ، احتمل الشديدة ، وذهب اصل الوجع البتة » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٨ وجه س١٠–١٣

« لي :
انظر ابداً ، فان انت رأيت مع الوجع غلظاً ومادة ، فعليك بإمالة الخلط عن العضو ، حتى اذا فعلت ذلك ، فخذ في ما سخّن [٣] الجلد قليلًا – فانك بذلك تسكّن الوجع .

(١) كلما : كا .
(٢) إليها : إليه .
(٣) سخن : سخف .

وقد جربت الادوية الكثيرة البرد[١] في التقرس الدائم الدموي ، فرأيتها كلها لا تسكن الوجع ، بل ربما زادت فيه ، فاجتنبها . فاذا رأيت العضو ينخس ، وليس فيه غلظ ولا تمدد ، فعند ذلك برّده . وكذلك اذا رأيته بالضد ، فأسخنه .

ورأيت صبّ طبيخ البابونج يسكّن هذا الوجع[٢] سريعاً .

لي :

جربت فوجدت انه [اذا] هاج الوجع في الرّجل ، فاستعملنا الادوية ، زاد في الوجع .

وجربت فرأيت التقرس الحار اذا أسهلت صاحبه وقد هاج به الوجع ، زاد فيه . لكن ينبغي في ذلك الوقت ان تأخذ في تبديل المزاج بماء الشعير ، والبقول ، والسويق . والسكر عجيب فيه . فانه اذا سكنت حرارته وابيض ماؤه ، سكن وجعه البتة . ثم في حال الراحة تأخذ في استفراغه . وأما في الرّجل فانه يحتاج في حال الوجع الى الفصد من اليد ، ان كان حارّاً . فان [كان] بارداً ، احتاج الى القيء ، وانتفع به جداً جداً .

وقد جربته في ذلك ، وفي الورك ، فرأيته عجيباً » .

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ٤٩٨ وجه س ١٢–١٦ »

« لي :

رأيت بالتجربة أنفع شيء في سقي الأفيون وجميع المخدرات ، ان يسقى مثقال حلتيت ، بأوقيتين شراب صرف قوي ، فانه عجيب » .

من نفس المخطوط السابق ورق ١٦٨ وجه س ٧–١٠

« لي :

جربت فرأيت من ابلغ الاشياء في الحميات الحادة ، اذا كانت الحدة شديدة ، ان تبادر فتسقي مع الفجر ماء الإجاص والتمر هندي في كل يوم ، ثم

(١) البرد : اللبرد .

(٢) الوجع : الموجع .

تسقي كالعادة ماء الشعير . فان كانت الطبيعة يابسة ، لم تحلّه حتى ينام ، على لب الخيار شنبر تسقيه ثم تبكر بماء الشعير . وان كان سعال ولم يكن هذيان ، سقيت مكان ماء الإجاص طبيخ السبستان والعُنّاب وأصل السوسن . ثم سقيت بالغداة ماء الشعير .

فاني رأيت هذا اجود تدبير يكون » .

من مخطوط Arundel. Or. 14 (المتحف البريطاني) ورق ٢٨٣ وجه س١٥ — ١٧

« لي :

على ما رأيت لجالينوس ، وتجربة ايضاً ، عصارة البصل اذا طلي بها الذكر ، منع الحبل . وان احتمل ماؤه ، أحدر الأجنة بقوة قوية » .

من نفس المخطوط السابق ، ورق ٢٨٥ وجه س ٣ — ٥

« لي :

تجربة : كانت امرأة تطلق اياماً ، فسقيت درهمين زعفران ، فولدت من ساعتها .

وجُرّب ذلك مراراً ، وكان كذلك » .

من مخطوط Arab. b. 10 (بودليانا) ورق ٤٩ ظهر س ٣ — ٥

« لي :

على ما رأيت : كان رجل من المائيين [١] معه دواء ذراريح ، فلم نر شيئاً[٢] أسرع في التقيح منه . وطلا به على دمل قد بدت كميته ، فأقرحه في نصف يوم .

تؤخذ ذراريح بلا رؤوس ولا اجنحة ، فينعم سحقها ، ثم يغلى زيت عتيق مع مرداسنج حتى ينحل ويسود ويصير له قوام . ثم يذر فيه الذراريح ، ويساط ، ويرفع ويستعمل » .

(١) المائيين : المائين .
(٢) شيئاً : شقياً .

ونختم هذا المقال بثلاثة نصوص ننقلها عن مذكرات الرازي الخاصة ، ويظهر في مادتها دقة الرازي في وصف علامات الامراض وتصوير العلل ، وقدرتـه الفائقة على الملاحظة ، ثم حرصه على تدوين مشاهداته الخاصة وتسجيل خبراته وتجاربه :

من مخطوط Marsh 156 (بودليانا) ورق ١٥٦ ظهر س ١٠-١٩

« لي :

رأيت بالتجربة اكثر هذه العلة التي يسميها العامة البِرْسام ، والاطباء سِرْسَام ، تبتدئ بثقل[1] الرأس ، ووجـع شديد وكسل ، وفتور وتمط ، وتثاؤب في البدن كله ، وحمرة في الوجه ، وحمى لينة . ويبقى كذلك يومين وثلاثة الى خمسة وسبعة ؛ ثم من ذلك يختلط العقل ، ويصبح[2] الانسان شبه السكران . ويسود اللسان ، ولا يطلب مأكولاً ولا مشروباً مدة ما ، تقدر بسرعة دخوله فيه وبطئه[3] ، وبقدر حدة حماة وغلبته .

ورأيت أجود ما ينتفع به هذا: الإسهال للصفراء بقوة . واعلم ان الطبيعة يعسر انحلالها في هذا الوقت اكثر ، لأن حركة المرار فيه الى الرأس ، فالواجب ان يسقى فيه خيار شنبر بالليل ، ثم يتبع سحراً بطبخ الإهليلج ؛ ولا يفارق الرأس خل خمر ودهن وماء ورد ، والانف الصندل والكافور . والفصد فيها عجيب النفع ، والتطيل على الرأس . ورأيت ان امتناع اصحاب البِرْسام من طلب الماء ، مع شدة الحرارة ، ويبس اللسان ، انما يكون لاختلاطهم . ولذلك ارى ان يوجروا كل ساعة ماء بارداً ، ويُذَكَّروا شربه كيلا تشتد حرافة المرار ، وخاصة فيمن كان لسانه منهم ايبس ، ودلائل الوجه عليه اغلب . فان الصحيح اذا لم يشرب ثلاثة ايام حُم واحتدت اخلاطه ، وزادت عفناً ، فكيف المبرسم ؟ » .

---

(١) بثقل : ثقل .
(٢) ويصبح : ويصح .
(٣) بسرعة ... وبطئه : سرعة ودخوله فيه وبطوء .

من نفس المخطوط السابق، ورق ٥٠٦ وجه س ٣ — ١٠

« اهرن قال :

سليم الكلب الكَلِب، اذا رأى الماء يرتعش ولا يشرب، حتى يموت .

لي :

كان عندنا في المارستان منهم [من] يهيج بالليل. (a) وكان [1] رجل لا يشرب، واذا قرب اليه الماء لم يخفه، لكن يقول : هو منتن، وفيه بطون الكلاب والسنانير [ا] . ورجل كان اذا رأى الماء ارتعد واقشعر، وانتفض حتى ينحى عنه .

علامات الكلب الكَلِب : ان لا يعرف صاحبه، ويشد على كل ما وجد. وهو مفتوح الفم، ملذوع اللسان، قد ارخى اذنيه، وأدخل ذنبه بين رجليه، وطأطأ رأسه، واحمرت عينه، وتهرب منه الكلاب، ويسيل من فمه الزبد».

من نفس المخطوط السابق ورق ٢١ وجه س ١٣-٢١ ظهر س ٦

« لي :

سنسرد من علامات الموت ذهاب النضارة [٢]، وشدة الخوف من الموت، واذا علت الشفة السفلى او العليا ... [٣]، واخضرت الثنايا او اسودت بعد بياضها، وصلب اللسان، فصار بهيئة القرن، فكلما نزع عنه عاد الى حالته في الكثرة، او ورم ورماً يضيق الفم عنه، او اعوج الأنف او تفرطح... [٤]، او صغرت العين او شخصت واستبقت، واذا تدارك وتواتر عليه الغشي، واذا لزم الاستلقاء. فكلما قلب على جنبه استلقى ايضاً، واذا مد رجليه وبسطها

(١) وكان : + وكان .

(a) — (a) قرأنا ترجمة انجليزية لهذا الجزء (عن نسخة لاتينية لكتاب « المنصوري في الطب » للرازي) ، في كتاب :

J. Freind, *The History of Physick from the Time of Galen to the beginning of the sixteenth century*, London, 1726, II, p. 53.

(٢) النضارة : النظارة .

(٣) غير واضح ، وشكله : « وصار احمر » .

(٤) غير واضح ، وشكله : « كالمرتسوم » .

دائماً لا يفتر ، واذا كان يعض على شفته العليا قدها بأسنانه الى اسفل، ويهذي بالأموات ، وتندى اصول شعر رأسه بلا ملامسة .

فاذا اجتمع البطن ، والحمى ، والفواق ، والقيء ، ونتن ريح جبينه وزهك ... [١] .

ومن علامات الموت البعيد : تغير الاخلاق بلا سبب يوجب ذلك ، وان يجد الحر في زمان البرد[٢] ، والبرد في زمان الحر ، او يخضر بعض اعضائه او يبهت دائماً ، حتى يغلط وينسى ، او تظهر فيه شامات لم تكن ، او...[٣] في جبهته وأنفه ، او يكثر برازه عن مقدار الاكل جداً ، او سدر ، او يغلظ صوته ، او يتقيأ[٤] ما يأكله بعد يوم بحاله ، او لا يسمع الشيء على ما هو ، ولا يبصره كذلك[٥] » .

(١) بياض في الأصل .
(٢) البرد : برد .
(٣) غير واضح ، وشكله : « عصور » .
(٤) يتقيأ : يتقي .
(٥) كذلك : + أو يحس الحار بارداً والبارد حاراً .

دليل المراجع

الكلمات التي نقترح إضافتها ؛ وهي غير موجودة في الأصل ، وضعناها بين [ ] .
ابن ابي اصيبعة : عيون الأنباء في طبقات الأطباء ، طبعة بولاق ١٨٨٢–١٨٨٤ .
ابن القفطي : تاريخ الحكماء ، ليبسك سنة ١٩٠٣.
الفهرست : ابن النديم، ليبسك سنة ١٨٧١.
برجستراسر – حنين :
G. BERGSTRÄSSER, '*Hunain ibn Isḥâq über die syrischen und arabischen Galen- Übersetzungen*', *Abhandlungen für die Kunde des Morgenlandes*, Leipzig, XVII, Band No. 2 (1925).

المتحف البريطاني .

مخطوط Arundel Or. 14

٤١٥ ورقة ؛ ٢٢٥ × ١٥٥ مم (=١٧٥ × ١١٠) ؛ ٢١ سطراً ؛ نسخي جميل ؛ تاريخ النسخ ٤ ربيع الأول سنة ٨٨٤ كما هو ثابت في ورق ٣ وجه ؛ عناوينه بالحبر الأحمر .

يحتوي هذا المخطوط على الجزء الثامن (غير كامل) ، والتاسع ، والعاشر من كتاب « الحاوي في الطب » . والجزءان الثامن والتاسع بقلم ناسخ ، والجزء العاشر (ورق ٢٧٥ وجه إلى ورق ٤١٥ ظهر) بقلم ناسخ آخر .

دار الكتب المصرية .

مخطوط طب طلعت رقم ٥٩٤ (كتاب المرشد أو الفصول)
من ورق ٤٤ ظهر إلى ورق ٥٦ وجه ؛ ٢٠٥ × ١٤٠ مم (١٣٥ × ١٠٥) ؛ ٢٣ سطراً ؛ ضمن مجموعة طبية ؛ خط تعليق دقيق ؛ ٣ ربيع الأول سنة ٨٥٩ ؛ نسخه محمد بن ابراهيم ؛ تاريخ تمليك سنة ١١٤٠ هـ .

مخطوط طب ١٤١ (كتاب خواص الأشياء) .
من ورق ١١٩ ظهر إلى ورق ١٣٧ وجه ؛ ٢٠٠ × ١٢٠ مم (١٥٠ × ٩٥) ؛ ٢١ سطراً ؛ نسخي ؛ عناوينه بالأحمر ؛ ٣ ربيع الأول سنة ٩١٣ (في ورق ١١٨ ظهر) . وقع تلف في بعض أوراق هذا المخطوط عند إعادة تجليده ، تمهيداً لتصويره . وكنا قد نقلنا بعض نصوص الكتاب قبل حدوث ذلك التلف .

وفي إعادة تجليد هذا المخطوط وضعت بعض الأوراق في غير مواضعها الأصلية؛ فمثلاً ورق ١٢١ وجه الذي يبتدئ بكلمة « كله » يجب أن يلي في الترتيب ورق ١٢٣ ظهر الذي ينتهي بنفس كلمة « كله » . وكذلك ورق ١٢٣ وجه يبتدئ بقول : « إن علق » ، وكان ترتيبه في المخطوط ، قبل إعادة تجليده ، بعد ورق ١٢٠ ظهر الذي ينتهي بنفس التعقيب « إن علق » . وقد غير عامل التجليد رقم الورق ١٢٣ إلى رقم ١٣٢ ، ووضعه بعد ورق ١٣١ . ثم ظهر ترقيم جديد للصفحات ، مكتوب بالحبر الأحمر ، ولم يكن هذا موجوداً عند ما طلبت تصوير المخطوط .

الكتب التي جاء ذكرها في هذا المقال

اولاً : كتب الرازي :

Healing within an hour	برء الساعة
Al-Jāmi‘	الجامع
Smallpox and measles	الجدري والحصبة
Al-Ḥāwī	الحاوي
Stones in the kidneys and in the bladder	الحصى في الكلى والمثانة
Repelling any harmful effects of foods	دفع مضار الأغذية
The spiritual physick	الطب الروحاني
Examining physicians	محنة الطبيب
The guide or Aphorisms	المرشد أو الفصول
Al Manṣūrī	المنصوري

ثانياً : كتب جالينوس :

Parts of medicine	أجزاء الطب
A résumé of the book of *The method of healing*	اختصار حيلة البرء
Paroxysms of fevers and composite attacks	أدوار الحميات وتراكيبها
Materia medica	الأدوية المفردة
Drugs counteracting diseases	الأدوية المقابلة للأدواء
Available drugs	الأدوية الموجودة في كل مكان
Periods of diseases	أزمان الأمراض
Elements	الاسطقسات
The types of fevers	أصناف الحميات
Glaucon	اغلوقن
Plethora or Repletion	الامتلاء
Acute diseases	الأمراض الحادة
An eminent physician is a philosopher	ان الطبيب الفاضل فيلسوف
Inflammations or Swelling or Abscesses	الأورام
Critical days	أيام البحران
Crisis	البحران
Treatment of acute diseases	تدبير الامراض الحادة
Restricted regimen	التدبير الملطف
Compounding of drugs	تركيب الأدوية
To Pison on theriac	الترياق إلى فيسن
The diagnosis of diseases of the internal organs	تعرف علل الأعضاء الباطنة

الكتب التي جاء ذكرها في هذا المقال

اولاً : كتب الرازي :

برء الساعة	Healing within an hour
الجامع	Al-Jāmi'
الجدري والحصبة	Smallpox and measles
الحاوي	Al-Ḥāwī
الحصى في الكلى والمثانة	Stones in the kidneys and in the bladder
دفع مضار الأغذية	Repelling any harmful effects of foods
الطب الروحاني	The spiritual physick
محنة الطبيب	Examining physicians
المرشد أو الفصول	The guide or Aphorisms
المنصوري	Al Manṣūrī

ثانياً : كتب جالينوس :

أجزاء الطب	Parts of medicine
اختصار حيلة البرء	A résumé of the book of *The method of healing*
أدوار الحميات وتراكيبها	Paroxysms of fevers and composite attacks
الأدوية المفردة	Materia medica
الأدوية المقابلة للأدواء	Drugs counteracting diseases
الأدوية الموجودة في كل مكان	Available drugs
أزمان الأمراض	Periods of diseases
الاسطقسات	Elements
أصناف الحميات	The types of fevers
اغلوقن	Glaucon
الامتلاء	Plethora or Repletion
الأمراض الحادة	Acute diseases
ان الطبيب الفاضل فيلسوف	An eminent physician is a philosopher
الأورام	Inflammations or Swelling or Abscesses
أيام البحران	Critical days
البحران	Crisis
تدبير الامراض الحادة	Treatment of acute diseases
التدبير الملطف	Restricted regimen
تركيب الأدوية	Compounding of drugs
الترياق إلى فيسن	To Pison on theriac
تعرف علل الأعضاء الباطنة	The diagnosis of diseases of the internal organs

Commentary on the book of *Epidemics*	تفسير كتاب ابيذيميا
Commentary on the book of *Humours*	تفسير كتاب الأخلاط
Commentary on the book of *Treatment of acute diseases*	تفسير كتاب تدبير الأمراض الحادة
Commentary on the book of *Prognosis*	تفسير كتاب تقدمة المعرفة
Commentary on the book of *Aphorisms*	تفسير كتاب الفصول
Commentary on the book of *Surgery of the physician*	تفسير كتاب قاطيطريون
Movements of muscles	حركة العضل
Method of healing (Methodus medendi)	حيلة البرء
The art of medicine	الصناعة الطبية
Veins	العروق
Muscles	العضل
Symptoms or The signs of imminent death	العلامات أو الدلائل أو علامات الموت السريع
Diseases and symptoms	العلل والأعراض
Medical sects	الفرق
Venesections, Phlebotomy or Blood-letting	الفصد
Strength of foods	قوى الأغذية
Examinations by which eminent physicians are recognized	المحنة التي يعرف بها أفاضل الأطباء
Black bile	المرة السوداء
Temperament	المزاج
The use of organs	منافع الأعضاء
The use of the pulse	منفعة النبض
The pulse	النبض
Anecdotes on *Prognosis*	نوادر تقدمة المعرفة

الاصطلاحات

ابتداء (انظر مرض)	
أبدان (انظر بدن)	
أبيض (انظر بول وثفل)	
إجاص	Plum
أجناس (انظر حمى)	
أجنحة	Wings
أجنة (انظر جنين)	
احتباس البطن (انظر بطن)	
احتباس البول (انظر بول)	
احتراس	Precautionary measures
أخثاء البقر	Excreta of cows, dung
أحشاء	Bowels
إحليل = مجرى البول	Urethra
احمر (انظر ثفل)	
اختلاط العقل (انظر هذيان)	
اختناق	Suffocation
اخضرار لون الأعضاء	Lividity of organs
أخلاط (انظر خلط)	
أدهان (انظر دهان)	
أدوية (انظر دواء)	
أذن	Ear
استحمام (انظر حمام)	
استرخاء	Prostration, loss of stregth and energy
استسقاء	Dropsy
استعداد	Predisposition
استفراغ	Evacuation
استلقاء	Reclining
إسقاط القوة (انظر قوة)	
أسنان	Teeth
إسهال	Catharsis
اسود (انظر خلط)	
اصطمخيقون (حب)	Stomachic pills

أصل	Root
أضلاع	Ribs
اطراقوطولس ، قرطم بري	Wooly safflower
اطريفل	Buck-bean, bog-bean
أعراض (انظر عرض)	
أعصاب :	Nerves:
الأعصاب الجائية إلى الرجلين	Reaching the legs
منابت الأعصاب	Nerve roots
أعضاء (انظر عضو)	
اعوجاج الأنف (انظر أنف)	
إعياء	Lassitude, debility
أغذية (انظر غذاء)	
أفيون	Opium, poppy
اقشعرار ، قشعريرة	Shivering
آلات النفس	Organs of respiration
التهاب ، ورم	Inflammation
امتلاء	Plethora, repletion
أمعاء :	Intestine:
الأمعاء الدقاق	Small intestine
أملس (انظر ثفل)	
انتفاخ	Swelling
المراق (انظر مراق)	
انحطاط (انظر مرض)	
انضمام	Contraction
انعقال البطن (انظر بطن)	
أنف :	Nose:
اعوجاج الأنف	Gibbosity of
تفرطح الأنف	Becomes flattened
انفجار الدم (انظر دم)	
أنواع الأمراض (انظر مرض)	
اهليلج ، هليلج	Myrobalan
أوجاع المفاصل (انظر وجع)	
أورام (انظر ورم)	
أوقات الأمراض (انظر مرض)	
أوقية	Ounce
ايفيالوس (انظر حمى)	
ايلاوس	Ileus

— ب —

بابونج	Chamomile
بارد (انظر طعام ، مزاج)	

Pustules:	بثور :
Malignant	البثور الردية
Crisis	بحران
Body	بدن
Recovery	بره
Stools:	براز ، ثفل :
Very greasy	عظيم السهاجة
Soft	لين
Firm but not hard	متصل
Cold	برد
	برسام (انظر سرسام)
Demonstration, evidence, proof	برهان
Fleawort, psyllium	بزر قطونا
Polypody	بسفايج ، بسبايج
Sight:	بصر :
Eye shuns the light	يحيد عن الضوء
Onions	بصل
Belly, bowels:	بطن :
Constipation	احتباس البطن ، انعقال البطن
Relaxed, loose	لين
Garbage of dogs and apes	بطون الكلاب والنسانيس
	بعيد عن أن يحمض (انظر غذاء)
	بقاء القوة (انظر قوة)
Phlegm:	بلغم :
Humour of	خلط البلغم
Vitreous	زجاجي
	بلغمية (انظر حمى)
	بهتة القرن (انظر لسان)
Haemorrhoids, piles	بواسير
Urine:	بول ؛ ماء :
Colourless, white	أبيض
Retention of	احتباس البول
Haematuria	الدم
Sedimentation	رسوب
Sandy sediment	رمل
Transparent	شفاف
Clear	صافي
Yellow	صفار البول
Thick	غليظ

غمامة في البول	Cloud
فج	Crude
قليل	Scanty
كدر	Turbid
لذاع ، محرق	Ardour of
بيض ، خصية :	Testicle:
الخصية التي بحذا	Corresponding testicle
تقلص البيضة	Retraction of
كيس البيضة	Scrotal bag
بيمارستان ، مارستان	Hospital

— ت —

تثاؤب	Yawning
تجربة	Experience
تخم (انظر سوء هضم)	
تخمية (انظر حمى)	
تدبير :	Regimen:
لطيف	Restricted
تدليك (انظر دلك)	
تربد	Turbith
ترهل	Flabbiness
تزيد (انظر مرض)	
تشريح	Anatomy
تشخيص مقارن	Differential diagnosis
تصويم (انظر صوم)	
تعبية (انظر حمى)	
تغذية	Nutrition
تفرطح الأنف (انظر أنف)	
تقسيم	Classification
تقلص (انظر خصية)	
تقيح	Suppuration, purulence
تكميد ، تنطيل	Fomentation
تمدد	Distension
تمر هندي	Tamarind
تمريخ	Friction
تمطي	Stretching
تنوب كل خمسة أيام الخ ... (انظر حمى)	
تنطيل (انظر تكميد)	
تهيؤ (علامات التهيؤ)	Premonitory signs

- ث -

Acridity, sharpness, acuteness, pungency	حدة
Heat, fever	حرارة
Artichoke	حرشف
Ardour:	حرقة :
Of urethra	الاحليل
	حصوة (انظر حجر)
Enema, clyster	حقنة
Assa-foetida	حلتيت
Bath	حمام
Chick-pea	حمص
	حموضة (انظر معدة)
Fever:	حمى :
Genera, kinds of	أجناس الحميات
Heats externally and cools internally	ايفيالوس
Intermittent quotidian	بلغمية دائرة
Chronic quotidian	بلغمية لازمة
Due to indigestion	تخمية
Due to fatigue	تعبية
Depats	تقلع
Abates	تنحط
Recurs	تنوب
Quintan	تنوب كل خمسة أيام
Sextan	تنوب كل ستة أيام
Septan	تنوب كل سبعة أيام
Nonan	تنوب كل تسعة أيام
Acute	حادة
Intermittent, Recurrent	دائرة ، مفارقة
Continuous	دائمة ، لازمة
Hectic	دق
Putrid	دموية ، عفن الدم ، عفن
Consumption, wasting	ذبولية
Intermittent quartan	ربع دائرة
Chronic quartan	ربع لازمة
	سهرية (انظر حمى يوم)
Intermittent due to black bile	سوداوية دائرة
Chronic due to black bile	سوداوية لازمة
Synochus, unintermittent	سونوخس
Bilious	صفراوية
Symptomatic, secondary	عرض
	عفن ، عفنية ، عفن الدم (انظر دموية)

غب دائرة	Intermittent tertian
غب لازمة	Chronic tertian
لازمة (انظر دائمة)	
ليفوريا	Heats internally and cools externally
لينة	Mild
محرقة	Ardent
مخلطة	Irregular, mixed attacks
مرض	Specific, primary
مركبة	Composite attack
مطبقة	Remittent
مفارقة (انظر دائرة)	
ورمية	Due to an abscess or inflammation
يوم	Ephemeral
يوم التخمية	Ephemeral due to indigestion
يوم التعبية	Ephemeral due to fatigue
يوم الحادثة عن احتراق في الشمس	Ephemeral due to sunstroke
يوم الحادثة عن استحمام بماء قابض	Ephemeral due to bathing with astringent water
يوم الحادثة عن شدة البرد	Ephemeral due to severe coldness
يوم الحادثة عن شرب الشراب	Ephemeral due to intoxication
يوم الحادثة عن طعام حار	Ephemeral due to eating hot foods
يوم الحادثة عن الغضب	Ephemeral due to anger
يوم الحادثة عن الفزع	Ephemeral due to fright
يوم السهرية	Ephemeral due to sleeplessness
يوم الغمية	Ephemeral due to distress
حمية	Diet
حنظل	Colocynth

– خ –

خاصرة (ج خواصر)	Flank
خـام	Crude
خبز	Bread
خراج	Abscess
خريف	Autumn
خصية (انظر بيض)	
خفقان (انظر ضربان)	
خل :	Vinegar:
خمر	Wine

Humour:	خلط :
Black	أسود
	بلغم (انظر بلغم)
Malignant	رديء
Wine	خمر
Croup	خناق (ج خوانيق)
Properties	خواص
Purging cassia	خيار شنبر

– د –

	دائرة (انظر حمى)
	دائمة (انظر حمى)
Whitlow	داحس
Lees of wine, dregs of wine	دردي
Drachm	درهم
	دق (انظر حمى)
Massage	دلك ، تدليك
Symptom:	دليل (ج دلائل) :
Ominous	ردية
Blood:	دم :
Bleeding	انفجار الدم ، نزف الدم
Of menstruation	طمث
Pure	جيد ، نقي
Boil	دمل
Tears	دموع
Sanguineous	دموي
	دموية (انظر حمى)
Liniment	دهان ، أدهان
Oil:	دهن (ج دهون) :
Of lily	سوسن
Drug, medicine:	دواء
Diuretic	مدر للبول
Demulcent, soothing	ملطف

Pleurisy	ذات الجنب
Pneumonia	ذات الرئة
	ذبولية (انظر حمى)
Cantharides, spanish flies	ذراريح
Penis, male organ	ذكر
Tail	ذنب

	ذهاب الشهوة (انظر شهوة)
Head:	رأس :
Heaviness of the head	ثقل الرأس
Lung:	رئة :
Abscess of the lung	ورم في الرئة
	ربع (انظر حمى)
Spring	ربيع
Leg	رجل
Uterus, womb	رحم
	رديء (انظر خلط)
	رسوب (انظر بول)
	رطب (انظر مزاج)
Pound	رطل
Epistaxis, bleeding of the nose	رعاف
	رقبة المثانة (انظر مثانة)
Knee:	ركبة :
Chronic pains in the knee	مزمنة
	رمل (انظر بول)
Pneuma, vital spirit	روح
Flatulence	رياح : ريح
	ريحي (انظر قولنج)
Foam	زبد
Dung	زبل
	زجاجي (انظر بلغم)
Saffron	زعفران
	زمان النضج (انظر نضج)
Forearm	زند
Hyssop	زوفا
Oil	زيت
Cause:	سبب :
External	بادي
Sebesten-plum	سبستان
Slag of iron, dross	سحالة الحديد
Dysentery	سحج الأمعاء
Giddiness	سدر

Obstruction	سدة
Meningitis	سرسام ، برسام
Navel	سرة
Coughs	سعال
Scammony	سقمونيا
	سقوط القوى (انظر قوة)
Administration of water	سقى الماء
Sugar	سكر
Intoxicated person	سكران
	سكون الوجع (انظر وجع)
Sleeplessness, insomnia	سهر
	سهرية (انظر حمى)
Indigestion	سوء هضم ، تخم ، فساد الهضم
	سوداء (انظر مرة سوداء)
	سوداوية (انظر حمى)
Lily	سوسن
	سونوخس (انظر حمى)
Meal, barley groats	سويق

– ش –

Mole	شامة
Alum	شب
Storax	شبرح
	شبيه بالشمر (انظر ثقل)
Fat	شحم
	شخوص العين (انظر عين)
Wine:	شراب :
Pure	صرف
Strong	قوي
Barley	شعير
Lip	شفة
Appetite:	شهوة :
Loss of appetite	ذهاب الشهوة
Thorns	شوك

– ص –

	صادق البرد (انظر ماء)
Aloe	صبر
Thorax, chest	صدر

Temple:	صدغ :
Sunken	لاطيء
Matter, pı	صديد ، قيح ، مدة :
Of ulcer	صديد القروح
Epilepsy	صرع
	صرف (انظر شراب)
	صغر العين (انظر عين)
	صغير (انظر نبض)
	صغير الموضع (انظر وجع)
	صفاء اللون (انظر بول)
	صفار اللون (انظر بول)
Bile	صفراء
	صفراوية (انظر حمى)
	صلابة الطحال (انظر طحال)
	صلابة الكبد (انظر كبد)
Sandal	صندل
Fasting	صوم ، تصويم ، على الجوع

– ض –

	ضرب (انظر ضروب)
Throbbing	ضربان ، خفقان
Kinds of	ضروب
	ضلع (انظر أضلاع)
Dressing, poultice	ضماد
	ضيق النفس (انظر نفس)

– ط –

Decoction	طبيخ
Nature	طبيعة
Spleen:	طحال :
Induration of	صلابة الطحال
Large	عظيم
Hard	متحجر
Food:	طعام :
Cold	بارد
Thick	غليظ
	طلق (انظر ولادة)
Menstruation, menses	طمث
	طويل (انظر مرض)

Back	ظهر

– ع –

Kneading	عجن
Symptom	عرض
Vein	عرق
Sweat:	عرق :
Copious sweats	كثرة العرق
	عسر ولادة (انظر ولادة)
Honey	عسل
Nerve	عصب
Organ	عضو
Thirst	عطش
Bones	عظام
	عظيم (انظر نبض وطحال)
	السماجة: (انظر براز)
Oak (dyer's)	عفص
Putrefaction	عفن ، عفونة
	عفن ، عفنية (انظر حمى)
Therapeutics	علاج
Symptom:	علامة :
Symptoms of death	علامات الموت
	علم التشريح (انظر تشريح)
Illness:	علة :
Acute	حادة
Extraneous	واردة
Patient	عليل
	عميق (انظر وجع)
Zizyphus	عناب
Neck	عنق :
	عنق المثانة (انظر مثانة)
Eye:	عين :
Immobile eyeball, coma vigil	شخوص العين
Becomes partly closed	صغر العين

– غ –

	غائر (انظر وجع)
	غب (انظر حمى)
Nausea	غثى ، غثيان
Gland	غدة
Foods:	غذاء :
Which do not become sour	بعيد عن أن يحمض

Smoked	مدخن
Fried	مطجن
Membrane:	غشاء :
Membranes of the brain	الغشاء الذي على الدماغ
Swooning, fainting	غشي
	غليظ (انظر بول ، طعام)
	غمامة (انظر بول)
	غمز المراق (انظر مراق)
	غمية (انظر حمى)
	غير سريع (انظر نبض)

— ف —

	فارغة (انظر مثانة)
Hemiplegia	فالج
Languor	فتور
	فج (انظر بول)
Coal	فحم
Thigh:	فخذ :
Numbness of	خدر الفخذ
Vagina	فرج
	فساد الهضم (انظر سوء الهضم)
Blood-lettig, venesection, phlebotomy	فصد
Aphorisms	فصول
Superfluity	فضل (ج فضلات)
Phlegmonous	فلغموني
Hiccough	فواق

— ق —

Astringent	قابض
Catheter	قاثاطيرا ، مبولة
Gum arabic	قتاد
Borborygmus	قراقر
Ulcer	قرحة
Safflower	قرطم
	قرطم بري (انظر اطراقوطولس)
Trachea	قصبة الرئة
Case-history	قصة
Loins	قطن
Anxiety	قلق
	قليل (انظر بول)

Centaury	قنطريون
Colitis:	قولنج :
With flatulent distension	ريحي
Colon	قولون
Strength:	قوة :
Prostration	اسقاط القوة ، سقوط القوة
Preservation of	بقاء القوة ، حفظ القوة
	جاذبة (انظر كبد)
	ماسكة (انظر كبد)
	قوي (انظر نبض)
Vomiting	قيئ
	قيح (انظر صديد)

— ك —

Camphor	كافور
Liver:	كبد :
Induration of	صلابة الكبد
Attractive faculty	قوة جاذبة
Retentive faculty	قوة ماسكة
	كدر (انظر بول)
Distress	كرب
	كرسني (انظر ثفل)
Sluggishness of movements	كسل
Alkekeng	ككنج
Dog:	كلب :
Mad dog	كلِب
Kidney	كلية (ج كلى) :
	وجع الكلى (انظر وجع)
	كيس البيضة (انظر بيض)
Chyle	كيلوس
Chyme	كيموس

— ل —

	لازم (انظر وجع)
	لازمة (انظر حمى)
	لاطئ (انظر صدغ)
Milk	لبن
Flesh	لحم
Glands:	اللحم الرخو في جميع البدن :
Inflammation of	ورم

	لذاع (انظر بول)
Pinching, smarting	لذع
Viscous	لزج
Tongue:	لسان :
Horny	بهيئة القرن
Red and hot	ملذوع اللسان
	لطيف (انظر تدبير)
	ليثرغس (انظر حمى)
	ليفوريا (انظر حمى)
	لين (انظر براز)
	لينة (انظر حمى)
Water:	ماء :
Ice cold	صادق البرد جداً
	ماء (انظر بول)
Pulse water	ماء البقول
Whey	ماء الجبن
Chick-pea water	ماء الحمص
Alum (solution of)	ماء الشب
Barley water	ماء الشعير
Rose water	ماء الورد
Those who administer the catheter	المائيون
	مارستان (انظر بيمارستان)
Mezereon	مازريون
	ماسكة (انظر كبد)
Suffering from pains in the belly	مبطون
	مبولة (انظر قاثاطيرا)
	متحجر (انظر طحال)
	متحرك (انظر وجع)
	متصاعد (انظر وجع)
	متصل (انظر براز)
	متنقل (انظر وجع)
Bladder:	مثانة :
Neck of	رقبة المثانة، عنق المثانة
Empty	فارغة
	مجرى البول (انظر إحليل)
	محرقة (انظر حمى)
Feverish patient	محموم
	مختلف (انظر نبض)

Narcotics	مخدرات
	مخلطة (انظر حمى)
	مدخن (انظر غذاء)
	مدة (انظر صديد)
	مدر للبول (انظر دواء)
Bilious	مرارى
Hypochondrium, hypogastrium:	مراق :
Swelling of	انتفاخ
Pressing on	غمز المراق
Litharge	مرداسنج
	مرض (انظر حمى)
Disease:	مرض :
Onset of	ابتداء
Increase	تزيد
Culmination	منتهى ، نهاية
Decline	انحطاط
Kinds of diseases	انواع الامراض
Periods of diseases	اوقات الامراض
Protracted	طويل
Chronic	مزمن
	مركبة (انظر حمى)
Black bile	مرة سوداء ، سوداء
Gullet, œsophagus:	مرىء :
Inflammation of	ورم المرىء
Patient	مريض
Temperament:	مزاج :
Cold	بارد
Hot	حار
Humid	رطب
Humour:	مزاج :
Corrupt humour, dyscrasia	سوء مزاج
	مزمن (انظر مرض)
Dropsical patient	مستسقى
Cathartic drugs:	مسهلات :
Laxatives	خفيفة
Stomach:	معدة :
Acid dyspepsia	حموضة في المعدة
	مطبقه (انظر حمى)
	مطجن (انظر غذاء)
Colic	مغص

مفارقة (انظر حمى)	
مفاصل	Joints
مقيئات	Emetics
ملاسة (انظر ثقل)	
ملذوع (انظر لسان)	
ملطف (انظر دواء)	
ملء	Replete
مليلة	Intense thirst
منابت الاعصاب (انظر اعصاب)	
منتهى (انظر مرض)	
موت	Death
ناصور	Fistula
نافض	Rigor
نبض :	Pulse:
صغير	Small
عظيم	Large
غير سريع	Slow, sluggish
قوى	Strong
مختلف	Irregular
نملى	Formicant
نحيف	Thin, emaciated
نخس (في الالم) ، وخز	Stabbing pain, shooting, lancing
نزف الدم (انظر دم)	
نزلة	Catarrh
نسناس	Ape
نضج :	Coction:
زمان النضج	Period of
نفث	Expectoration
نفخة ، نفخ	Inflation
نفس :	Breathing, breath:
ضيق النفس	Dyspnoea
نقرس	Gout
نقى (انظر دم)	
نكسة	Relapse
نملى (انظر نبض)	
نهاية (انظر مرض)	
نوم :	Sleep:
نامت على المكان	Came on immediately

Delirium	هذيان : اختلاط عقل
Digestion	هضم :
	سوء الهضم ، فساد الهضم (انظر تخم)
Pain:	وجع :
Of the joints	أوجاع المفاصل
Abates	سكون الوجع ، الوجع يفتر
Localized in a small area	صغير الموضع
Of the back	الظهر
Deeply situated	عميق
Penetrating	غائر
Colitis	القولون
Of the kidneys, nephritis	الكلى
Continuous	لازم
Unlocalized	متحرك
Shifting	متصاعد ، يرتقى
Ascending	متنقل
Recurs	يدور
	يرتقى (انظر متصاعد)
Draught	وجور
	وخز (انظر نخس)
Abscess:	ورم :
Hot	حار
	ورم الحجاب (انظر حجاب)
	ورم الرئة (انظر رئة)
	ورم اللحم الرخو في جميع البدن (انظر اللحم الرخو)
	ورم المرىء (انظر مرىء)
Parturition	ولادة :
Pangs of	طلق
Difficult	عسر الولادة
Dry	يابس
	يحيد عن الضوء (انظر بصر)
Arm	يد
	يدور (انظر وجع)
	يرتقى (انظر وجع)
Jaundice	يرقان
	يفتر (انظر وجع)
	يوم (انظر حمى)

تعريف عن الكتب

شعراء هازلون

بقلم أمل مسكوني

دراسات ادبية – قدم له واشرف عليه الدكتور مصطفى جواد
بيروت – مطبعة الغاطي ١٩٦٣، ٩٣ صفحة – منشورات دار الفكر

جمع شعر شعراء هازلين يتطلب في الفئة الادبية الأدبية جرأة وحماساً يخزلان صاحب الفكرة قوة وصلابة حتى ولو عيّره اترابه بالميل الى شعر التهتك والإباحة. نعم ان الهزل في الشعر فنّ ولكن الشطحات العادية في ذلك الفن يوصلان به الى السرعة في الهزء. والغزل الذي لا يأبه لكرامة ولا يعي قيماً روحية.

فالمؤلفة اخذت من ثقافتها ومن الاطلاع على خزانة والدها ما يهيب بالقارئ ان يتعرف الى فن المهاترة والمجون وهي لم تستخلص من اشعار الشعراء الثلاثة الذين انكبت على تآليفهم وهم ابو الرقعمق الانطاكي وابن وكيع التنيسي وابو القاسم الواساني الا ما استطاعت بدقتها وحسن ذوقها ان تجعله بين ايدي المطالعين وهي تشكر على هذه البادرة ولقد قدمت على الشعر الذي نشرته بكلمات تعريف بالشاعر وجيزة مقتضبة صافية مبينة بوضوح انها حذفت ما لا يليق بالقارئ.

ابتدأت وانتهت بهذا المؤلف السلسلة الاولى من دراساتها الادبية وعلى أمل الزيادة فاننا نكرر الشكر والثناء. ا. ع. خ.

مبادئ علم الاجتماع

بقلم حسين علي الداقوقي

مطبعة دار الكشاف – بيروت – ١٩٥٦ – ١٦٠ ص

في هذا الكتاب ملخص واضح لمبادئ علم الاجتماع في تطوره وطريقته وتأثير الجغرافية على الاقتصاد والمجتمع والعائلة واسسها. في الفصل الاخير يتكلم المؤلف على ابن خلدون وعلى تأثيره في تكوين علم الاجتماع.

المؤلف يعرض ولا يحكم . لا يريد ان يفرض احكامه . يعطينا درساً وضعياً . وما اجده خيّرًا في هذا الكتاب هو السؤالات العديدة التي يستطيع ان يستعملها من اراد ان يتعاطى الاجتماع الوضعي وان يدرس حالة قرية او دسكرة او مقاطعة درساً ممحصاً واضحاً . ا . ع . خ

شرح كتاب السّير الكبير

بقلم محمد بن الحسن الشيباني

املاء محمد ابن احمد السرخسي – الجزء الاول – تحقيق الدكتور صلاح الدين المنجّد
مطبعة مصر ١٩٥٧ – معهد المخطوطات بجامعة الدول العربية – ٤٠٨ صفحات

هو اول كتاب في الحق الدولي فيه يدرس المؤلف الحروب وسننها واسسها ومتطلباتها . يثبت المؤلف درسه على القرآن والحديث ، يثبته على ثقافة واسعة الأرجاء . استقاها من مؤسسي المذاهب في الاسلام . ولذا فان هــذا الكتاب كان في الماضي الدستور الذي اليه ارتكز العالم الإسلامي في حروبه مع الغريب.

واذا ما قابلنا هذا الكتاب بمؤلفات كروسيوس نرى ان الشيباني يتقدمه في علم الحقوق الدولية ويتقدمه خاصة بعمق التفكير .

النشرة علمية . ولقد استعمل الدكتور المنجد كل ما له من علم في مقابلة نسخ المخطوطات وفي انتقاء المخوط الاساسي وفي انتخاب الاصول التي سهّلت عليه درس المخطوط وتحليله . ولكننا لا ننثني عن القول ان كتاباً كهــذا كان يستحق طبعة احسن واوضح . ا . ع . خ

اعلام الفلسفة العربية

بقلم كمال اليازجي وانطوان غطاس كرم

دراسات مفصّلة ونصوص مبوّبة مشروحة – لجنة التأليف المدرسي – بيروت ١٩٥٧
١٠٦٩ صفحة ، حجم كبير

كان ينقصنا تاريخ شامل كامل للفلسفة العربية تعرض فيه المشاكل العقلية بوضوح ويحلل ثروة فكرية . لم يكن في أيدينا الى الآن سوى دروس متفرّقة لا تبدو بمظهر الكمال : تتباطأ بدرس بعض المفاهيم او بتحليل بعض المشاكل

دون ان تلقي نظرة شاملة على الموضوع وتطوره عبر التاريخ. وهذا هو الكتاب الذي يسد ثغرة ويروي عطشاً.

المؤلفان احبا ان يظلا على صعيد مدرسي ولكنهما تعمقا في المشاكل فعادا الى اصولها فصورا المحيط والبيئة التي فيها ولدت الفكرة الفلسفية ومرا بعد ذلك بالنهضة العربية على الصعيد العلمي وادخلا القارئ في علم الكلام وتكوين البدع. ولذا فان اسم ابي العلاء المعري يحتل مكان الصدارة اذ هو ابو علم الكلام ومؤسسه. وننتقل بعد ذلك الى درس التصوف الاسلامي.

لم نصل بعد الى الفلسفة بمعناها الحصري. فيقوم المؤلفان ويصوران امامنا بيئة افلاطون وارسطو ويلقيان بعض الانوار على اخوان الصفا يقودان القارئ الى الفلسفة الحقيقية مع الفارابي وابن سينا والغزالي. وبعد ذلك ننتقل معهما الى اسبانيا فنعيش مع ابن باجة وابن طفيل وابن رشد. ويحتل هنا ابن خلدون محلاً مرموقاً الى ان ينتهي المؤلفان الى درس تأثير الفكر العربي على الفكر الغربي.

هذا محتوى الكتاب. فما هي ميزاته؟ اختار المؤلفان نصوصاً تتبع الدروس وهذه النصوص تلقي نوراً على الدرس وتعطيه قوة البرهان واليقين. والميزة الثانية هي الوضوح والبساطة في عرض الافكار. ولذا فنرى المشاكل معروضة دون ما ارتباك ولا مواربة. اما الميزة الثالثة فهي القوة التي بها يدرس المؤلفان خصائص الفترات التاريخية، فيميزانها عن بعضها وكانت الى الآن تتشابه الى درجة في المواضيع العامة كانت تعاد على القارئ دون تمحيص.

ولذا فان هذا الكتاب سيظل الكتاب المدرسي يساعد الطلاب ويساندهم في دروسهم.

يبقى على المؤلفين ان يخصصا دروساً لكل فيلسوف بمفرده متعمقين في افكاره وفي التأثير الذي تأثرت به والذي كان لها الدور في اثباته في تطوير الفكر الفلسفي.

ولن ننهي هذا التعريف دون ان نشكر المؤلفين على صدقهما في العرض وموضعيتهما في التحليل

ا. ع. خ

المصباح الرهباني

بقلم المطران عبدالله قراعلي

نشره الاب جورج موراني – بيروت ١٩٥٧ – ٤٧+٣٩٧ صفحة .

بمناسبة الذكرى السادسة عشرة لموت القديس انطونيوس ، اب الرهبان ، اراد الناشر ، وبحق ، ان يعطي القارئ والمفكر هذا السفر القيم من المكتبة الروحية التي اغنتها حياة مؤسس الرهبنات الشرقية . ولقد احب ان يقدم للمخطوط بمقدمة جعلها كنزا لحياة المؤلف وروحانيته وعقليته . فاعطانا مقدمة نشكر فيها الجهود التي صرفها الناشر والطريقة العلمية الواضحة والعقل الثاقب في تحليل النفسانيات . ولقد جدّ الناشر بتمييز المخطوط ودرسه وفي وجود نسخات عنه وهذا ما يدلّ على الانتباه التام الذي اولاه الناشر مخطوطه .

اما النص فيحتوي على ما كان للمؤلف من خير : نفس تكرست لله في الحياة النسكية وفي القداسة . ففي النص ثروة من تفكير شخصي ومن نصوص اباء الكنيسة تُعطي النص بنفسه روعته .

انّا لنشكر الناشر على فتح كنوز الاديرة للقارئ العطشان الى موارد الخير ولعلّ مثله هذا ليُتبع . ا. غ. خ

المسلمون في صقلّية

بقلم الدكتور مارتينو ماريو مورينو

منشورات الجامعة اللبنانية – بيروت ١٩٥٧ – ٦٧ صفحة

ليس في المكتبة العربية كثير عن مسلمي صقلية . ولقد تطرق لهذا الموضوع مؤلف عالم بوثائق تاريخ هذه الحقبة من الزمن وهو يكلمنا في هذه الخمس المحاضرات عن تقلب الاحوال وتأثير هؤلاء المسلمين الادبي والفني والمدني . يكلمنا على كل ما تركه المسلمون من ذكريات في صقلية الماضي والتي وصلت الينا .

وفي هذه المحاضرات دقة المؤرخ وعمق العالم ورجاحة الناقد واسلوب المحاضر الواعي . ا.ع.خ

تاريخ الصحافة العراقية

بقلم السيد عبد الرزاق الحسني

طبعة جديدة منقحة – الجزء الاول – بغداد – مطبعة الزهراء ١٩٥٧ – ١١٨ صفحة

خدمة جلى يؤديها المؤلف باهدائنا ثبتاً ضافياً عن مجلات العراق . وكتابه كامل شامل مع ما فيه من زمن الظهور وميزات الجرائد او المجلات التي يدرس. ولكن كان باستطاعته ان يثبت في تاريخه هذا حياة الجريدة الفلانية او المجلة الفلانية . ولقد كنا اذاك نحضر المأساة التي نراها في بعض الجرائد اذ انها تحارب للذود عن افكارها وتوجيهاتها . ولقد وضع المؤلف بعض التوضيحات في مقدمات تساعدنا على الاطلاع على تطور الصحافة من فترة الى اخرى في العراق .

ا . ع . خ

كتاب البيان عن الفرق بين الكرامات والمعجزات

تصنيف القاضي الباقلاني

نشره الاب رتشارد مكارثي – ٢٦ صفحة مقدمة + ١٠٨ صفحات نص + تعليقات اضافية من ١٠٩ – ١٣٦ + فهارس من ١٣٨ – ١٤٣ + ٢٧ صفحة تعريف بالانكليزية – المكتبة الشرقية ، بيروت ١٩٥٨

عندما اراد الاب الناشر تقدمة مؤلفات الباقلاني فانما اراد ان يضع في متناول العلماء نصوصاً قيمة هي بين اهم ما كتب عن علم الكلام . اراد خاصة ان يعطي نصوصاً ارتكز اليها في درس شامل علمي . ولذا فلقد احاط الناشر نشرته بانتباه ودقة ، مع ما فاته في بعض كلمات من قراءة صحيحة لا بد منها . ولقد اراد ان يتبع نشرته بشروح ضافية تسهل على القارئ استعمال الطبعة والافادة منها . والثبت الذي كلل به النشرة ليساعد علماء اللغة واللاهوتيين على الاطلاع على تواتر المفردات والمفاهيم في عصر من العصور .

ا . ع . خ

Philip K. Hitti, *Lebanon in History*. — London, Macmillan and C° Ltd. — 1957, XVII+548 pp.

في هذا الكتاب، وهو الاول من نوعه، همّ المؤلف في توحيد ما سجّله علم الآثار من تقدّم وسائر العلوم التي لها صلة بعلم التاريخ وذلك في كتابة تاريخ هذه البقعة الصغيرة من الشاطئ المتوسطي التي تدعى اليوم الجمهورية اللبنانية. فليس هذا الكتاب للعلماء، مع انهم يجدون فيه اموراً عديدة تهمّهم. ولكنّه كتب لاولئك الذين يودون الزيادة من معرفة هذا البلد الفقير في مساحته، الثري في تاريخه.

لقد تبنّى المؤلف كلام العالم الأثري الاميركي هنري فيلد: «لم تنتج اي منطقة من العالم كما انتجت هذه المنطقة لخير وفائدة الانسانية اذ انه من اسيا الجنوبية الغربية اتت اولى معلومات الانسان عن الزراعة وعن تربية الدواجن، عن استعمال الدولاب، عن الكتابة، عن علم النجوم، عن التنقيب العلمي؛ منها ظهرت اولى مجموعات القوانين كما واولى دروس الهندسة والري والمعاطاة بين البشر».

للكتاب صفات لا تُحصى. وانه دون ان يكون مملّاً فلقد بدأ التاريخ بما قبل التاريخ ووصل الى الجمهورية القائمة. ومع هذا فليس هذا الكتاب بسطحي حتى ولو تكلم على الالوف من السنوات في بضع صفحات ولا سبيل ان يصنع المؤلف غير ذلك في كتاب اراده للجميع. انما نأخذ على المؤلف مروره العاجل على بعض المشاكل التي لم توضح بعد، مثلاً بعض مشاكل التاريخ القديم. ولكن انأخذ عليه في ما لا سبيل الى تحاشيه في كتاب كهذا.

في تطاحن الزمن والشعوب تتكون رويداً رويداً وحدة قومية او بالحري مجموعة قوميات مختلفة. ولذا فكثاً نتساءل اذا ما كان من الصعب ان يكتب المؤلف كتابه عن تاريخ بلد لم ينل وحدته السياسية الا من زمن غير بعيد. ولقد شعر المؤلف بهذه الصعوبة وأراد ان يسمّي كتابه لا تاريخ لبنان ولكن لبنان في التاريخ. ولم يمنعه هذا من التكلم باكرًا على لبنان لم ينضج الا بعد الالوف من السنوات.

لقد تكلم المؤلف بايجاز ولكن بدقة على الفترة اليونانية الرومانية وبعد

ذلك يعود ليتكلم على تطوّر البلد هذا نحو الديانة المسيحية. وهذا الجزء يترك في قلبنا الكثير من الارتباك . نعم المؤلف مسيحي واراد ان يكون وضعياً في دراسته . ولكن كان عليه ، والعلم يتطلب هذا — ان يقدم لنا معطيات التاريخ بكاملها. فعلى المسيحي ان يعلم ان الدين المسيحي هو اكثر من ديانة جديدة لها بعض الشبه مع الرواقيين ، عليه ان يعلم ان المسيح هو اكبر من نبي مشهور في الجليل . ولذا فلقد جهل المؤلف مفهوم الكنيسة مع ما يحويه من لاهوت ودين وايمان . فانه يتكلم على المسيحية كما ولو كانت مذهباً بين المذاهب ، ويرفض ان يأتي بكلمة على المجموعة تلك التي تحيا بحياة المسيح والتي لم يؤسسها كمذهب إنما جعلها كحدث تاريخي محوره حضرة الانسان الكامل المسيح الذي شهد لنفسه بأنه إله، والتي فيها يشهد له الملايين والذي فيها يكمّل عبر التاريخ حياته الالهية . ليس لنا هنا ان نتوسّع كثيراً في ما ينبه اليه التاريخ من مبادئ لاهوتية قيّمة . انا علينا ان نقول ما في هذا الكتاب من ضعف علمي اذ يبدو ان المؤلف طرق بكل ما ذكرناه عرض الحائط . وهذا الضعف العلمي نراه دون جهد . ولقد اضطر المؤلف بعد ذلك ان يتكلم على الكنيسة ولكن بصورة سلبية وجزئية اذ انه من المحال ان يتكلم على بدع وكنائس قومية ما لم يتعرّف ولو مبدئياً على مجموعة صافية الارجاء ، واضحة المعالم . ولهذا فلقد تكلم على البدع اذ تكلم على كل الطوائف المسيحية وبدون فرق واستعمل بصورة يجادل فيها كلمة «الكنيسة — الام» (ص٢٥١).

ان التحليل الذي يُعطيه المؤلف عن الاسلام يظل ضئيل الملامح ويظلّ نجاح الاسلام للقارئ النير الناضج خارج الفهم .

وبعد كل هذه الارتباكات الدينية يعود المؤلف الى درس الصليبية ويعطينا فيضاً من معلوماته التاريخية اللبنانية في درس الفترة العثمانية والانتداب الى يومنا هذا .

فما عدا الملاحظات التي ابديناها فان الكتاب قيّم ولا شك وفريد في نوعه الى اليوم . طبع بأناقة كليّة والصور فيه مختارة وكثيرة . ولقد نشر فيه المؤلف خوارط جغرافية تضفي عليه رونقاً وتساعد على فهم التاريخ في سيره .

والثبت المجاني في آخر الكتاب يساعد على الإفادة منه .

ا. روست كوليوس اليسوعي

Philip K. Hitti, *Syria, a Short History*. — Macmillan C° Ltd. 1959. — 271 pp.

في هذا الكتاب ملخص وجيز لتاريخ سوريا ولكنه ملخص جمع فيه المؤلف الاحداث البارزة ليتميز بها تاريخ بلد خصب بتقلباته وخصب بخطياته. ولا يترك القارئ الكتاب الا وله فكرة واضحة عن عصور مرت. فالمؤلف يحلل الطقس والفترات ما قبل التاريخ إلى ما اعطوه الفينيقيون من ثروة كبيرة، الى ما قدمه الرومانيون وبيزنطية والاسلام في مختلف فترات التاريخ، ويمر بعد ذلك بالانتداب والاستقلال: ملخص سريع ولكن المؤلف وهو عالم في التاريخ عرف ان يبقي الضروري وان يسكت عن الثانوي.

يُشكر المؤلف على ما يبذله من جهد لاطلاع الجامعات الاميركية على تاريخ الشرق ولقد اراد ان يضع بين ايدي الطلاب مذكرة عن تاريخ سوريا.

ا. ع. خ.

M. Oraison, *Amour, péché, souffrance*. — Bibliothèque Ecclesia. — Libr. Arthème Fayard, Paris, 1961, 128 pp.

مجموعة محاضرات القاها المؤلف من اذاعة اللكسمبورج سمعها الالوف من محبي التفكير الديني. ولكن نشرها في هذا الكتاب سيسهل على القراء العديدين الإفادة من فكرة صائبة عميقة واضحة تنطبق على تطور الحياة اليوم: إذ هي تأملات صائبة في بساطتها، عميقة في توجيهاتها، سهلة في لغتها يفهمها من اراد، تحلل ما يهمّ الانسان من مشاكل تاريخه عبر الايام.

فما هو الحبّ الانساني ولمَ اخضعه المسيح والكنيسة لسنن وقوانين. ولمَ يلعب مفهوم الخطيئة في الديانة المسيحية دوراً عظيماً؟ وما معنى الصلة التي يقيمها اللاهوت بين الخطيئة والالم والموت؟ كلها امور تعود الى خير النفس وحياتها. والمؤلف كاهن وطبيب وعالم نفساني يعالج هذه المواضيع بوضعية تامة وصراحة فيظهر لنا ناصحاً وصديقاً.

ا. ع. خ.

H. Rondet, S.J., — *Notes sur la théologie du péché.* — P. Lethielleux. Coll. Théol. pastorale et spiritualité. — 1957, 156 pp.

لقد نشر المؤلف تعليقاته على لاهوت النعمة ووجدنا فيها ثقابة فكر وعمق تفكير، وجدنا فيها خاصة اتزان اللاهوتي في معرفة فكرة الكنيسة وروح التواضع في التفتيش بين المذاهب اللاهوتية المختلفة عمّا يدعم رأيه .

وهذه التعليقات على لاهوت الخطيئة، مع ايجازها، تظلّ جوهرية متينة خاصة لطريقة المؤلف في الدرس والتمحيص. لا هوادة ولا مواربة، يقول ما يجب ان يقوله. فانه يصوّر لنا في بعض الفصول صوَرًا فيها عصور من التفكير، ويُعطينا رأيه في المذاهب دون صرامة وتفسيراته مؤسسة على براهين وطيدة يستعملها اكثر منه على جدلية خارجية لا جدوى منها .

فبعد ان درس مفهوم الخطيئة في تاريخ الاديان، يدرسه في الكتاب المقدس وفي التقليد المسيحي وفي تاريخ اللاهوت، ينهي مؤلفه بدرس عن الرعائيات .

وان سمح القارئ لنفسه بمجادلة بعض النقاط الطفيفة فانه لن يتوقف عن قراءة هذا الكتاب وعن الافادة منه . ا. ع. خ

Urtasun (Mgr.), *L'Évêque dans l'Église et son diocèse.* — Coll. Je sais-Je crois. — Librairie Arthème Fayard, Paris, 1961, 112 pp.

من هو الاسقف . فمن ليس بمسيحي لا يعلم عنه شيئاً . ينظر اليه من الخارج ولا يرى فيه سوى شخص ذي سلطان، سوى وكيل على عدد من الكهنة، له القدرة ان يعفي من شريعة المناولة الاحتفالية والزواج والدفن، له القدرة ايضاً ان يقوم بمعاملات توصله الى نيل فائدة ما. وفي طبقات المجتمع كم من الاحكام المتناقضة . فمنهم من يأخذ على الاسقف تقرّبه من الاغنياء واصحاب رؤوس الاموال وآخرون يرون فيه حامي الفقير والكادح، وما ذلك الا عن تفنن في السيطرة . اما اعداء الكنيسة، احتذوا صفاته الشخصية ام ازدروا بها، فانهم يخافون سلطة الاسقف. فيعزون اليه التدخل في السياسة او يأخذون عليه عدم الاهتمام . ولمَ التعجب . فالتلميذ ليس اعظم من سيّده .

ولكن العجب في ان لا يفهم المؤمنون رئيسهم . تعلّموا في صغرهم ان

الكاهن خادم المسيح ، وان للاسقف سلطة عليه وللبابا ايضاً . فينسون غالباً ان لهم في الكنيسة دور الرسالة والخدمة العملية فلا يفهمون دور الاسقف . يرضون بان يكتب لمرؤوسيه رسائل يراها طويلة وغريبة عن مشاكل الساعة او يرون انه يعود غالباً فيطلب الى المرؤوسين ان يمدّوا يد المساعدة للقريب . ولكنهم لا يزعجون حياتهم في حضور حفلات تهم الصغار من عماد وتثبيت الى الى ما هنالك من حفلات يترأسها الاسقف . ويحاول المؤلف هنا محو هذا التهاون وهذا الجهل فيعرض ببساطة وسهولة وبدقة حياة الاسقف . في فصل اول يعرض علينا بدء الاسقفية في اوائل التاريخ الكنسي ويعود الى استخلاص الدرس اللاهوتي عن الاسقف وبعد ذلك يجعلنا نرى بأم العين معاطاة الاسقف مع كهنته ورهبان ابرشيته والعلمانيين والابرشية والادارات المختلفة . وبعد ذلك يصوّر لنا بدقة حياة الاسقف اليومية نفسها .

كل هذا في كتاب ذي حجم صغير . الك ان تعلم كيف يصير المطران مطراناً وكيف يموت فاقرأ الفصل الثامن . من هم الاساقفة الذين اعلنت قداستهم : فذلك في الفصل الخامس . كيف تصير الاجتماعات الاسقفية والمجامع : اقرأ الفصل الثاني ، الى ما هنالك من الفصول والثروة التي تساعدك على متابعة القراءة والاطلاع .

امّا غاية الكتاب فهي في ان يعيد الصلات بين الاسقف ورعيته ، ذلك الحوار الذي فيه حياة وامل . وها هي الاسطر الاخيرة ملؤها العطف والحياة الصادقة : « ما الكنيسة سوى الشعب المتعلق باسقفه » حسب كلام القديس قبريانوس .

ا. ع. خ

Jean Abelé, *Le Christianisme se désintéresse-t-il de la science ?* — Coll. Je sais-Je crois. — Arthème Fayard, Paris, 1961. 122 pp.

راح العهد الذي كان قوم يقولون ان العلم وحده حقيقة وانه وحده يعطي الحقيقة ويعلّمها . ولكن العلم اليوم تطوّر ومن منّا لا يفضّل ظلام العصور الوسطى على نور هيروشيما المعمي . والكنيسة اليوم تعيد شبابها وتعطي الحياة العديدين من الناس وتعلّمهم ان العلم والدين ليستطيعان السكنى في قلب وعقل الرجل الواحد .

وها هذا الكتاب الفه ابن الكنيسة ، كاهن يسوعي ذو ثقافة عالية يتعاطى الفيزيا. ويجيب فيه على السؤال: اتحتقر المسيحية العلم ؟ وجوابه قاطع: لا تحتقره بل لا تستطيع ذلك لان المسيحية دين يؤمن بالخلق وبتأنس كلمة الله ولان خلاص الانسان لا يتمّ الا في وبواسطة وضدّ هذا العالم الذي فيه يعيش الانسان ويسير في طريقه الى الغاية.

وكان من واجبه اولاً ان يتأمل في المبادئ: بعض النقاط اللاهوتية تنير العلم وترينا ان العلم هذا ، عقائدياً ومعنوياً ، جزء من تعليم الوحي الاساسي.

والقسم الثاني من الكتاب مخصص بالمجادلة التاريخية بين العلم والمسيحية من اوقليدس الى لوبرنس – رنجه. وبعد ذلك يتوقف المؤلف عند تحليل عقلية العالم المسيحي اليوم في القرن العشرين بين امكانيات وصعوبات.

يستخلص القارئ من هذا الكتاب تفاؤلاً عظيماً: فاختياره لا يقوم على عالم له منه كل راحة مادية ولكنه خاضع لسلطان العدو او لسلطان الخوف او على عقيدة ودين يحملانه على الهزء بهذا العالم والالتجاء الى عالم غريب عن هذه الدنيا. فهاكم العالم المسيحي الذي كتيار ده شاردن ، يهمّ دوماً وبكل قواه وبكل ما اوتي من امل ورجاء ، لتتميم عمل الله على هذا الصعيد ، لتتميم آلام المسيح ولمعانقة العالم والله. وهذا واجب ضميري لا هوادة فيه

ا. ع. خ

Ayffre A. p. s.s., *Cinéma et foi chrétienne.* — Coll. Je sais - Je crois. — Arthème Fayard, Paris, 1960, 144 pp.

لا شك في ان للسينما اليوم الدور الكبير في توجيه المجتمع لخيره او لهدمه فان الصور تؤثر على مخيلة الكبير والصغير وتحملها على التمثل والاقتداء بما يرونه. فالسينما فنّ فيه الكلام والصورة والحقيقة والمخيلة وله قيمة اجتماعية واخلاقية ، تدريبية وثقافية ، رسولية اذا استخدم للخير ، وهدامة اذا استعمل للشرّ ولتحريك الاميال. اذ هو يهدم الانسان الذي يحترم مقدراته الخلقية والروحية او يساعده ، اذا ما اخضع لتوجيه روحاني ، على التطوّر والنموّ.

ولذا فنرى اليوم الكثيرين ينكبّون على فن السينما لتحسينه وللسير بها

قدماً متوخين من وراء ذلك خدمة الانسانية ، اذا مـا كان الفنان مؤمناً بالروحيات ، او قل بالربح والكسب .

ولقد نرى الكتب العديدة تصوّر لنا هذا الفن وتطلعنا على ما يخبئ وراء الستار . والكتاب الذي نحن في صدده قد جمع بين درس الفنّ وبـين اعطاء الاحكام الاخلاقية اللائقة التي يفيد منها كل ذي عقل سليم وذلك بايجاز ودقة يجعلان المؤلّف هذا في عداد الكتب النافعـة . ففي فصوله التسمة محاولات ودروس ونصوص ووثائق توحي الثقة باطلاع المؤلّف ونحن اليوم بحاجة الى كتب هـكذا قيّمة لمتابعة تطوّر العالم .   ا. ع. خ

E. Beau de Loménie. *L'Église et l'État. — Un problème permanent.* Coll. Je sais-Je crois. — Libr. Arthème Fayard, Paris. 1957, 144 pp.

مشكلة لا تزول : علاقات الكنيسة بالدولة ولقد عاشت الكنيسة عبر التاريخ السيطرة الكاملة زمنياً وعاشت العبودية الروحية لدولة ارادت ان تتدخل في شؤون مؤسسة المسيح الوحيـدة . وكانت الكنيسة تتألم من معاملات الأباطرة الوثنيين وكانت دوماً في توتّر مع رؤسائها الذين كان اهتمامهم في صدّ مطامع هؤلاء على الصعيد الزمني .

ففي المؤلّف هذا تاريخ الحقبات المؤلمة والبهيّة ، فيعرض علينا كيف صارت المسيحية الدين الرسمي ، ما كانت احـلام النسر ذي الرأسين ، كيف سارت الكنيسة نحو تأكيد سلطة البابا الزمنية ، وكيف تضاربت الآراء في هذه السلطة . ونرى بعد ذلك كيف ولدت العلمنة السياسية وصارت الى الفوضاء الحالية في عالمنا القائم .

درس واضح دقيق واحكام صادقة وضعية .   ا. ع. خ